مكتبة الطفل النفسية والتربوية

سلفت روز الأشقر
دكتورة في علم النفس

الابنُ البكْرُ
وَجهٌ مُمَيَّز

تعريب
الدكتور خليل أحمد خليل
أستاذ في الجامعة اللبنانية

دارُ الفِكْر اللبناني
بيروت

دار الفكر اللبناني
للطباعة والنشر والتوزيع
كورنيش بشارة الخوري - بناية تمارا
ص. ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلفون: ٦٤٤٤١٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣١٧٦٠
فاكس: ٦٣٠٧٥٧ - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٧

الإهـــداء

إلى كلِّ أبٍ وأمٍ يَحمِلان همَّ رسالةِ تربيةِ أولادهمْ.

إلى كلِّ ابن بِكرٍ يَحيا مسؤوليةَ بِكريَّتهِ بمحبَّةٍ.

إلى كل ابنٍ وابنةٍ يعيشانِ موقعهما العائلي ويتفهَّمَانِه.

أُقدِّمُ هذا العمل...

سلست الأشقر

مقدمة

من حقّ الثّقافة العربيّة علينا ومن حقّ المثقّف العربـي أن نكون روّاداً في تعاطينا مع كلّ منهما، فنغني تراثنا الثقافي بما ينتجه فكرنا العلمي الباحث عن الحقيقة، ونبني الحسّ النقدي عند المثقّف ليصبح قادراً على تمييز الغَثّ من الثمين مما تطالعنا به دور النشر ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

وإذا كنّا نخضع لكثرة وافرة من المنتجات الثقافيّة التي لا تسمو بالعقل إلى المراتب العليا من قدراته وطاقاته، فإننا في الوقت عينه نفتقر إلى المعالجات العلميّة الرصينة لمواضيع حياتيّة تطال أعمق ما يقبع في دواخلنا من ترسّبات تسيّرنا في مسالك حياتيّة قد تكون وعرة، ونحن عنها غافلون.

هذا ونحن على يقين إننا إذا لم نعالج هذه المواضيع الحياتية معالجة علميّة دقيقة ورصينة فإننا قد ننمو إقتصادياً وسياحياً وصناعياً لكن حياتنا الإجتماعية والشخصية في حميمياتها تبقى متخلفة عن ركب التطوّر الواعي والنضج الباني لحياتنا في أبعادها المتنوّعة.

كل هذه الهموم حملتني لكي أقدم إليك أيها القارىء العربي هذا النتاج العلمي الذي تخطّى حواجز كثيرة قبل أن يصل إليك في الحالة الراهنة. فهو بموضوعه المتميّز الذي يطال بنيتنا العائلية الشرقية مسيحيّة كانت أم مسلمة، قرويّة كانت أم مدنيّة، ميسورة كانت أم فقيرة، وبمنهجيته العلميّة الرصينة القائمة على تقنيّة الاستمارة والمقابلة والتي انبنت على التفسير الدقيق للنتائج وعلى الانطلاق من واقع تصوّر الأهل والأخوة لدور الإبن البكر، والتي بحثت عن جذور هذه المواقف في الدينين

اللذين يدين بهما أبناء مجتمعنا اللبناني، يستحقّ أن يعتبر في عداد الأعمال العلميّة الرصينة التي لا غنى عنها لكل مثقّف يحمل همّ بناء مسلكه الحياتي بالاستناد إلى فهم علمي لواقعه المعاش، ولكل قارىء طرح أو يطرح على نفسه مسألة موقع ودور الإبن البكر في عائلته وشخصه المميّز في النظر إليه وفي تربيته. فكل منّا في موقعه العائلي أمّا أن يكون بكراً أو لا يكون، وفي كلا الحالتين معنيٌّ بما أظهرته هذه الدراسة من أمورٍ قد تساعد الإبن البكر والأبناء الآخرين في فهم سلوك كلّ منهما وفي وضعه في الإطار العائلي السليم علَّ ذلك يسهم في السمو بعلاقاتنا العائليّة وبتعاملنا كأهل مع كلٍّ من أفراد عائلتنا منذ صغره، من مرحلة علاقة قايين بأخيه هابيل إلى علاقة يسودها التآخي والتصافي وتغمرها المحبّة الصادقة في سبيل سلوك دروب الحياة مسيرة تفاضل وقداسة.

إننا نصبو إلى أن تدفع هذه الدراسة المنقولة عن اللغة الفرنسية بباحثينا وبدارسينا إلى طَرق أبواب مواضيع مشابهة بالمنهجيّة عينها وبالصّرامة العلميّة ذاتها وبالنّفس العلمي الطويل كي نسلّط أضواء العلوم الحديثة على مختلف مناحي حياتنا الشخصية لعلّنا بذلك نسهم في تقدّم مجتمعاتنا عن طريق نمو الفرد وترقية اللّبنة الأساسية في بناء هذه المجتمعات التي ستستقبل بما هي عليه، وبما تصبو أن تكون عليه،الألف الميلادي الثالث.

الدكتور انطوان صيّاح

مدخل

I. أهميّة المسألة

إن حياة الفرد الذي يتحوّل من جنين إلى طفل، ومن طفل إلى مراهق، ثم إلى راشد، تجري عموماً في إطار مميَّز، هو العائلة التي يبدأ الولدُ فيها حياته مع الوالدين وفقاً لمكانته بين الأخوة.

في لبنان، موضوع دراستنا، نلاحظ في هذا الإطار العائلي أنَّ الأهل يؤثرون الأبناءَ أيثاراً كبيراً، ولا سيما الابن البِكْر. في هذه الدراسة، ينصَبُّ اهتمامنا على الإبن البِكْر، لأنَّه يُعتبر مختلفاً عن بقية الأخوة، فالأب والأم والأخوةُ والأخواتُ يُكوِّنون عنه صورةً خاصة؛ فهو يشكِّل صورة ولد مُميَّز، ويشغل مكانة مميَّزة داخل العائلة، قبلَ ولادته وحتى سنّ الرشد. فالرأي السائد في العائلات اللبنانية، موضوع استطلاعنا، التي سألناها عن الإبن البِكْر، يُلخَّص في ما يلي: «يحتلّ في الأسرة مكانة مميَّزة، وعندما يكبر يتميَّز بحقوق» (انظر لاحقاً: حق البكورة في مجتمعنا الراهن).

منذ أن تحمل الفتاة المتزوجة، تشغل الأسرة كلها بجنس الجنين، حتى قبل الحمْل، يرسم الأهلُ للولد الأول خط حياته: فهو مكلَّف بحمل كل الأماني والرغبات التي لم يحقّقوها بأنفسهم. وهذا يصحّ على كل ولد، إلاَّ أن الإبن البِكْر يتلقّى إسقاطات الأهل بكيفية أخصّ وأشدّ. ذاك أن مستقبل هذا الإبن

يكون مرسوماً سلفاً. عند ولادته تتكسف البنات، إذا كان في العائلات بنات، يحتفل بمولده احتفالاً مُشْرِقاً؛ إذ يشارك الأهلُ والجيران في الحدَث الأعظم؛ وفي المقابل يشكّل مولد الفتاة عموماً علامةَ حزن وخيبة أمل، أقلّه منذ عدَّة عقود.

بعد الولادة، يواصل الإبن البِكْر الاستمتاع بهذا الوضع المتميِّز، حيث يشعر أنه مصدر لغبطة الأهل، حتى مولد أخ ثانٍ، فيقال له في كل مناسبة: «لقد نزلتَ عن عرشك». لكنَّه يواصل الاستمتاع ببعض علامات القَبول الاستثنائية. فعلى الدوام يُسمعه الأب بعض الأقوال التي نورد منها: «ستحل محلي في الأشغال. ستقوم مقامي عندما أغيب. أنتَ رجل البيت. أنتَ مسؤول عن أخوتك وأخواتك وحتى عن أمك. أنت الولد الذي أعتمد عليه. عليك أن تكون القدوة الحسنة، ومثال الأخوّة»(١).

في كل بيئة بشرية، تخضع العلاقات الاجتماعية، في الأساس، لتوجيه نظام القرابة الذي يشكِّل قاطرة التضامن العائلي. هذه العلاقاتُ تستلزم طرائقَ تنظيمية، عائلية واجتماعية، خاصة بكل بيئة. «من الوقائع الأكيدة والأساسية. . . أنَّ تطور الشخصية البشريّة وتكوين الطبيعة العقلية يتوقّفان على التكوّن الاجتماعي»(٢).

فالأهمية المناطة بالذَّكَر، ولا سيما البِكْر، في مجتمعنا اللبناني، ترتدي قيمة أساسية لفهم علاقة الأهل بالأولاد.

1. أهميّة الذَّكَر

على الدوام تتمحور العلاقات العائلية والذريّة حول محور الاستمرار من

---

(١) أقوال شائعة، أساس إستماراتنا في استطلاعنا.

(٢) VILARD-FIOL... , **L'homme et le milieu social,** Alcan, P.U.F. , 1940, p. 106.

خلال الذَّكَر: «إبنك لكَ، بنتك ليست لك. الذكور من جهة الأب أغلى على الأسرة»[١]. ومن المألوف عدم اعتبار ابن البنت من الأسرة: «إبن إبنك لك، إبن بنتك ليس لك»[٢]. وتؤكد هذا المنحى بعض الأقوال الواردة في استطلاعنا. «الصبي لنا، والبنت لغيرنا» (قول شائع): البنت «همّ دائم، ولو صارت ملكة على عرش»[٣].

وحسب القانون الاجتماعي اللبناني القديم، لم يكن يوزّع الإرث بطريقة متساوية على الورثة. مبدئياً هذا الامتياز ألغي في لبنان، يوم 23 حزيران (يونيو) 1959.[٤]؛ لكنه يبقى أساسياً عند المسلمين. ويحدث في كثير من العائلات المسيحية عدم توريث البنت بموجب القانون، وفي الأغلب، ترث مالاً سائلاً، لكنّها لا ترث بنحوٍ آخر، فالأبُ يجيز لنفسه عدم توريث بناته، إذْ يجري بيعاً صُوَرياً لممتلكاته إلى أبنائه، قبل موته، للحفاظ على قوّة العائلة وسلطانها من خلال الأبناء؛ وأحياناً يبيعها صُوَرياً إلى صبي واحد، هو البِكْر في الأغلب، ما دام ينتسب إلى «الفرع الأبوي من هذه العائلة»[٥].

2. أوليّة الإبن البِكْر

هذه الحقيقة في نظامنا التربوي، تترجم القيم التقليدية الخاصة بالإبن البِكْر: وهي أنَّ الإبن لا ينتسب فقط إلى الأبوين البيولوجيّين، بل إلى

---

(١) ميشال فغالي: أمثال وأقوال سورية ــ لبنانية، منقول إلى الفرنسية، جامعة باريس، ١٩٣٨، ص ١٨٣.

(٢) م. ن. ، رقم ٩٦١، ص ٢١٣.

(٣) م. ن. ، رقم ٨٦٧، ص ١٨٩.

(٤) E. RABBATH, La formation historique du Liban politique et constitutionnel, Bey. 1973, p. 110.

(٥) سليم زبليط La structure de l'autorité dans le groupe familial au Liban, Thèse d'État, 1977, p. 101.

جملة الأهل، حتى المتوفين منهم، الذين يشكلون خطاً وراثياً من الأب إلى الإبن، فالإبن البِكْر يحمل وحدَه، غالباً، اسم الجد الأبوي، ومن البديهي توجيهه شطر المهنة التي امتهنها الجد أو الأب أو أحد الأقرباء الذي يشغل مكانة مرموقة في المجتمع، أو يقوم بوظيفة مشرِّفة، هذه العلامة تُعَدُّ علامة شرف، وتُفرَض على الإبن البِكْر منذ نعومة أظافره. فهو يأتي إلى الدنيا مزوداً بأماني العائلات ورغباتها. تدلُّ ملاحظاتنا، في لبنان، على أن الأجداد، ولا سيما الجدَّة، والعمّات والخالات العازبات، يشاركن في تربية الولد، وينزعن إلى المبالغة في حماية الصبي، البِكْر، من غضب ذويه، لسبب بسيط هو عدم القسوة عليه؛ فلا يجوز تصحيح أخطائه أمام أخوته الصغار، حتى يحترموه، لأنه سيكون ذات يوم مسؤولاً عن الأسرة، وقائماً مقامَ الأب.

هذه المسؤولية، هل ستنيط شخصية هذا الأبن خصوصيّة معيَّنة؟

II. إشـكـاليّـة

يذهب علم النفس الحديث إلى أن الطفل لم يعد مُعتبراً كراشدٍ يفتقر إلى المعلومات والحكم، بل كفردٍ له شخصيّته الخاصّة، ويخضع نموّه النفساني لقوانين خاصة؛ وأن نضجه، بالتفاعل مع الدُّرْبة والتعلّم «ليس المسار الخاص بأي نشاط، بل هو خصوصيّة الشخصيّة كلّها»[١]، ففي النمو مراحلُ وأوضاع يكون الطفل في خلالها أكثر تأثراً ببعض العوامل، ومنها مرتبة الولادة كما سنرى لاحقاً. الطفولة هي المرحلة الضرورية لتحوّل المولود الجديد إلى راشد[٢]. إنه يبني ببطءٍ فكره الواعي، سائراً في آن في مسار لا وعيه وفي

(١) A. GEMELLI, Fr. O.F.M. , **De l'enfant à l'homme,** 5 éd. , Rousset, Paris 1965, p. 173.

(٢) N. SILLAMY, **Dict. de la psychologie,** Larousse, p. 110.

الواقع[١]، ويذهب كلاباريد إلى أن «الطفل يتعلّم، يبتكر ويجدِّد، بفضل مكتسباته، الموروثة من الأجيال الماضية، ويُحدِث التقدّم»[٢]. ويقول جيزيل إن الطفولة «خاتمة ومقدّمة في آن، إذ يجري النمو في كل الميادين في وقتٍ واحد»[٣].

لئن كانت مواقف الأهل تجاه الأطفال تصدر أصلاً، كما يقول كاتّيل، عن مواقف الأهل من الزواج، وعن نظامهم القيمي العام، «فإن الموقف الأولي للطفل تجاه نفسه وتجاه أهله يتوقف على القيمة التي ينيطه الأهل بها»[٤].

ناهيكَ بأنَّ أهمية الوسط العائلي، منذ الأزل، كانت ظاهرةً في تكوين الشخصيّة: فالبيئة تؤثّر بقوّةٍ في الواقع البشري، «ولا يمكن فصلُ الكائن البشري عن هذه البيئة العائلية، التي يشكّل معها كلاً لا يتجزّأ، ولا يمكن درسه بمعزلٍ عنها»[٥].

بنحو خاص، يعتبر مجتمعنا اللبناني البكرَ، على هذا الوجه لثلاثة أسباب: أولهما يستمد مصدره من حقوق البكورة التي تعود إلى أقدم العصور؛ وربما يكون ثانيهما وقفاً على رتبته بين الأخوة، فيما يعود ثالثهما إلى البنية الاجتماعية ــ السياسية للبلد، وتترابط المسألتان الثانية والثالثة ترابطاً وثيقاً، وعليه، سنخصِّص ثلاثة فصول: الأول، يتناول حق البكورة، من أقدم الأزمنة إلى أيامنا: والثاني، يدرس السياق الاجتماعي ــ الثقافي والعائلي للبِكْر في

(١) G. MAUCO, **L'inconscient et la psychologie de l'enfant,** Coll. Sup. , P.U.F., 1970, p. 197.

(٢) E. CLAPAREDE, In. **Voc. de la psychologie,** op. cit., pp. 110-111.

(٣) A. GESELL, In. A. Genelli, **De l'enfant à l'homme,** op. cit., p. 169.

(٤) R. B. CATTELL, **La Personnalité,** P.U.F., 1956, t. 2., p. 533.

(٥) M. BOLL et F. BAUD, **La Personnalité, sa structure, son comportement,** Masson et cie, 1958, p. 40.

لبنان؛ فيما سنركّز اهتمامنا على الفصل الثالث، حيث سنقوم بدراسة التطور العاطفي ــ العلائقي للإبن البِكْر في لبنان.

وربما تبقى كل المسائل عصيّةً على الفهم، ما لم يُعالَج جانب الحياة النفسية، نعني الحياة العاطفية، إذ تشكل الركيزة التي تقوم عليها العلائق بين الأفراد.

المولود الجديد، المفتقر إلى النضج الفيزيولوجي والاجتماعي أو النفساني، ينغمس منذ ولادته في عالم مفعم بالحركات والدلالات والرموز. يقول فالّون: «إن المؤثّرات العاطفية التي تحيط بالطفل منذ المهد لا يمكنها أن تخلو من تأثير حاسم في تطوره العقلي، وذلك، ليس لأنها تركّب من كل أجزائه مواقفه وطرقه الشعورية، بل الأمر على العكس من ذلك تماماً، لأنها تخاطبُ، على قدْر يقظته: آليّاتٍ يحفظها بالقوّة النموّ الفطري للبنى العصبيّة، ومن خلالها، تخاطبُ استجاباتٍ من النّوع الحميم والأساسي»[١]. زدْ على ذلك أن «التأثير الذي يستطيع [المجتمع] أن يمارسهُ، يفترض مسبقاً لدى الطفل جهاز استعداداتٍ في غاية التباين»[٢].

إلى ذلك، لا ينصبّ اهتمامنا على هذا الامتياز أو ذاك وحسب، بل ينصبُّ أيضاً على ما ينجم عنه من تأثير في نفسية هذا الطفل خلال نموِّه، والحال، لا تُثار مسألة الاستعلام عن نوعية هذا التكوين وأهمية البيئة في بناء هذه الشخصية داخل العائلة، بل تُثار مسألة شخصيّة البِكْر ذاتها.

هذه الأسئلة تقودنا إلى دراسة تشكُّل النواة الأولى لشخصيّة البِكْر، الذي يولد في مناخٍ كهذا. فهذا الطفل، إذ يجدُ نفسه مرغماً منذ نعومة أظافره، على

(١) H. WALLON, **L'évolution psychologique de l'enfant**, Aranaud Colin, Paris 1968, p. 124.

(٢) M. BERGSON, **Psychologie du premier âge**, P.U.F., 1973, p. 24.

التصرُّف كأنه «كبير»، إنما يتمتّع بحوافز عدَّة، تسرِّع وتيرةَ نضجه، ومن شأن شعوره بالتفوُّق، المترجم في القدرة والسلطة والمسؤولية، المنسوبة إليه، أن يدفعه إلى احتلال مكانة مميَّزة في الأسرة، وهكذا، نصل إلى النظر في هذه العناصر المحدِّدة من خلال المراحل الأساسية لنمو شخصيّة هذا الطفل في داخل الأسرة؛ ولكن، دون استرجاع لتكوّن مجمل الظواهر. سنقوم من خلال درسنا تطور الطفل، بعزل بعض السمات البارزة التي تحدِّد شخصيَّةَ البِكْر. وحتى عندما يرى نفسه محروماً من المرتبة الأولى التي يعتقد بحقّه فيها، سيصطنع البِكْرُ لنفسه عالماً خاصاً به، ويمكنه أن يجابه نموذجين من المواقف:

أولهما موقف تقويمي، وثانيهما موقف تبخيسي.

1. موقف التقويم وإعادة التقويم

نتخيَّل بسهولة الجهد الذي يبذله الطفل للحفاظ على هذا الامتياز، نعني «حق البكر»، ولاسترجاع «الفردوس المفقود» حسب التعبير الدارج، منذ حدوث ولادة جديدة.

والحال، يمكن ظهور عدَّة سلوكات:

يبذل البِكْرُ جهداً دائباً في سبيل مرتبته، ويتطلع دوماً إلى فوق، ومما يسهل مهمّته النجاحُ ودعم الأهل، فيزداد حماساً، وما دام البِكْرُ معتبراً كبيراً باستمرار، فإنه ينزع إلى فرض نفسه، من هنا خطر نمو استجابة تعويضيّة، الأمرُ الذي يغدو عنده حاجةً، و «الحاجةُ هي قوَّة تنظِّم الإدراك والاستدلال والجهد والفعل لدى الشخص، في سبيل تحويل وضع قائم»[1]. وهو إذْ يعي قيمتَه، سيكون في إمكانه النزوع إلى المبالغة في تقدير ذاته، وحتى في إثارة نوعٍ من الشعور الأبوي لديه.

(۱) H.A. MURRAY, Exploration de la personnalité, P.U.F., 2e Vol., 1953, p. 69.

2. موقف التبخيس

عندما يتبدّى للطفل وضع يتعدَّى قدرته على الاحتمال أو تحمل مسؤوليته، يفقد الإحباطُ طابعه الضروري للنمو، ليرتدي طابعاً مَرَضياً، ويجمِّد تطوره العاطفي، وينعكس العنصر المخلخِل على الجوانب الأخرى للشخصيّة، وتؤثر الآلامُ تأثيراً عاماً في الطفل؛ فينطوي الإبن البِكْر في شعور إحباطي، شعور بالهَجْر يودُّ الهربَ منه، لقد اجتاح العالمُ الخارجي نفسيَّته: «إن كل ما يتوغَّل فينا. . . سواء وعيناه أم لم نعِه، يتدخَّل في مجرى حياتنا النفسية، ويمكنه تغيير مسارها»(١).

من العبث انطفاء الشعور التبخيسي في مجرى الحياة، فهو لا يزول تماماً، إذْ يبقى جزءاً من القلق والهرب، ويمكن أن يصل هذا الشعور إلى حد المَرَض الهُجاسي المُعاش؛ عندها، سينسحب الطفلُ من جماعته، هارباً إلى بيته حيث يتكيَّفُ «أناه».

إن الطفل يتراجع أمام الواجب، إذا خاف من الفشل، لأنه يرفض أن يُبْخَس في نظر الأصغر منه، وتالياً، في نظر الآخرين. أمام الفشل.. يفقد الشخص الثقة والشجاعة، ويرى في العالم قوَّة معاديةً ومهدِّدة»(٢).

فالبِكْرُ، المولود والنّامي في جو عائلي كهذا، والمحاط بكل المشاعر القرابيّة، سينمو وهو مُناط بظواهر تشكّل تمثّلاً للعالم الخارجي، بحيث إن هذه الظواهر «تسمح له بأن يتوصَّل، . . . ، إلى رؤية شاملة للذات»(٣).

أما الواقع الذي يعيشه هذا الطفل من خلال مسلكه، فيدعونا إلى الاهتمام بتصوّره لذاته، الذي يصنعه، والذي يعطيه إما موقفَ احترامٍ للذات، وشعور

---

(١) A. BERGE, Les psychothérapies, P.U.F., 1968, p. 6.

(٢) J. LACROIX, L'échec, S.U.P., 1969, p. 43.

(٣) René L'ECUVER, Le Concept de soi, P.U.F., 1978, p. 31.

بالتفوّق والمسؤولية، وإما شعوراً بالدفاع عن النفس في مواجهة الأخوة، وشعوراً بالخصومة. وهذان الموقف والشعور، سيمكنهما تحديد ظروفه، وإناطته بصورة نفسانية خاصة، إن كل هذا الوضع الخاص، واستجابتي التبخيس وإعادة التقويم، هي كلها وراء الفرضيات الأساسية التي يمكننا صوغُها على النحو التالي:

III. فرضيَّـات أساسيَّـة

1. إن المكانة المميَّزة التي يشغلُها البِكْرُ في عائلته، وصبّ كل الاهتمامات عليه، يُؤثّران في شخصيّته بطريقةٍ خاصة، بقدْر ما يشعر أنَّه مقوَّم ومتجدِّد القيمة. وإن هذه الشخصية التفاضلية ترتدي صورة خاصة، مميزة بجلاء.

2. لئن تعدَّت ارتقاباتُ المحيط من الإبن البِكْر إمكاناته التنفيذية، سيشعر بأنه فاقد القيمة، وهذا التبخيس سينعكس على مجمل حياته، وفقاً لصورة الشعور بالفشل.

المطلوب إذاً هو رسم صورة بيانية نفسانية للبِكْر، وتشخيص التأثير القرابي على حياته النفسية، العاطفية، العلائقية والاجتماعية، وفحص الانعكاسات على مسلكه؛ وأخيراً استخلاص توجّهه الخاص به.

لذا فإن الباب الأول من هذه الدراسة، سيثير المسألة في إطار نظري، وسيتناول الحقوق والواجبات المنسوبة إلى البِكْر، وذلك بوضعها في نطاقها الاجتماعي ــ الثقافي، للتدليلِ الأحسن على ما يؤثّر في سلوكه.

لكنْ، للتمكّن من توضيح الصورة التي يكوّنها الأهلُ والأخوةُ عن البِكْر، وتلك التي يكوّنها عن نفسه، ورصد بعض المزايا الخاصة، لا مناص لنا من الاستعانة بأدوات استكشافيّة، سنوضحها في الباب الثاني من هذه الدراسة، بعنوان **دراسة اختبارية**.

أما البابُ الثالث فسيكون موضوعُه، تحليلَ النتائج وتفسيرها، فبعد إبراز سلوك الإبن البِكْر، وتحديد حقوقه وواجباته، وتبيان عنصر وعي الذات، سنجيز لنفسنا إصدار الحكم بشأن موقعه، دون أن ندَّعي، مع ذلك، أننا قمنا بدراسة شاملة لكل جوانب المسألة □

● ● ●

الباب الأوّل

الإبن البِكْر ونموّ الطفل

الفصل الأول

حق البكورة منذ القدم حتى أيامنا

I. عموميّات

قبل تناول حق البكورة، يبدو لنا مفيداً تعريفُ لفظة «حق» والنظر في أصلها وأساسها.

1. تعريف

تنطوي كلمة «حق» على معانٍ عدَّة، بحسب العبارات المستعملة فيها، ويمكنُ حصْرها في ثلاث أفكار رئيسة: «الحق، أو ما يكون متعلّقاً بحق، يكون مطابقاً لقاعدة واضحة، ويغدو لاحقاً من الواجب فرضه»(١). أما المعنى الثاني للكلمة فهو: «المُباح، . . .، فيكون له الحقُّ بكذا. . .»، ويجري شرح هذا التعريف بمعنى: «المسموح أخلاقياً»(٢). ويكون المعنى المضاف الأساسي: «ما يجب أن يكون أو ما يمكنه أن يكون شرعياً»(٣).

إن تعريف مصطلح «الحق» الذي يقدّمه لالاند أيضاً هو: «جملة الحقوق

(١) A. LALANDE, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, P.U.F, 1968, pp. 250 - 251.

(٢) **Ibid,** p. 251.

(٣) Ibid.

التي تنظّم العلائق في ما بين الناس»[1].

هذه الحقوق تستدعي ثلاثة إيضاحات، يمكن عرضها على النحو التالي:

أولاً: «الحق الوضعي، هو الذي ينجم عن القوانين المكتوبة أو العادات التي اكتسبت قوّة قانونية. مثل القانون المدني، القانون الروماني...

ثانياً: الحق الطبيعي، الناجم عن طبيعة البشر وعلاقاتهم، بمعزل عن كل تشريع.

ثالثاً: حق الناس، ...، الذي يدبر شؤون الدول في ما بينها»[2].

كما يحدَّد الحق الوضعي بوصفه «جملة القواعد التي تحكم سلوك البشر الذين يعيشون في مجتمع»[3]. وبأنه حق مكتسب، امتيازات لفرد أو لمجتمع لا يمكن لأي تشريع أن ينال منها.

إن حق الفرد داخل الأسرة يندرج في هذا النطاق حيث يكون الإبنُ البكر في وضع خاص، هو موضوع بحثنا.

2. **أصل الحق وأساسه:**

يعود مجمل القواعد التي تنظم سلوك الناس الأحياء في مجتمع «إلى ما قبل ظهور مفهوم الدولة الحديث»[4]. إذ كانت فكرة الإكراه في أصل هذا الحق، وكانت القوة الطبيعية لأسرة، لقبيلة أو لشخص تستلزم حقاً؛ ويضيف المؤلّف «وإلى حدٍ ما، كانت التعاليم الدينية، التي صارت واجبةً بمقتضى الخوف من العقاب الإلهي، تنطوي على طابع حقوقي» (م. س، ص 233).

---

(١) Ibid, p. 252.

(٢) Ibid, p. 252.

(٣) Encyclopédie Grand Larousse, t.4., Paris, 1961, p 233.

(٤) Ibid, p. 233.

II. الحق الروماني، مكانة البِكْر

نجد في القوانين الرومانية عاملاً دالاً في رأينا، إذ إن الإبن البِكْر مميَّز في قانون التعاقب أو الخلافة. وهذا الأمر كافٍ لكي يشعر هذا الإبن أنَّه مختلف عن أخوته. وعندنا أن المساهمة الخاصة للحق الروماني في هذا المجال، تتجلى في احترام قانون «الوراثة» الذي «يستجيب لغريزة السيطرة[١]، التي تمنح للذّكَر عموماً، وللبِكْر خصوصاً إمتيازاتٍ في مختلف التشريعات الرومانية...». وكانت غاية هذا الامتياز للإبن البكر «الحفاظ على وحدة الإقطاعات»[٢]. فعند وفاة الأب «سيحصل الإبنُ البكر على جزءٍ من ميراثه، أو حتى عليه كله»[٣]. حالياً، صار هذا الحق هو المبدأ القائل «إن الابن يمكنه الاكتساب من أبيه العائلي»[٤]: الأمر الذي يحدّ من فكرة تبعية الابن الكليّة. إلاَّ أن حق التوريث في القانون الروماني الحالي، يقوم على مبدإ المساواة بين الأخوة عند وفاة الأب، وينطوي على إلغاء حق البكورة الذي كان سائداً في ظل النظام الروماني القديم، ولكن العرف لا يتقيّد دوماً بالقانون، فيمكن للأب أن يمنح البكرَ حقّاً مميزاً.

III. حق البكورة في التوراة، العهد القديم

في الكتاب المقدس، لكلمة بِكْر معنيان مختلفان: فهو يدلُّ على «الطفل الأول لامرأة، دون التساؤل عما إذا كان لوالد الطفل أبناء آخرون قبله»[٥] من جهة؛ ويدلّ من جهة أخرى على «الولد الذّكر الأول، المولود لرجل، ...، من زواجه الثاني» (م.س. ص 318).

---

(١) M. GASTON, Art. in Grande Encyclopédie Lorousse, p. 583.

(٢) Ibid, p. 585.

(٣) R. MONIER, Manuel de droit,op.cit, p. 255.

(٤) Ibid, p. 261.

(٥) F. VIGOURAUX, Dict. de la Bible, op. cit., p. 318.

فما هي مرتكزات حق البكر أو الإبن الأول؟

(أ) التسمية: في معرض الكلام على ذرية سام، لا يذكر سوى اسم الإبن البكر.

(ب) الطابع الديني لحق البكور حق مقدّس، ويستلزم التنازلُ عنه يميناً.

(ج) التكريس لله.

(د) الافتداء.

(هـ) حق البكورة مصدر اعتزاز أو قلق، مصدر حنان أو عقاب.

(و) في الميراث للبكر حصتان، أو الحصة الأفضل، وهذا لا يحرم ثاني البكر من حقه.

(ز) طاعة الأخوة للإبن البكر.

(ح) واجبات الإبن البكر: ثأر الدم، تحمل مسؤوليات أخواته غير المتزوّجات.

IV. مضمون جديد للبكورة في الأناجيل والرسائل

لا يتحدّث العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) عن حق البكورة بوصفه حقاً دنيوياً، بل على العكس يتحدّث عن المساواة بين الأفراد، ومن ضمنهم الأخوة، تظهر هذه المساواة في عدد من الآيات الإنجيلية، التي نورد أشهرها: «ليس هناك يهودي ولا يوناني، ولا عبد ولا حر، ولا رجل ولا امرأة؛ لأنكم جميعكم لستم سوى واحد في يسوع المسيح» (**لوقا 7, I**). إلاّ أن ما يلفتنا على مدى هذه الكتب هو وصف المسيح بأنه مولود أول، إبن بِكْر، فضلاً عن مواصفات أخرى خاصة بالإبن البكر، وواردة في العهد القديم، فما هي أسباب ذلك؟ يوضح تفسير صفة «المولود الأول» في اليونانية التوراتية، أن المقصود

بذلك. . «كرامة الطفل وحقوقه»، ولا يتضمن اللفظ وجود أخوة آخرين بالضرورة. إلى ذلك يصف القديس بولس في رسالته إلى العبرانيين، المسيح بأنه «مولود أول»، دالاً بذلك على أوليّة المسيح: «إنه صورة الله الخفيّ، المولود الأول بين المخلوقات لأن كل المخلوقات خُلِقت فيه، . . .، فهو المبدأ، المولود الأول بين الأموات».

(La Bible, Colossiens I, 15, 18).

في العهد الجديد، ظلَّ حق البكورة «أمراً» مقدّساً، فالإبن البكر، الأول، هو وريث وعود مسيحانية، والحال فإن الأناجيل تعزو إلى المسيح أكثر من 45 صفة يدور معظمها حول الرسالة الروحية المكلَّف بها؛ ويعبّر عن الكرامة والعظمة وألوهية المسيح، المنقذ، المولود الأول للأب، رئيس «أخوته»، لا بوصفِهِ مولوداً أول في أسرة أو ذرية، بل بوصفه عنوان «جسد» الكنيسة، و «نموذجاً» كاملاً، و «مثالاً» تاماً، الإبن الوحيد للأب، أحد أقانيم الثالوث: إنه «السيّد» قداسة الشعب و «الوسيط» بين الأب وإخوانه؛ «أمير الحياة، . . .، الملك، رسول الله ومعلِّم الحياة» (يوحنا III ,22 - 36). وهو «الرئيس، القديس، العادل» (لوقا XXIII ,2 - 5 ,19 - 25)، أي الذي يقود الناس إلى الحياة، بأمر من أبيه الذي أرسله. ناهيك بأن الاسم جزء لا يتجزأ من الشخص وامتيازاته، وأن ذِكْر الإسم لا ينفصل عن ذِكرِ «قوّته»: «ابن الله»، «نبـي»، «قديس الله»، «النّور»، الخ، وعلى غرار الآب في العهد القديم، راح السيد المسيح يغيّر أسماء بعض تلامذته، (شمعون = بطرس): «أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة سأبني بيتي» (متّى XVI ,17). هذا يعني أن الاسم يرمز إلى الدور المناط بحامله. وكذلك الحال بالنسبة إلى شاوول الذي حوله المسيح من مضطهد للمسيحيين إلى رسول جديد اشتهر فيما بعد برسائله وفي أعمال الرسل. ويلاحظ في العَهْدِ الجَدِيدِ، المتمم للعهد القديم، أن «بقية» إسرائيل هي المسيح

الذي تكثّفت فيه ذريّة إبراهيم، وهو الذي «يرث كل شيء» (متى 38, XXI) فورث اسماً من أسماء الملائكة.

٧. الإبن البكر في القرآن

ما يعنينا في هذا المجال هو ما يمكنه تسليط الضوء، في القرآن الكريم على الجانب النفسي ــ الاجتماعي لحياة البِكْر في لبنان.

ليس في القرآن تخصيص للإبن البكر. فمن تقاليد العرب قبل الإسلام التوريث بلا وصيّة. (را: صبحي المحمصاني، الأوضاع التشريعية في البلدا العربية، ماضياً وحاضراً، بيروت 1962، صص 42 - 44). وكانت تعطى الأهم الكبرى للذريّة من الذكور، وتعزى: أسبابها إلى قوّة الرجل في القت والغزوات، في العمل وفي الذود عن القبيلة.

والإسلام لم يقضِ على عادات الجاهليّة الأولى، بل طوَّر بعضها، وحـ الحقوق أو الحدود (حدود الله). ومنها تحديد مكانة المرأة التي حسَّن وضعه فصارت تشارك في الإرث وفي حق الحيازة لكنها بقيت دون الرجل على صع الإدلاء بالشهادة: شهادة امرأتين مقابل كل رجل عَدْلٍ؛ وعلى صعيد الميرا (للذكر حظّ الأنثيين) فيما جرى تخصيص الرجال بالقوامة على النساء، لما فضّ الله بعضهم على بعض (القرآن، 38/IV).

في الحياة العائلية، الأهمية الأولى هي للذرية من الذكور، فغاية ولا الإبن هي ديمومة العائلة البطركية، الأبوية، وذرية الأبناء الذكور هي نعمة الله. أما الميراث فهو بالدرجة الأولى مخصص للذرية الذكوريّة (ضعف حـ الأنثى)، (القرآن 12/IV). وفي هذا الإطار لا بدّ من اعتبار القرابة وجنس الذ ودرجة القرابة. ومن بين التقاليد الحافظة للموروث، نجد الزواج بين ابن ا وبنت العم. وهذه العادة لا تزال قائمة، بنسب متفاوتة، حتى أيامنا. ويمار اللبنانيون، بصرف النظر عن دينهم.

زدْ على ذلك أن التسمية لها دلالتها الخاصة، سواءٌ باختيار أحسن الأسماء للأبناء، مثل محمد وعلي ويوسف... إلخ، أم بالتشديد على الكنية (أبو فلان) التي تحيل إلى الإبن البكر، بالنسبة إلى الأب والأم على حد سواء (أم فلان). من هنا أهمية اسم الولد البكر التي ستعزى أيضاً إلى الأخوة (أبناء وبنات أبي فلان)، والتي سترشد إلى الجبّ داخل الأسرة البطركية الكبيرة.

هكذا نلاحظ أن لا خصوصية للإبن البكْر في القرآن، كما هي الحال في الكتاب المقدّس، أو في الجاهلية ــ ما قبل الإسلام، أو الفترة الممتدّة بين المسيح ومحمد عليهما السلام ــ ومع ذلك يبقى أثر من ذلك في العائلات العربيّة، هو اسم الانتساب أو الانتماء، حيث يحمل الأبُ كنيةً يُكنى بها، فضلاً عن اسمه الأول، الذي يخرج اجتماعياً من التداول، بعد ولادة مولوده الذَّكري الأول. إنه علامة الرجولة عند الرجل، أو دليل التعرّف إلى الجبّ أو الجماعة التي تنتسب إليها أسرة الرجل، التي تعرف أيضاً باسمه. وهذه العادات تمارس حتى اليوم لدى الشرقيّين أكانوا مسلمين أم من دين آخر (المصدر نفسه) □

• • •

الفصل الثاني

السّياق اللبناني الاجتماعي ـ الثقافي والعائلي

□ لا تنفصل الدراسة الشاملة لكل جماعة بشرية عن دراسة الوسط السكني. ولدرس موقع الإبن البكر على نحو أفضل، لا مفرّ من تحديد موقعه بالنسبة إلى وضع المجتمع اللبناني المركّب وظروف حياته.

I. الإطار الاجتماعي ـــ التاريخي

لبنان ككل بلدٍ مدين لماضيه، فلا تفهم العقليّة اللبنانية إلاَّ من خلال العوامل التاريخية والجغرافية والثقافية. والحق أن دراسة جانبه الجغرافي يمكنها أن تجعلنا نفهم تاريخه فهماً أفضل، إلاَّ أن موضوع دراستنا لا يستلزم عملاً كهذا. أما الجانب الثقافي فسيجري تناوله مداورة، نظراً لارتباط الثقافة الوثيق بالمعتقدات. وعليه سنتحدث عن الوجه التاريخي، وخصوصاً عن المعالم التي أثّرت في تصورنا للحق والعادات والعقليّات.

1. أحكام المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦

آنذاك كان يقتدي المسيحيون، وما برحوا يقتدون دوماً بشرائع تعود إلى القرن الميلادي الرابع[١]، هي نفسها موروثة من ماضٍ يرجع إلى ستة آلاف سنة على الأقل.

---

(١) داوود (المطران الماروني)، كتاب الهدى، الموضوع بالسريانية سنة ١٥٠٩، والذي نقله إلى العربية ب. فهد سنة 1935، وطبع في حلب سنة 1935، ص I.

في عداد أحكام المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦، نجد نص قانون مدني، يستعمله المطارنة الذين كانوا يقومون آنذاك، وفقاً للأعراف في المشرق[١]، بمهام القضاة. هناك قانون وضعه المونسنيور عبد الله قرألي، «خلاصة القانون»، وجرى العمل به من 1736 حتى 1942؛ وكان معمولاً به ليس لدى الطائفة المارونية وحسب، بل لدى كل الطوائف المسيحية في لبنان، طيلة القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر[٢]. وصفوة القول إنه كان القانون المدني للطوائف المسيحية اللبنانية بنحو خاص في عهد الأمراء الشهابيين (1697 — 1841)[٣].

ولقد أردنا التنويه بهذا الكتاب لما يمثِّل من أهمية تاريخية بالنسبة إلى موضوعنا.

إن أحكام المجمع اللبناني، أقله قانون التوارث لدى غير المسلمين في لبنان، ظلت متداولة حتى 23 تموز (يوليو) 1959. ومن ثَمَّ، تشدّد المادة 15 من القوانين اللبنانية الراهنة على المساواة بين الأطفال: «إن أبناء الرّاحل (أو الأب المتوفَّى) يرثون أباهم وذريتهم بلا تمييز بين الذكور والإناث[٤]». مع العلم أنَّ غير المسلمين كانوا، قبل القانون المذكور، يطبقون الشريعة الإسلامية، مثل المسلمين، على صعيد قسمة الإرث بين أبناء «الأب المتوفّى». وكانت حصة الصبي غير المسلم من الميراث ضعف حصة البنت. ناهيك بأن حق المرأة في الميراث لم يكن مطبقاً حسب حكم القانون، كما سنشير إلى ذلك.

---

(١) المصدر نفسه، الباب الأول، الفصل الثالث، الرقم 4، ص 357.

(٢) م، ن. ، ص 358.

(٣) م. ن. ، صص 24 — 26.

(٤) نبيل جواهرات، مجموعة قوانين الأحوال الشخصية، المادة 13، بيروت، 1974، ص 584.

(أ) مكانة المرأة:

كان «يحق للمرأة أن تحصل على مَهْر، حسب قوانين كل بلد»[١]، ويُضاف إلى ذلك «حسب قوانين الشرقيين، كان يتعيَّن على المرأة أن تهبَ لزوجها نصفَ مهْرها»[٢]. ويسمح القانون في الفصل نفسه بأن نلاحظ الحرية المتروكة للأب لكي يمنح لابنته، يوم خطوبتها، الحصة التي يشاء، دون أن يُقيد بأي قانون: «إذا أعطى الأب لابنته مالاً أو ذهباً، أو أي شيء آخر، وإذا غيَّر رأيه يحق للخطيب [المكلَّف الجديد] أن يطلب من الأب المَهْر المُعيَّن»[٣].

(ب) حق البكْر

بخصوص الإرث، «يوزّع الأب ثروته على أبنائه، بعدما يعطي مُهُوراً لبناته، . . . ، كما يمكنه أن يكون ذا نفوذٍ على أبناء أبنائه، وهذا ما لا يصحّ على أبناء بناته. . .»[٤].

في هذا الكتاب جرى مرَّة واحدة ذِكْرُ الإبن البِكْر، ونجد فيه أنَّ حق البكر في الميراث لا يختلف كثيراً عنه في العهد القديم: «إذا ترك رجلٌ الميراثَ أو قسماً خاصاً لابنه البكر. . .»[٥]. وهذا يُفيدنا أنَّ هذه العادة ظلَّت متداولة في لبنان طيلة القرون الأولى.

وليس وارداً القول أن الآداب الأخلاقية مرتبطة بالقوانين، وما إذا كان حق البكورة قد سقط مع المسيحية، ومع ذلك لم يفقد كل آثاره.

---

(١) بيار فهد، كتاب الهدى، م. س، ص 380.
(٢) م. ن.، ص 381.
(٣) م. ن.، ص 385.
(٤) م. ن.، صص 394 — 403.
(٥) م. ن.، القانون 103، ص 402.

2. حق البكورة في مجتمعنا الراهن

مهما تكن درجة الحرية التي يمكن أن يبلغها الإنسان في أي مجتمع، فإنَّ العادات والتقاليد إذْ تظلّ نقطة ارتباط بماضيه الخاص، إنما تخضع لأعرافه دون انتباه لذلك.

إن إنسان القرن العشرين يتمتّع بحرية أكبر من الحرية في القرون الماضية، مع المسيحية، شهد حق البكورة تطوراً، على الرغم من عدم تطبيقه إلاَّ مع الثورة الفرنسية وفقاً لمبدإ: حرية، مساواة، أخوَّة، ومنذ ذلك الحين، ظهر إلغاء حق البكورة في كثير من البلدان، ومنها لبنان، ولا سيما من خلال «حقوق الإنسان».

إن لبنان الذي شهد على التوالي غزو الإسكندر، وهيمنات الرومان والبيزنطيين، ثم العرب وخاصة العثمانيين، لم يكن من السهل استخلاص عاداته القديمة ولا قواعد حياته. إن «وضعه الجغرافي والأصول المختلفة لسكانه، كما يقول توفيق توما، تفسر إلى حدٍ كبير مزايا وحياة مؤسساته على مرّ الأجيال»[١].

إن تعلّق اللبناني بوطنه واستثمار الأرض والحقول والقرى دفعا الأنثروبولوجي كروسويل إلى تقديم صورة دالّة على الأسرة اللبنانية التقليدية التي تستمدّ قوّتها من العدد الكبير للأبناء نظراً لأن «الأرض تعود لمن يستثمرها...»[٢]، ولأن ثروتها تكمن في الأشغال التي تحتاج إلى «السواعد القوية»[٣]...

---

(١) T. TOUMA, **Paysans et Institution Féodales chez les Druzes et les maronites au liban du XVII siècle à 1914,** Beyrouth, 1971, p. 15.

(٢) R. CRESSWELL, **Parenté et Propriété dans la Montagne Libanaise,** Études rurales, Oct. déc. 1970.

(٣) م. ن.

يتمتّع لبنان، منذ استقلاله، بنوع من «الليبرالية؛ فقد اعتمد نظاماً مستوحىً من الغرب، نظام حرية المنشأة واحترام العلاقات التقليدية في نطاق العائلة والطائفة. والدولة تنزع إلى التحديث، فتتكيّف معها الطوائف دون أن تنقطع عن هويتها النسبية وحيويّتها الشرقية»(١). في هذا الصدد، كتب معين حدّاد: «تقومُ الدولة على قَدْر بسيط من السلطات والتأثيرات في مختلف الطوائف، من هنا اللجوء الدائم إلى الشطارة والمرونة والتسويات المتواصلة»(٢). الأمر الذي يؤكد الفكرة القائلة إن اللبناني مرتبط بطائفته الدينية، وتالياً بعائلته التي تتمسك بانتمائها الطائفي، وتستمدّ قوّتها من «إعلان الهوية وهي ركيزة أو نتيجة البديل للولاء الإثني...»(٣).

والحال، ظلّ لبنان بلداً بالغ التنوّع، وواصل على مرّ الأجيال معاناة الأحداث العنيفة.

بعدما توطّن اللبنانيّون، رغبوا في البدء معاً من جديد، لتسوية التناقضات، و«نسيان الخصومات، و... العيش كأمة هربت من الاضطهادات... وتحب أن تعيش بسلام» (دومينيك شفاليه، مجتمع جبل لبنان، م. س.، صص 16 — 24).

غير أنّ الحوادث المأسوية والدامية التي تمزّق لبنان، منذ 1975، والتي فكّكت اللبنانيين واضطهدتهم وهجّرتهم، تفصح عن الحقيقة الاجتماعية الجغرافية للبنى الاجتماعية اللبنانية التي «تقوم على الجماعة كركيزة للحياة في

---

(١) D. CHEVALIER, **La société du Mont - Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe,** Paris, Paul Geuthner, 1971, PP. 66 — 67.

(٢) M. HADDAD, **Le Liban, milieu et population,** Beyrouth, 1981, p. 196.

(٣) S. ABOU, **Christianisme politique et athéisme politique,** Travaux et Jours, Juillet - sept. 1971, pp.3 - 4.

المجتمع»[١]، والتي «تظلّ الطائفيّة عنصَرها التماسكي»[٢]. مما يضع البلد في وضع متزايد الصعوبة والغموض، ما دام يُرفَض كل حل منطقي ومعقول، ويُعتمد على الاحتكام للسلاح. ومرّة أخرى، يجد التفوّق الذكوري تفسيره الطبيعي في ظاهرة حمل الرجال للسلاح.

إن حالة الحرب الراهنة في لبنان تؤكد ارتقاب العائلات، بقلق، مجيء ولد إلى الدنيا، وتُفسَّر إلى حد كبير بالتسابق لامتلاك لبنان طائفياً وبالحفاظ على الهيمنة، على الرغم مما يقوم بين الطائفتين الكبيرتين في لبنان: «المسيحية والإسلامية من مودّات وصلاتٍ أكثر مما يُظن»[٣]؛ وكما يقرّر الأب سليم عبو: «هاتان الطائفتان تتقاسمان أكثرَ مما تعتقدان، مُثُلاً مشتركة في السلوك والفكر»[٤].

لذا يبقى الشعب اللبناني مستنفراً، على الرغم من ثقته الراسخة في خلود بلده، ناهيك بأنَّ تاريخ لبنان هو حصيلة العلاقة العائلية وضرورة اليد القوية، يد رجل تقوم بتوفير معيشة العائلة. فالرجل هو «ركن البيت»[٥] و «بركة الله»[٦]. ففي لبنان، يحبّ المرء أن تكون ذريته كبيرة: إن بيتاً من دون أولاد، يُعتبر. . . ، كما كان الحال لدى العبرانيين، آيلاً إلى التعاسة واللعنة الإلهية»[٧].

والحال، تُفهم العلاقة العائلية اللبنانية بوصفها حصيلةَ التاريخ

---

(١) S. ZABLITH, la structure de l'autorité dans le groupe Familial du Liban, Thèse de Doctorat d'Etat, 1977, p. XIII.

(٢) Ibid.

(٣) D. CHEVALIER, La Société du Mont - Liban, op. cit, p. 67.

(٤) Sélim ABOU, L'Identité culturelle, éd. Anthropos, 1981, p. 42.

(٥) Michel Feghali, Proverbes et dictons syro — Libanais, paris, 1938.

(٦) كما جاء في مثل شعبي.

(٧) M. FEGHALI, La Famille maronite au Liban, Adrien Maison neuve, (S. d.), P. 7.

والاعتقادات الدينية. إلاّ أن حق البكورة لم يعد له القيمة ذاتها والمعنى نفسه (بفضل العادات الممارسة في بلدنا والأحكام والقوانين المدنيَّة التي وضعت بوحيٍ من الديانات المختلفة)، بل صار قانوناً أخلاقياً، والأسرة حاملة الثقافة والعادات، تواصل نسبة حقوق أخلاقية إلى هذا الإبن، يمكن تلخيصها كما يلي:

1. الإبن البكر لا يزال يتمتع، تجاه أخوته وكل الأسرة بسلطة مقبولة ناجمة عن رتبته كسيّد مقبل للبيت.

2. إن اسمه هو الشهرة أو «الكنية» التي يُشار بها إلى الأهل دوماً: أبو هاني/ أم هاني، مثلاً، وهذا مصدر اعتزاز له.

3. على الطاولة، يحتل دوماً المرتبة الأولى بعد الأب.

4. يظل سند العائلة في غياب الأب أو بعد وفاته.

5. يعيش دوماً في حالةٍ من التأهب حتى لا يتعداه البكرُ الثاني. بنحو خاص.

6. ينزع لكي يكون المثال لأخوته، القدوة الحسنة، حتى لا يحل محله هذا أو ذاك من الثواني.

7. هو الوسيط بين الأب والأخوة وإلى أي حد يكون لهذه الامتيازات تأثير في شخصية الولد في خلال تطوره؟

II. الإطار العائلي

العائلة هي المحيط الذي يبدأ فيه الطفلُ تاريخه. «ولا يكون رجلُ العلم ضائعاً في أي مكان مثل ضياعه عندما يتناول الإنسانَ نفسه»[1]. فالأعمال

(١) W. HASLETT, les problémes non résolus de la science, in Bollet Band, la Personnalité, éd. Masson, 1957. p. 5.

لا تُفسَّر إلاّ بماضيها. وما آل إليه إنسان «لا يتوقف على طبيعته وبيئته وحسب، بل أيضاً على الظروف الطارئة التي يجد نفسه فيها»[١]. وفي المقام الأول، العائلة هي الوسط الحامل نفوذاً وتأثيراً، وهي «نتاج أرض ــ ملاذ»[٢]. والعنصر الذكري «يتقلّد التعبير عن السلطة والهيمنة»[٣]. وهذا يتجلّى في دور الأب في الأسرة حيث «يكون الممثل الشخصي غير المنازع للسلطة»[٤]؛ كما يرى المؤلِّفُ أن «سلطنة رب الأسرة هي فئة اجتماعية تفسّر ترسّبات استقلالنا»[٥]؛ الأمرُ الذي يقودُنا إلى الاستنتاج مع المؤلّف «أن الخلفية النفسية ــ الاجتماعية للسلطة العائلية في بلدٍ ما تكون توقّعيّة: ففي مناخٍ من قلق الأمة وتفككها، تظهر مع امتيازات السلطان»[٦].

هكذا سندرك العلة التي جعلت الروابط الاجتماعية والأنماط التنظيمية المجتمعية، موجَّهة من القاعدة، بنظام القرابة الذي يضطلع بدور التضامن، ويستلزم ممارسة بعض الأنماط التنظيمية العائلية والاجتماعية.

1. العائلة

في بيئتنا الاجتماعية، يجري تعريف الأسرة بوجود الولد خصوصاً. إن الأمنية الأولى التي يتمنّاها الزوجان هي أن يرزقا ولداً، إبناً بالتحديد، وعندها يكون المولود الأول الشرط الضروري لكي يتمكّن زوجان من اعتبار نفسيهما يشكّلان عائلة. إن تعريف العائلة بالولد يعني تعريف الأهميّة الوجودية للطفل،

(١) G. BERGER, Caractère et personnalité, Sup., P. U. F., 1971, p. 85.

(٢) S. ZABLITH, La structure de l'autorité, op. cit., p. 73

(٣) م. ن.،

(٤) م. ن.،

(٥) م. ن.، ص 38.

(٦) م. ن.، ص 38.

خصوصاً الذَّكَر، وبالأخص الإبن البكْر أو الإبن الأول. مع هذا الإبن «تنفرزُ العلاقات... على أساس واضح من الأواصر السلطوية»(١)، وهي سلطة تمنحها الأمّ(٢) بنحو خاص، التي يعترف بها ويحترمها الأخوة(٣)، كما تأكّد تجريبيّاً «أن الأخ البكْر تقع على كاهله مهمّة تمثيل العائلة في المجتمع، وأن الأهل يمنحونه معنى المسؤوليات بوجه خاص»(٤).

إن المرأة التي تتزوج تدينُ كلّياً لزوجها ولأسرته؛ ومولد الإبن الأول يؤكد دورها كأم، كما يقول المثل: «الولد مولود، الزوج موجود، الأخ مفقود»(٥).

هكذا تظهر أهميّة الإبن البكر في ما تعطي للعائلة من دلالة، بوصفه المُنْجِب والمسؤول بعد الأب، مع كل ما يتعلق بذلك من قيم.

2. الأم

عموماً، تنتظر الشابة المتزوجة طفلاً منذ سنة زواجها الأولى. وأمنيتها أن يكون هذا الطفل صبياً، وهذه أمنية مطابقة لعادات الأجداد، هكذا تقول أكثرية النساء في استطلاعنا: لحسن الحظ أنجبت طفلي الأول في السنة الأولى من زواجنا. وتعيش في قلق الانتظار، النساء اللواتي يستغرقن أكثر من عام، قبل الحَمْل. ومردّ ذلك إلى النظرات المنصبة عليها والتي تولّد عندها شعوراً بالذنب. وتظن النساء أنهنّ مخطئات، فيما كنا يفضّلن، بلا ريب، أن يعشن

(١) م. س.، ص 57.

(٢) انظر لاحقاً، حيث حصلنا على 68٪ من نسبة الآباء الذين يعترفون بامتيازات للبكر، Gf_1 — Z3.

(٣) م. ن.، 73 — Gf_1 — Z_3 من الخاصة يعترفون بامتيازات للبكْر.

(٤) S. ZABLITH, La Structure de l'autorité... op. cit, p. 57.

(٥) M. FEGHALI, proverbes et dictons syro — libanais, op. cit, No 963, p. 213.

حياتهن الزوجية لبضع سنواتٍ بلا أطفال؛ وتعيش هذه النساء مكسوفاتٍ، فلا يتجاسرن على إغضاب زوجهن ولا أهله؛ فيعشنَ حالة اللواتي يتهمن بالعقم، بحق أو بغير حق، وفي الأغلب، يحكم عليهن وحدهن بأنهن متهمات بالعقم؛ وهكذا تُهان المرأة، وتنظر إليها العائلة نظرة إشفاق كريه، وكذلك جيرانها؛ فهي متهمة بالعار لأنها لم تنجبْ أولاداً»[1]. ولئن كان صحيحاً أنَّ عليها استشارة الأطباء النسائيين، وأحياناً الخضوع لوصفات العجائز العجائبيّة، لا يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الزوج الذي يعامل دوماً كرجل مُفْتَرِض. وقد لا يخطر في بال مخلوق أنّه مصاب بالعقم.

ناهيك بأنَّ الارتقابات المحيطة بالأم الحامل، تقيّد حريتها في العيش الهانيء؛ وهي تحظى بالمساعدة خصوصاً في شهرها الأخير، إلى أن تجد نفسها في درجة رفيعة من التوتّر؛ إنها تعيش في الخوف من إنجاب بنت: «أخشى أن أُنجب بنتاً بعد كل العناية التي أحاطوني بها»[2]. وصرّحت لنا بعض الأمهات، في لحظة الولادة بالذات، وعند إعلان كلمة ـ صبي ـ «نسيت كل آلامي، وكنتُ فخورةً جداً وأخيراً هادئة، ما دام زوجي سيكون مسروراً»[3]. إن فرح الأب يتعدّى كثيراً فرح كل أفراد العائلة، فهو «منقول إلى السماوات»[4]، و«الحلوينة»[5] أي الهدايا أو الملابس، تقدّم عموماً للجميع، الأهل والأصدقاء، وتقدّم للأم مجوهرة ثمينة؛ فيما ينقلب جو البيت حِداداً لمدّة أربعين يوماً»[6]، عندما تولد بنت. إن مولد الإبن الأول يظل مهماً للأم وللإبن على حدٍ سواء:

(١) M. FEGHALI, **La Famille maronite au Liban,** op. cit, p. 7.

(٢) أقوال مستقاة من استطلاعنا.

(٣) م. ن.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) حسب مثل شعبي.

«كل حدث يهزّ وجدان الأم، يؤثر في أمومتها»[١]. ولا ننسى أن «المرأة هي أم بكل شخصها: إذْ يندرجُ ماضيها ومستقبلها في نزوعها إلى الطفل»[٢]. إن مولد الطفل الأول يجعل الأم سعيدة راضية، وذات قيمة رفيعة، الأمر الذي يؤثر في طفلها، حسب القوانين النفسانية.

3. الأب

ينتظر الأبُ بفارغ الصبر وبقلق خفي، ذريّته؛ وما العناية التي يحيط بها امرأته والاهتمام الذي يخصها به، سوى شاهد، وخير دليل على رغبته في أن يكون أباً، دون أن يقلّل ذلك من حبّه لامرأته. فهو يريد أيضاً أن يبيّن «قوّته» أي رجولته، حين ينجب ولداً، وبشكل أخص، حين يكون هذا الولد ذَكَراً. ولنشدِّدْ على أنَّ الأب حين لا يكون لديه صبي، يعتبر نفسه «ناقصاً» (قول شائع). ويقول بعض الآباء على الرغم من ثقافتهم: «في الصميم لا يكون الأب [كاملاً] في شعوره إلاَّ عندما ينجب صبياً» (وهذه أقوال لم نكن نتوقعها في استطلاعنا).

يشعر كل لبناني أنه مرتبط بالعائلة، بالتسمية بالأسرة الكبرى، وتحتفظ شجرة العائلة بمكانة مهمة حتى في أيامنا؛ إن قيمة الفرد لا تبلغ تمامها إلاَّ بأبوّة المتزوّجين.

هذا ما يفسّر، جزئياً أحد أسباب الارتقاب المنشود لصبي، والتطلع إلى مواصلة السلطة المكوّنة للحياة العائلية.

III. الإطار النفسي ــ الاجتماعي

يجري التطور الاجتماعي للطفل حسب مسار تبايني متصاعد؛ فمنذ

---

(١) Bétrice MARBEAM — CLEIRENS, «Psychologie des mères»; éd. Univ, 1966, p. 177

(٢) م. ن.، ص 279.

ولادته، وبالأخص في مجرى الأعوام الأولى، ستكون تأثيرات البيئة الحيوية وظروف الحياة أوليّة في تحديد الخطوط العريضة التي ستُبني عليها الشخصية.

قبل ثلاثة أشهر من عمره، يحتاج الطفل، كعنصر حيوي إلى محيطه، إلى شخص يحبّه وبه يهتمّ، هذا الشخص سيكون، أساساً، الأم أو بديلتها. إن حجر الزاوية الذي يرتكز عليه تفتح الطفل هو الحياة العاطفية المكوّنة من مجمل الحالات الوجدانية في هذه المرحلة، ويكون موقف الأم فطرياً، فهو ليس عقلياً ولا قصْدياً، بل يتوقّف على طريقة حياتها في علاقتها مع طفلها. وعليه، يكون حبُّ الأم في آن رعايةً وحناناً وتفهماً، أي أنه يكون حباً حدْسياً، يتجلى بسلوكها تجاهه؛ تكفي الإشارة إلى واقعة احتضانها طفلها بين ذراعيها وشدّه إلى صدرها. فهذا التبادل العاطفي بين الأم وطفلها، هي بكلماتها وحركات حنانها، وهو بنظرته؛ بابتسامته وكل حركاته، له أهميّة بالنسبة إلى نشوء الواقع الوجداني عند الولد. وعلى تبادل هذا الحب الأمومي، ستتوقف إلى حد كبير العاطفيةُ المستقبلية للولد المتخلّق بأخلاق الأم، وسيستمر هذا التأثير في نفسيّة الراشد، إلى ما لا نهاية، كما يقول وينكوت: «إن الأساس الحقيقي الوحيد للعلاقة بين طفل وأبيه وأمه... ومجتمعه، هو العلاقة الأولى الناجحة بين الأم وصغيرها»(١).

والحال، لا يمكننا درس الطفل بمعزلٍ عن سياقه العائلي والاجتماعي، خارج علاقته الخاصة مع العالم المحيط، كما يقول دياتكين: «ليست غاية الإنسان كموضوع معرفي... برنامجاً عملياً، بل هي شيء ما يقع خارج أفق شروط معرفتنا»(٢).

---

(١) D.W. WINNCOTT, **L'enfant et sa Famille,** Payot, 1957, pp. 34 — 35.

(٢) René DIATKINE, **De l'observation de l'enfant à la thérapeutique,** E. S. T., 1977. p. 178.

إلاَّ أن علاقات الرضيع الأولى هي، في جزء كبير، وقفٌ على كل العلاقات الأخرى ما دون العائلية. وكما يقول سبيتز: «هذه العلائق. . . تخضع لمعطيات أخرى كثيرة، مثل التأثيرات الثقافية، والظروف الاقتصادية والجغرافية، وكذلك العلاقات التاريخية»(١).

1. الإبن البِكْر كما تراه الأم

إن الآراء المجمّعة لهذه الغاية تؤكد فرضياتنا الأساسية، وتسمح لنا باستنتاج تفضيل الأهل لأن يكون مولودهم الأول صبياً (60 ٪ من أقوال الأمهات المستجوبات عشوائياً). فالأم تعتني عناية كبرى بولدها، وتحيطه بكل اهتمامها المشوب بالقلق، فهي غير خبيرة من جهة، وتخاف من جهة ثانية أن يُصاب الولد بمرض أو أن يموت. إذ يمكن أن يتهمها زوجُها وحمواها بالإهمال، ويمكن أن تكون العواقب وخيمةً عليها، ويزداد هذا الشعور بالخوف تجاه الإبن البكر، لدى الأم،. إذا كان البكر الثاني بنتاً، إنها تخاف أن تخسر الصبي، فتواصل الاهتمام به، فيما تشغلها صحة البنت، حقاً، ولكن من دون تخوّف ودون شعور بالمسؤولية التي تلازمها عندما يمرض الصبي. وعندما يكونُ البِكْر الثاني صبياً، تكون الأم أقل قلقاً عندما يمرض أحد الأولاد. وهكذا يعيش البِكْر، منذ نعومة أظافره، في هذا الجو من العناية والحرارة العائلية. إنه «نقطة ارتكاز» كل أفراد الأسرة الكبرى. ويتأثّر «أناه» خلال تطوره خصوصاً في مجرى السنة الأولى من حياته، في هذا الجو من الاهتمام العاطفي.

يظهر أول «وعي مكاني للعالم» مع الفطام؛ فهذه المرحلة تفك الارتباط بين تفاعل الأم ــ الولد حيوياً، وهكذا تكون مصحوبةً بمسافةٍ عاطفية وتمايز عن الأم. ممّا يحفّز الطفل الصغير على وعي ذاته، فيبدأ بوعي ذاته الذي يتطوَّر مع تفاعله وأمّه: إن تصوّر الذات شيء يُتَعَلَّم، ويكاد يكون نوعاً من

(١) René SPITZ, de la naissance à la Parole, 6ᵉ éd., P. N. F., 1979, p. 15.

الاشتراط المرتكز عل نظرة الآخرين إلى الفرد»[١]. ويذهب كل علماء النفس إلى أن مرحلة الفطام هي الأصعب قبل بلوغ العامين، لكنها تكون أقل صعوبة لدى الإبن البكر، المتعوّد على شتى ضروب النظافة في جوٍ عاطفي من الأمن والحب، حسب الآراء المُستطلعة؛ ولا يمكن انقلاب هذا الشرط إلاَّ عند ولادة طفلٍ جديد وخصوصاً، ولادة أخ صغير.

2. الإبن البكر كما يراه الأب

مهمّ هو تأثير الأب في الإبن البكْر، لسببين: العامل الاقتصادي وهاجس الديمومة. يتجلى العامل الاقتصادي من خلال ظاهرة النظر إلى البكر. بوصفه «الأمل الكبير، وسند أبيه» كما يُقال عادةً في العائلات... وتتجلى الديمومة من خلال الذكَر، بالتسمية المألوفة: فالبكر هو الولد الذي يعطي الكنية لوالديه. من هنا يأتي طقس البِكْر؛ الأمر الذي يسمح بحيازة وضع خاص. «هكذا يتراءى لنا التاريخ في وجهه البدائي، بوصفه مرتبطاً بعاملي: الصراع لأجل الحياة، ولأجل الهيمنة»[٢]. يقدّم منير شمعون، في دراسته للأسرة، صورةً للأب واضحةً جداً؛ «كائن سلطوي ومُهاب، فالأب هو أولاً الرجل الذي يملك كل الحقوق»[٣]. وحضورُه في البيت يكونُ مصحوباً بشعور بالخوف، فهو «أول مَنْ تخدمه العائلة كلها؛ وله أيضاً كلُّ الامتيازات»[٤]. زدْ على ذلك أن الرجل يعتزّ بكونه مطلقاً، مهيمناً: «فمن لا يمارس كل حقوقه وكل نعوت رجولته، لا يكون رجلاً». «فالأب هو «أنا» مهيمن أو لا شيء»[٥]. في موضع آخر، يفسّر المؤلّفُ

(١) R. ZILLER, cité par R. L'Ecuyer dans **Concept de soi,** P. U. F., 1978, p. 199.

(٢) VILAR — FIOL, **L'homme et le milieu social,** op.cit., p. 105.

(٣) M. CHAMOUN, **Travaux et Jours,** No 25, oct. déc. 1967, p. 35.

(٤) م. ن.، ص 35.

(٥) م. ن.، ص 35.

الدور المماثل تماماً للبيئة المختارة لاستطلاعنا: «الأب، رئيس مرموق، يتقلّد كل السلطة التقريرية. . .، وعلى الدوام الذَكَرُ، إن لم يكن الأب، هو الذي يتقلَّد هذه السلطة: جد، عم، إبن بكر. . .»[١]، ويدينون له بطاعة عمياء وغير مشروطة و «احترام كلّي». . .[٢] عندها سنفهم الطريقة الخاصة في تربية الصبي وخصوصاً الإبن البكر، طيلة طفولته، فلا يحق لأحد أن يؤنّبه أو يقوّمه إلاّ بطريقة رحيمة جداً، ورأي الآباء المستجوبين يؤكد هذا الرأي تماماً، وهذا يفسر الشعور بانتماء الإبن إلى الأب، وخصوصاً شعور الإبن البكر. فمنذ ولادة هذا الإبن، يقول الأب «إبني» وفي المقابل إذا وضعت الأم بنتاً، يزعل الأب لفترة، وتضع الأم جانباً قوانين الطبيعة وحصتها في الحمْل فكم من المرّات يقول الزوج لامرأته خصوصاً عندما يغضب: «خذي بنتك وروحي لعند أمك»! إن الآباء لا يمقتون البنات، لكنهم يخشون أنْ تخزيهم في سلوكهن مع الصبيان، خصوصاً في مجتمعنا حيث لا تزال عذرية البنت قبل الزواج قيمةً لشرف العائلة. هذا أثر من آثار الماضي، إذ كانت القبائل العربية في الجاهليّة «تدفن البنت حيَّة منذ ولادتها، وهذا كان يسمّى الوأد»[٣]، مخافة إملاقٍ أو سبي أو تلوّث الشرف (العار).

في العائلات التي تعرف الطلاق، أو حتى عندما يكون هناك انفصال جسدي بين الزوج والمرأة، يتساهل الأبُ في ترك الأم تأخذ معها البنت، إذا كانت صغيرة جداً، ولكنَّ الأمر مختلف بالنسبة إلى الصبي، حتى وإن لم يبلغ سوى بضعة أشهر من العمر. هذا عُرْفٌ، لأن المحاكم هي التي يحقّ لها، وحدَها، بأن تحكم؛ وعموماً تعود حضانة الأولاد إلى الأم حتى سن السابعة.

---

(١) م. ن.، ص 14.

(٢) م. ن.، ص 14.

(٣) صبحي المحمصاني، الأوضاع التشريعية، م. س، ص 44.

IV. خلاصة

هناك إذن صعوبة كبرى في تقويم الأهمية النسبية لكل هذه العوامل، خصوصاً إذا أردنا التوصل إلى تحديد كيفية تأثير مختلف الظروف الحيوية، وما هي الأهمية التي يجب أن تعزى إلى كلٍ منها في تأثيرها في التطور العاطفي ـ المعرفي للبِكْر، ولا سيما في أثناء السنة الأولى من حياته، قبل أن يدخل الرضيع بعلاقات مع أشخاص آخرين، غير أمّه. كتب سبيتز: «من خواص هذه العلاقة أنّها تتطور تحت أعيننا، وتقدّم لنا نقطة قبل وجودها كعلاقة، فتقودنا إلى نقطةٍ تكون فيها العلاقة الاجتماعية حاضرةً تماماً»[١]. لكننا نستطيع القول إن هذه العلاقة هي في أساس كل التطور اللاحق للعلاقات الاجتماعية، كما ذكر سبيتز حين أطلق اسم «ثنائية»[٢] على علاقة الأم ـ الطفل في مجرى السنة الأولى. إننا مقتنعون بصحة قانون المبدأ التراكمي: ففي التطور العاطفي للسنة الأولى «تكون أهمّية الحوادث المؤلمة المعزولة ضعيفةً واستثنائية»[٣]، وبالعكس، يكون المناخ العاطفي الذي يكبر فيه الرضيع «أكثر حسماً وتحديداً من الصدمات، . . . ، الطارئة التي يمكنه أن يتعرَّض لها»[٤]؛ فالتفاعل العاطفي يسبق تطور كل الوظائف في فترة ما قبل النُّطق، كما يقول موكشييلي: «إن ضغطاً مستمراً سيطبع، بلا وعي، التطور العاطفي للولد»[٥]، دون أن تعي الأم، ولا الطفل، ولا المحيط، ما يجري بوضوح، ونضيف أنَّه من الزاوية التي تعنينا، ما دام البكر بدون أخوة أو أخوات، تجري حياته بطريقة هادئة، فهو

(١) R. SPITZ, La première année de la vie de l'enfant, P. U. F, 1967, p.5.

(٢) R. SPITZ, de la naissance à la parole, P. U. F., 6e éd, 1979, p. 11.

(٣) م. ن.، 150.

(٤) م. ن.، 150.

(٥) R. MUCCHIELLI, la personnalité de l'enfant E. S. F., 1976, p. 68.

يجـد أمامه كـل شيء، يتحرَّك، ينام، يأكل؛ إنه وحيد لأهله، والأم غير مشطورة بين صغيرين أو عدَّة صغار؛ وهو لا يتنازل عن شيء لأحد، فـ «كل شيء له».

إلاَّ أن «ما يحسب حسابه ليست الصفات الشخصية للأهل وحسب، بل كل ما من شأنه أن يؤثّر فيهم تأثيراً حاسماً»(١). سوف تتغير أشياء كثيرة، عندما يولد بكْرٌ ثانٍ، وهذا ما سنتناوله لاحقاً □

• • •

(١) S. FREUD, **Abrégé de la psychanalyse**, P. U. F, 1969, p. 86.

الفصل الثالث
تطوّر الطفل عاطفياً ومعرفياً

□ إن دراسة خصوصيّة الإبن البِكْر، إنطلاقاً من حياته العلائقية في مجرى نموّ شخصيّته، تعني دراسة تطوره العاطفي ــ المعرفي، حصيلة تفاعل ثابت بين البيئة العائلية وبينه. فمن الزاوية التي تعنينا، ما هي في الواقع قيمة هذا التفاعل بين الإبن البكر وأفراد الأسرة، نعني: الأم والأب والأخوة؟ سنتوقف بنحو خاص عند الجانب العاطفي، مع التسليم بأن العلاقات العاطفيّة ــ المعرفية لا تنفصم عراها، وأنها فوق ذلك مترابطة عضوياً على مدى تطور الطفل. لذا سنقوم بتحديد مفهوم الحياة العاطفية، ودرس مسألة التفاعل بين البكر والبيئة العائلية، موضوع الفصل الأول من هذا الباب، الذي يحضّرنا للبدء بدراستنا الاختبارية في الباب الثاني.

I. نحو تعريف للحياة العاطفية

الحياة العاطفية كما عرَّفها الفلاسفة والنفسانيون والمحلّلون النفسيّون:

1. المعنى الفلسفي

نأخذ عن سارتر هذا التعريف: «تشكل الحياة العاطفية وجود الحقيقة البشرية، أي أنها مكوّنة لحقيقتنا البشرية لكي تكون حقيقة إنسانية ــ

عاطفية»[١].

تبدو الحياة العاطفية أنَّها تبلغ جوهر الوجود، فهي حقيقته، حقيقة حساسية الوجود، في مقابل الفكر.

2. المعنى النفساني

إن الحياة العاطفية إحدى الظواهر الإنسانية، التي دُرِست على عدَّة مستويات بهدف فهم الكائن البشري، من خلال سلوكه أو ردود فعله التكيفيّة، المتعلقة بالبيئة.

لقد عرّف عدد كبير من النفسانيّين عاطفية الفرد بأنها من مكوّنات الشخصيّة، لكنَّ كلاً منهم شرحها بطريقة مرتبطة بنظريته. وليس علينا أن ندرس النظريات المختلفة، ولا أن نقارن بعضها بالبعض الآخر؛ فقد آثرنا أن نستعير من معاجم المصطلحات، المألفة (Synthèse) التي نجريها على مجمل النظريات المتعلقة بالعاطفيّة: إن العاطفية «قدرة فردية على معاناة المشاعر والانفعالات»[٢]: أو أيضاً، هي «استجابة عاطفية عامة لها تأثيرات محددة في الجسد والروح»[٣]. وثمة تعريف آخر لها: «إنها ملكةُ التمتع أو التألم»[٤]، وهناك تعريف أعمّ، يشمل البيئة: «جملة استجابات الفرد النفسية أمام الأوضاع التي تتسبب بها الحياة»[٥]. ونجد في موضع آخر الفكرة التي تشاء أن يكون الانفعال (Passion) أحد أشكال الحقيقة البشرية، الأقوى، فهو «استقطاب مكتسب للعاطفية محورُه

---

(١) J. P. SARTRE, cité par Amado, **L'affectivité de l'enfant,** Coll. S.U.P., P.U.F., 1969, p. 7.

(٢) H. PIERON, **Vocabulaire de la psychologie,** P.U.F., 1951, p. 6.

(٣) م. ن.، ص 86.

(٤) A. LALANDE, **Voc. Tech. et crit. de la philosophie,** op. cit, P.U.F., 1968, p. 981.

(٥) A. POROT, **Manuel alphabétique de psychiatre clinique et thérapeutique,** P.U.F., 1975, p. 20.

شعور محدَّد يجتاح كل الحياة النفسية، ويستتبع كل فاعلية الشخص»(١)؛ وعليه، نخلص إلى أنَّ العاطفية لا تنفصم عراها عن الحياة الغريزية وعن الفاعليّة.

إن مجمل التعريفات، التي تقدمها مختلف المعاجم، تتعلّق بالطابع المولِّد للذّة. وهذا الأخير يمنح الشخصية طابعاً ديناميكياً، ويحدث مواجهةً بين الحياة العاطفيّة والواقع.

3. المعنى التحليلي النفسي

يتكلم فرويد مباشرة على العاطفة؛ وينطوي هذا المفهوم على كل حالة عاطفية قاسية أو لطيفة، تعبّر عنها «كل مجموعة عناصر تمثيلية مترابطة ومشحونة بالعواطف»(٢) إن هذه العواطف «المحشورة»(٣) ذات مآلين: أولهما مرتبط بالمسارات اللاسويّة، أعراض الهستيريا والإقلاب، وثانيهما متعلق بالحياة السويّة، حيث «تنتج كميّةٌ معيّنة من الطاقة العاطفية... ظاهرة التعبير عن الانفعالات»(٤). هذه العواطف «ترمي بثقلها على كل الحياة النفسية»(٥) التي يكون جانبها المُعاش إرصاناً لاحقاً [يتعيّن عليه] التحقق تحت تأثير شتى القوى النفسية المتدخلة لاحقاً(٦).

---

(١) م. ن.، ص 21.

(٢) S. FREUD, **Cinq leçons sur la psychanalyse,** P.B.P, 1968, p. 34.

(٣) م. ن.، ص 18.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) S. FREUD, **Psychanalyse, Textes choisis,** P.U.F., 1963, p. 67.

فلنلاحظْ أن نظرية «الكبْت» قاعدتها: الممانعة، الانتقال وفقدان الذاكرة، وأنها تختصر وحدها الجانب العاطفي في مختلف أشكاله: نزوة، تثبيت، أحلام، أفعال خائبة...

يرى فرويد أنّ العواطف هي الجوانب الأولانيّة جداً من الحياة العاطفية، التي تميّز معنى أية استجابة، وأن أحد أشكال الاستجابة هو الانفعال، وهذا «استقطاب مكتسب من الحياة العاطفية، محوره شعور محدّد يجتاح كل الحياة النفسية ويستتبع كل فاعلية الشخص». إن موضع تشكل العاطفية هو اللاوعي حيث يجد بواكيره الأولى.

نرى أن العاطفية هي بمنزلة التعبير النّوعي عن الكمية النزويّة وتقلّباتها، وأن حياة الفرد قد تكون «استنساخات لأحداث قديمة ذات أهمية حيوية»(١). وفيها تتجلى ثلاث سمات للحياة العاطفيّة: السمة الديناميكية، الكمية المترجمة بالطاقة النزوية، والذاتية.

4. محاولة تعريف

من الممكن أيضاً تعريف الحياة العاطفية من طريق الشخصية، بوصفها جزءاً منها لا يتجزّأ؛ وسنختار التعريف التالي، المعترف به حالياً: الشخصيّة هي «بناء بنيوي ناجم عن التفاعل بين الاستعدادات الفطرية والظروف الخارجيّة»(٢)؛ كما أنها تمثل، على حد تعبير آلبور (Allport)، جوهرياً، مفهوم الوحدة الدمجية للإنسان، بكل مزاياه التباينية الدائمة، وكيفيّات سلوكه الخاصة به»(٣). هذا، وتعدّ العاطفية بمنزلة وسيلة اتصال مع الآخر، وفهم لوجوده؛ إنها رابطة يصنعها تاريخ الفرد والبيئة الحيوية. وإن الطابع الديناميكي لهذه العلاقة سيساعدنا على درس مزايا شخصيّة الإبن البكُر، بمقتضى محيطه الذي يحمل إرثَ الماضي؛ وكما يقول دياتكين: «مهما تكن الإرهاصة التي نباشر بها الرَّصد، فإننا نكون دوماً أمام ماضٍ طويل،

---

(١) J. LA PLANCHE et B. PONTALIS, **Vocabulaire de la psychanalyse**, 1968, p. 13.

(٢) G. AMADO, **L'affectivité de l'enfant**, S.U.P., P.U.F., 1969, p. 11.

(٣) H. PIERON, **Voc. de la psychologie**, op. cit. p. 323.

ينيطه المشهدُ المنظور بمعناه»[١].

II. التطور العاطفي للإبن البكر في بيئته الحيوية

بما أن الشخصية بناء بنيوي، ناجم عن التفاعل الاجتماعي ــ العاطفي، فسوف ندرس تطور شخصيّة الإبن البكر من حيث مرتبته في الولادة، نظراً لأن النشاط المتجلّي الأول يقوم على التفاعل العاطفي بين الطفل ومحيطه الحيوي، المُعاش بوعي أو بلا وعي.

1. التطور العاطفي ــ المعرفي للفرد

إن حبَّ الذات ضرورة حيوية؛ فكل كائن بشري يعيش حباً نرجسياً، ويحبُّ أن تكون له قيمة. وليست علاقة الطفل ــ بالبيئة علاقة خارجية، بل هي علاقة ارتباط وتبادل خصوصاً في صميم الحياة العائلية: «تتكوَّن الذاتُ بتبني مواقف الآخر»[٢]، كما يقول جورج آمادو. وإن بناء العالم الحيوي يواكب بناء عالم الأنا؛ وبادىء ذي بدء، تقوم بين الصغير والأشخاص الذين يحيطون به علاقة معينة، بحيث «يكون الأنا شخصاً متكوّناً مع هذا العالم»[٣]. إنها علاقة مع أشخاصٍ أحياء، معين لا ينضب من التجارب والأفعال الجديدة حيث تلعب الديناميكية العاطفية دوراً من الطراز الأول في تطور شخصية الطفل في سنواته الأولى. ذاك «أن الطفل. . في كل لحظة من حياته يكون كائناً مليئاً، طفلاً، وليس طفولياً»[٤]. إن أقل حركة للصغير تفصح عن حاجة إلى التحرّك وملء المكان أو الاحتكاك بالعالم. هذا النشاط لا واعٍ، لكنه يسمح له بأن يكتسب وحدته تدريجياً، وفيما بعد فرديّته التي تتحقّق من خلال العلاقة. المؤثّرات

(١) R. DIATKINE, De l'observation de l'enfant à la thérapeutique, E.S.F., 1977, p. 176.

(٢) G. AMADO, L'affectivité de l'enfant, op. cit., pp. 313-314.

(٣) PAUL CHAUCHARD, La maîtrise de soi, Dessart, Bruxelles, 1969, p. 142.

(٤) P. CHAUCHARD, La maîtrise de soi, op. cit., p. 142.

العاطفية، الممارسة على الطفل منذ المهد «لا يمكنها إلاّ أن تكون ذات فعلٍ حاسم في تطوره العقلي»(١). ويؤكد جيزيل و إيلغ أن «الطفل ينمو ككل، وإن ما نسميه شخصيَّته ليس سوى شبكة منظمة، ومنظمة جداً، من البني السلوكية، ولا سيما السلوك الشخصي والاجتماعي»(٢)، ويمكننا الكلام على هذه أو تلك من الوظائف معتبرينَ أنَّ الانعكاس سيؤثّر في مجمل وظائف النفسية البشرية. وبهذا المعنى كتب بولبي: «إن نمو الأنا وما فوق الأنا (الأنا الأعلى) مترابطان بلا انفكاك بالروابط العاطفية الأولى للطفل»(٣). وفي المقام الأول، إذا أخذنا في الاعتبار عاطفية الطفل والمناخ العاطفي، لا يمكننا فك العلاقة بالآخر؛ إذ إن العلاقة بين البشر هي علاقة عاطفية أولاً.

أخيراً، إن العلاقة بين الطفل والبيئة، وإن كانت عامة، تتوقف على درجة الأهمية المناطة بالطفل في سلَّم القيم التي تأخذها البيئة في اعتبارها.

2. علاقة التبعية بين البيئة والطفل

(أ) عموميّات

يستطيع الطفل، على مدى مرحلة تبعيّته، أنْ يتلقى من بيئته، وفي المقام الأول من أهله، تجاربهم وقناعاتهم، وبدلاً من المعاناة السلبية لتأثيرات البيئة، يمارس أيضاً تأثيراً في أهله وفقاً لحاجاته ونزعاته الخاصة به. إن هذا الاتصال بالأهل يسهم في النّماء العاطفي لوجوده الحميم، وينبني مستبطناً الهوامات الوالدية المقدَّمة له؛ فيما ينبني العطفُ الأول انطلاقاً من الانطباعات الحسيّة

(١) H. WALLON, L'évolution psychologique de l'enfant, Armand Colin, Paris 1968, p. 142.

(٢) A. GESELL et F. ILG, Le jeune enfant dans les civilisations modernes, P.U.F., 1980, p. 27.

(٣) J. BOWLBY, Soins maternels et santé mentale, Genève 1954, p. 61.

التي ترافق إشباع الحاجات الأساسية، انطلاقاً من انطباعات مرئية، سمعية وسواها. «إن ترابط الانطباعات الحسية مع الانطباعات الحركيّة الحسنة أو السيئة، يغدو وسائل توجيه ورقابة في البحث عن إشباع الحاجات»(١). والحال، ستتكوّن الشخصيّة بفضل هذه المسارات التعليمية المتنامية والمعقّدة أكثر فأكثر، وكما تقول م. كلاين: «إن الإجتياف والإسقاط، وإن كانا متجذّرين في السنوات الأولى، ليسا مسارات طفولية وحسب...»(٢)، وتضيف أن هذه المسارات «هي جزء من هوامات الرضيع التي تتشكل منذ البداية أيضاً، وتساعده على قولبة الانطباع الذي يكوّنه عمّا يحيط به؛ وباجتياف، هذه الصورة، المتحوّلة عن العالم الخارجي، تؤثّر في حياته النفسية»(٣).

(ب) وضع الإبن البكر

تضطلع الحياة العاطفية، إذن، بدور كبير في نمو شخصية الطفل؛ والحقيقة أن الإبن البكر هو طفل كأي طفل آخر، ولكن من الصحيح أيضاً أنّه تُعزى إليه أدوار ومواقع خاصة جداً، كما سنرى لاحقاً.

3. الإبن البِكْر والوالدان

على النحو التالي، تُلخَّص الارتقابات الوالدية بالنسبة إلى الإبن البكر:

(أ) على الصعيد الديني

ـ الإبن البكر هو:

* حق مكتسب لله.

* المكـرَّس.

(١) M. BOLL et F. BAUD, La personnalité, op. cit., p. 15.

(٢) Mélanie KLEIN, Notre monde adulte et ses racines dans l'enfance, article paru dans Psychologie sociale, par A. LEVY, T.I., éd. Bordas, 1978, p. 49.

(٣) م. ن.، ص 49.

* شخص مقدَّس.
* جدّ المسيح.
* المبارك من الله.
* بركة الله على الأهل.
* المفتدى من الأهل.

ــ يفرض الله الإخلاصَ على الإبن البكر.

(ب) على الصعيد الاجتماعي ــ الاقتصادي

للإبن البكر الحق في:

ــ الخلافـة.

ــ إرث الأملاك.

* بكليته.
* أو النصيب الأفضل.

ــ استمرارية الاسم.

ــ حمل اسم جدّه لأبيه.

ــ حمل شهرة ذويه.

ــ كونه الرئيس.

ــ السلطة شبه الوالدية.

ــ مسؤولية الأخوات غير المتزوجات.

ــ له المكانة الأولى على الطاولة.

(ج) على الصعيد الشخصي

ــ الإبن البكر هو:

* التجلي الأول لرجولة الأب القوية.
* حافظ وحدة الأملاك.

* الآخذ بالثأر.
* مصدر الاعتزاز.
* مصدر القلق.

ـ للإبن البكر:
* الشخصية الحقوقية المميَّزة من شخصية الأب.
* طاعة الأخوة.
* المنزلة الرفيعة.

ولكن، إذا انحل بعض هذه الامتيازات، هل يواصل الإبن البكر التمتّع ضها الآخر؟ وهذه الأخيرة أليست هواماتٍ تراود هذا الإبن دوماً؟

بما أن العقلية التي يستيقظ بها الإبنُ البكْرُ على الحياة، ويعيها، قد جرى سيمها على هذا النحو، فسنسعى لاكتناه تأثيرها في بناء شخصية هذا الإبن، ظل التحفيز العاطفي العائلي. الواقع أن علاقة الأهل العاطفيّة بالإبن البكر ، علاقة مفعمة بالدلالات المرتبطة بها. وبما أن هذه العلاقة بين الأهل والإبن كر مفعمة بمعانٍ كامنةٍ، سننظر إليها نظرةً خاصَّة، لما تحملُ من دلالاتٍ في ر الأهل. وإذا اعتبرنا أن «العائلة اللبنانية، القمعية أو المفرطة في حمايتها قبياً أو تساوقياً، فإنها تسهم بنحو خاص في بناء شخصيتنا المنواليّة، فهي في علّة ومعلول، طالما أنها تستمدّ بنيتها الخاصة من الشروط التاريخية، مكسها في مستوى الشخصية الفردية للطفل»[1]. انطلاقاً من هذه الملاحظة :ا يمكن أن يكون وضع الإبن البكر في هذه المتاهة؟

4. دلالة الإبن البكر عند الأم

تنشأ في العائلة ظواهر العلاقة. بادىء الأمر في زمرة الأب ـ الأم ـ

(Mounir CHAMOUN, Travaux et Jours, No 30, Janvier-Mars 1969, p. 79.

الطفل، هذا الثلاثي هو الأصغر من بين الجماعات الفرعية، بعد ثنائي الأم ــ الولد بالنسبة إلى الطفل الصغير جداً، قبل بلوغه العامين، والأم تختصر وحدَها كل مسألة العلاقات العائلية: «إن تكوّن الشخصية الطفلية، كبنية نفسية محددة، هو عادةً نتاج شخصية الأم وعلاقتها بالطفل»(١).

تتدخل الأم بقوّة في تكوين الطفل الصغير، فهما يعيشان معاً عيشةً حميمة جداً، والشعور بالطمأنينة الصادر عن الأم يجعل الصغير كائناً فاعلاً، ويوجّه نضجه بقدْر ما ينقاد الصغير لأمه. هذه الرابطة تتميز بعفوية لا يمكن توقعها، وطاقةٍ لا تنضب، ورغبة جامحة في الحياة والتحقق، لأن «هذه المبادلات ــ كما يقول سبيتز ــ بين الأم والطفل تتواصل على نحوٍ غير منقطع، دون أن تعيه الأم؛ وهذا النوع من التواصل يؤثر تأثيراً ثابتاً يقولبُ النفسية الطفليّة»(٢). في نظر الأم، هذه الحقيقة ترتدي وجهين، أحدهما داخلي، وثانيهما خارجي، ولكليهما تأثير في الطفل.

(أ) الإبن البكر علامة اعتزاز للأم

في السابق كان يتحدَّد موقع العائلة بوجود الطفل، والحال فإننا ندرك أنَّ حَدَث الحمْل هو حدث خارق في نظر المرأة المتزوجة. فإلى جانب التغير في حياة المرأة العاطفية، ينطوي موقعها الاجتماعي على قيمة جديدة بعد الزواج. وإذا تبدّد الخوف من العقم، وإذا صارت ظاهرة الصيرورة أماً هي الأولى، فلن يبقى عليها سوى العيش في انتظار أول مولود! إن هذا الانتظار الطويل المشوب بالفرح وبالقلق، يثير لدى الأم جملة رغائب مكبوتة، ملتبسة مع مستلزمات الأمومة، كما يشير فرويد إلى ذلك: «تواصل

(١) Hélène DEUTSCH, Problèmes de l'adolescence, P.B.P., 1970, p. 79.

(٢) R. SPITZ, De la naissance à la parole, P.U.F., Paris, 1968, p. 105.

الرغبة المكبوتة وجودها في اللاوعي»[1]. وتنزع الهوامات، المتكونة على هذا النحو، إلى التجسد من خلال النظام العلائقي بين الطفل والأم التي تجد في طفلها بديلاً، ما دامت الرغبة المكبوتة «تترصّد فرصة لظهورها... من وراء قناع»[2]. إنّ التفاعل بين الطفل والأم سيتسم بنماذج أولية بدائية، يثير فرضها آليّات مماهاة: إسقاط وإجتياف. إن الأشكال المثالية المتكونة، التي ترفع من قيمة المُعاش الفردي، إنما تُنقل إلى الإبن البكر بوجهٍ خاص، لأنه موضع «اعتزاز» في نظر الأم؛ فهو الذي يحقق أمانيها.

(ب) الإبن البكر دلالة قوّة في نظر الأم

بما أن مجيء الطفل الأول هو في نظر الأم مصدر غبطة وتبدّل، فإنها تعيش في طمأنينة معينة، منذ أن تنجب إبناً، وعندها يتوطد اعتزازها تجاه زوجها وحمويها.

ففي مرحلة أولى تنصرف الأم برضىً وانتصار، على أمل أن تحقّق من خلال إبنها كلّ ما من شأنه أن يجعلها في وضع مشرِّف: أن تصبح أم طبيب، قاضٍ، مثلاً، أم رجل قوي.

(ج) تماهي «الأصغر» بالإبن البكر

بلا وعي، تنزع الأم إلى استرجاع المواصفات، من خلال ابنها، التي عجزت عن امتلاكها كبنت، والتي يملكها هذا أو ذاك من أخوتها، وهي مواصفات كانت تشكّل اعتزازَ أمّها هي. وبهذه الولادة، تسترجع الكبرياء والفرح اللذين يحلّان محلّ «إمتهانها» لكونها «بنتاً»، وهذه نظرة واضحة جداً

(١) S. FREUD, Cinq leçons sur la psychanalyse, op. cit., 1968, p. 29.

(٢) م. ن.، ص 29.

من خلال طفولتها، مع كل الحرمان الناجم عن كونها بنتاً، فيما الصبيان يتمتعون بها. عندها تُسقِط الأمُّ على إبنها الأول، الترسيمات اللاواعية التي تجعلها تتعذّب والتي كانت تواصل إعلاءَ حياتها الفردية. منذ ذلك الحين، الإبن البكْر الذي يغدو بديلاً من «الصورة الأبوية»[١]، أو الصورة الذّكَرية، يجد نفسه مرغماً على تحقيق مضمون هذا التماهي.

(د) استحسان دور جديد للإبن البكر

الواقع أن الإبن البكر إذْ يغدو، في نظر الأم موضوعاً لتحقيق رغباتها المكبوتة، وتحيين إسقاطاتها القديمة، إنما يغدو جواباً عن اللغز الذي كانت تطرحه على نفسها، حين كانت طفلةً، وعن اختلاف تشريحها الجنسي الذي كان يترجم نفسه بالقلق لأنها لم تكن صبياً. فتغدو مصدر غبطة للأهل، بدلاً من أن تكون موضوع خيبة.

ــ الإبن البكر موضوع تعويض على الأم

إن جملة العنايات الأمومية المتكررة والمنصبّة على الإبن البكر، هي بوضوح «ظواهر الانتقال المعبّرة عن الممانعة التي يبديها الأنا حتى لا يكشف العناصر المكبوتة»[٢]. وعند الأم، يمكن أن يغدو الإبن البكر موضوع معاوضة عن حرمانها من القضيب؛ فتعيش الأم حياة مشاركة مع الطفل الذي هو جزء منها، وتُسقِط عليه كل الرغبات التي حُرِمت منها؛ والإبن البكر «في علاقته مع الأكبر منه.. يعاني تحوّلاً بحسب نموذج الشخص الذي كان موضوعاً شبقياً، ليبيدياً، له»[٣]، والذي يكون في هذه الحالة، الأم؛ الأمر الذي يسمح، من

(١) S. FREUD, **Psychanalyse, Textes choisis**, op. cit., p. 162.

(٢) S. FREUD, **Essais de psychanalyse**, op. cit., P.B.P., 1971, p. 28.

(٣) م. ن.، ص 131.

جهة، للأم بأن تتحرر من جرحها النرجسي، ومن جهة ثانية، يسمح للبكر بأن «يبحث عن أغراض، موضوعات يمكنها الحلول محل أناه الشخصي»[١]، هذه الموضوعات لا يمكنها أن تكون سوى أمنيات الأم.

هناك دور جديد يُناط بالبكر، هو دور تحقيق الإسقاطات الأموميّة التي تنتمي إلى تكوين مثال الأنا لدى الطفل. ومثال الأنا هذا، المتكوّن على هذا النحو، هو «وريث النرجسية التي كان الأنا الطفلي يكتفي فيها بنفسه»[٢]. ففي خلال تطور شخصيته يواصل الطفل «الاستقراض من مؤثرات البيئة كل المستلزمات التي تفرضها عليه، والتي لا يكون الأنا دائماً قادراً على تلبيتها»[٣]. الأمر الذي يفسّر موقف الإبن البكر تجاه الأم، والصورة التي يكوّنها عنها، كما سنرى في الباب الثالث من هذا الكتاب.

الإبن البكر موضوع حفظ للأم

أمام كل أذىً يمسّ بالطفل، تعيش الأم قلقَ الفراق، في مواجهة حقيقة الحياة، حيث يمثلُ لها تهديدٌ جديد: «الخوفُ من فقدان هذا الموضوع النرجسي الثمين»[٤]؛ والحال، يعكّر توتّر جديد مشاعرَ الأم وعملها، فلا بد أن يعيش الولد حتى تتمكّن من تحقيق كل الارتقابات الوالدية، والأمومية بنحو خاص، الأمر الذي يُظهر للعيان شعوراً ثنائياً، وتكثيفاً للمشاعر وتقلبات في مواقف الأم، إذ إن عاطفتها تُملي عليها سلوكاً معيّناً سرعانَ ما يُحسم، ويمكنه أن يكون خطيراً على الطفل. وعليه، تتصرَّف الأم في ظلّ عدّة عوامل:

ـ الخوف من فقدان الموضوع النرجسي،

---

(١) م. ن.، ص 130.

(٢) م. ن.، ص 132.

(٣) م. ن.،

(٤) S. FREUD, **Psychanalyse**, op. cit., p. 134.

ـ الخوف من فقدان امتيازها،

ـ الخوف من فقدان حبّ زوجها لها،

ـ الخوف من الفشل في حال عدم تحقيق هذا الطفل لإسقاطاتها.

هذه المشاعر الاجتماعية [للأم] تقوم على تماهياتٍ مع أفراد المجتمع الآخرين الذين يشاطرونها الأنا المثالي ذاته[1]؛ وحيث إن الإبن البكر هو «العضو» الأمثل الذي يمكنه إشباع الأنا الأمومي المثالي، فإنه يعاني هذه المخاوف بتوتّر شديد يؤثّر في أناه. الأمر الذي يشكّل علاقة بنيوية حيث «يتعيّن على [الأنا المثالي للبِكْر] أن يتصرَّف لكي يلبّـي ارتقابَ السلطة»[2] الذي تتطلبه الأم.

فضلاً عن الخوف من فقدان ولدها، هناك حركات ومحفّزات مختلفة تشجّع الحياة العاطفية لدى الطفل. «بما أنَّ الشعور الأمومي هو حصيلة قوىً شتّى ولحظات حماس، . . . ، وحكم الآخر»[3]، فإنه يحفِّز تحقيق رغبة سابقة؛ وتكون فعاليته متناسبة مع الأهميّة المناطة بموضوع الحبّ هذا. والطفل «يحس، ربما بغموض، ولكن بيقين، بالواقع العاطفي الذي يتخفّى وراء الظواهر»[4]؛ ويكون ناشطاً تماهيه بالأنا المثالي، الذي تعكسه الأم. في الآن ذاته، يُظهر الصبـي الصغير اهتماماً كبيراً بالأب: «يودّ أن يغدو مثل الأب، وأن يقوم مقامه على كل الصُعُد: فيتّخذ من أبيه مثاله»[5]. لكن ولادةَ بِكْرٍ ثانٍ تعزّز

---

(١) S. FREUD, Essais de psychanalyse, op. cit., p. 207.

(٢) D. LAGACHE, cité par Le vocabulaire de la psychanalyse de pontalis, op. cit., p. 186.

(٣) B. MARBEAU-CLEARENS, Psychologie des mères, éd. Universitaires, 1966, pp. 178-179.

(٤) POROT, L'enfant et les relations familiales, S.U.P., P.U.F., 1973, p. 16.

(٥) S. FREUD, Essais de psychanalyse, op. cit., p. 126.

«الحرمانات المحتومة، الملازمة للعلاقة (بالأم التي ستولِّد) عدوانية مضادة للأم»[1]، وفي المقابل، ينقلبُ الطفلُ نحو الأب، إذ إن «تماهيه المبكِّر مع الأب يقوم بتخليص الطفل من هذا القلق الأصلي، . . . ، والاهتزاز الشبقي النـاجم عن اللعبة المزدوجة للصـور الأمومّية»[2]؛ يبدأ هذا التماهي باهتمام كبير وجلي تجاه الأب والصورة المثالية الأبوية، التي تقدمها البيئة العائلية للطفل.

5. دلالة الإبن الأوّل بالنسبة إلى الأب

في هذه العلاقة الثلاثيّة، الأب ــ الأم ــ الطفل، يكتسب الصغيرُ هويّته تدريجاً، خصوصاً أنَّ «الطفل هو في المقام الأول وعيٌ ينبغي تشكيله»[3].

إن علاقات الرضيع الأولى تابعة، إلى حدٍ كبير، لكل العوامل الأخرى داخل العائلة، وبالدرجة الأولى، العلاقة بالأب، الذي يرى أن الإبن البِكْر مفعم بالدلالات. وبوجه خاص، يقع على كاهل الأم تحقيق صلة الوصل بين حضور الأب ووجود الطفل خصوصاً في خلال الأشهر الأولى من حياة الصغير. غير أن الصورة المثالية التي تقدمها الأم للطفل، هي صورة مشحونة، جوهرياً، بمُثُلٍ متعلّقة بجنس الذَّكَر. إن حضور الأب في البيت لا يلبث أنْ يظهر في ذهن الطفل. فبقدر ما يكبر الطفل، يتلبّس دور الأب بكل دقائقه. وسرعان ما يتّخذ مناخ الصغير العاطفي، وبشكل طبيعي، منحىً آخر: هو منحى «الهيمنة على (الأب) لصالح التماهي»[4]، وبقدر ما يتطوّر، يجد البِكْرُ نفسَه مندرجاً، بنحو خاص، في جوٍ خاصٍ به؛ إذ إنَّ العاطفيّة جزء لا يتجزّأ من الشخصيَّة، وهي

(١) M. CHAMOUN, **Travaux et Jours**, No 94, Juillet-Septembre, 1972, p. 108.

(٢) م. ن.، ص 109.

(٣) P. CHAUCHARD, **La maîtrise de soi**, op. cit., p. 142.

(٤) S. FREUD, **Psychanalyse**, op. cit., p. 49.

تقود الطفلَ إلى الإدراك الأولي لما يمثّل هو نفسه بالنسبة إلى الأب، كما جرى تبيان ذلك، ويبدأ حدوثُ الاجتياف.

إن موضوعاً «يمكنه أن يغدو طيّباً... بعد إجتيافٍ سابق... وعندما يجتافُ الأنا... شيئاً ما من هذا الموضوع، يستردُّ ما كان من نصيبه»[١]. وعليه، يضطلع إسقاطُ الأماني الوالدية على الإبن البكر، بدور فعَّال مؤثّر في هذا الأخير: «يدرك الصغيرُ ظواهرَ... ناجمة عن حوادث خارجية»[٢]، لأنَّ الإجتياف والإسقاط يدخلان في تفاعلٍ بكيفيّاتٍ شتّى»[٣].

في نطاق التماهي بالأب، تدخل الصورةُ المُرمَّزة، المبنينة والبانية، في التكوين العلائقي للبِكْر. فمنذ بداية تطور الصغير، نشعر أن دورَ الأب غير موجود؛ ويومَ يغدو الصغيرُ قادراً على تحديد موقعه بالنسبة إلى الأغراض المحيطة به، فإنَّه يعي ذاته بمواجهة الآخرين، ويدرك ما يكنُّه له الأب من عاطفة. أكيدٌ هو تأثيرُ الصورة المثالية التي يُسقطها الأبُ على حياة هذا الإبن العلائقية، خصوصاً أنَّ «طبيعة العلاقات الغَرَضية وتكوّن الطابع يتوقَّفان كثيراً على هيمنة التثبيتات المسبقة»[٤] وعلى التواصل بين الطفل والأهل الذين «يمارسون ضغطاً ثابتاً يُقولِبُ الطفلَ نفسياً»[٥] ويوجِّه كل مُجريات حياة الفرد المُقبلة. إن جملة الارتقابات الواردة آنفاً، تسمح لنا باستخلاص الهوامات، المُسقطة على الإبن، التي توجِّه تطوره العاطفي.

---

(١) M. KLEIN, **Développement de la psychanalyse,** P.U.F., 1966, pp. 118-119.

(٢) م. ن.، ص 119.

(٣) م. ن..

(٤) M. KLEIN, **La psychanalyse des enfants,** op. cit., 1968, p. 165.

(٥) R. SPITZ, **De la naissance à la parole,** op. cit., 1968, p. 105.

(أ) الإبْنُ البِكْرُ علامة رجولة

الواقعُ أنَّ ولادةَ الإبن الأول تكون، في نظر الأب، مشحونةً بعدّة دلالات، نذكرُ منها دلالة الرجولة. فمن الزاوية الاجتماعية للأبِ إبنٌ، ولم يعد في الإمكان إتّهامه بالعجز عن إنجاب ولد، وأنّه ليس «كاملاً» (كما يُقال). فهو مرتاح، وكأن الإرادة لها دور في هذا الشأن، متجاهلاً لعبة المصادفات. كذلك من الشائع في المعتقد الشَّرْقي أنَّ «الإبن البِكْر هو التجلّي الأول وكأنه باكورةُ قوّة الأب الرجوليّة»(١). بما أنَّ الإبن البِكْر مفعم بهذه القيمة، فإن التواصل بين الأب والإبن لا يمكنه إلاَّ أن يكون ناشطاً، ويكون كبيراً إنعكاسُهُ على النمط العلائقي للطفل، خصوصاً أن «الأب يحبّ بِكْرَه بحنانٍ شديد»(٢).

(ب) الإبنُ البكر مصدرُ إعتزاز

لدى ولادة الإبن الأول، يحلُّ فرحُ الأب الشديد محل الخوف من عدم القدرة على أن يكون أباً لإبن. هذا الشعور يُترجم إعتزازاً يتواصل التعبيرُ عنه بوسائل شتّى: تسمية الأب باسم إبنه، كبادئة لاسم الأب، «أبو هاني» مثلاً، والتربية الخاصّة للبِكْر، واختيار مستقبله أو سلوك الأب تجاه هذا الإبن، سلوكاً مفعماً بالرَّجاء.

إن الدلالات المُستفادة من موقف الأب، تمرُّ عبر العناصر الذاتية المتبادلة التي تترك آثارها العاطفيّة منطبعةً في نفسية الطفل البِكْر: «إن المثيرات التي تؤثّر في الهو وتطلق مسيرةَ الإدراك وتشكّلِ الأنا، تأتي... من أشخاص محيط الصغير»(٣). إن صورة الأب، التي تشكّل جزءاً من الصورة المثالية التي يتلبّسها البِكْرُ، تضطلع بدورٍ أوليّ في تكوين نفسية الطفل المتنامية؛ وإن تفاعل البِكر

---

(١) La Bible, op. cit., Deutéronome XXI, 17.

(٢) م. ن.، ص 320.

(٣) M. KLEIN, Développement de la psychanalyse, op. cit., p. 119.

مع صورة الأب، يتطابقُ مع العلاقة الغَرَضيّة المميَّزة بتبعيّةٍ خاصة؛ هذه الصورة أساسية، إذْ عليها «تقوم كل العلاقات بين الذات والموضوع»[١]، كما تقول ميلاني كلاين، وكما نلاحظ من خلال الرَّد على استمارتنا الموضوعة لهذه الغاية.

(ج) الإبن البكر علامة ديمومة

إن هاجِسَ الديمـومَةِ أو العـامل الاقتصادي، يتجلّى في ظاهرة اعتبار الإبن البِكْر في منزلةِ ذلك الذي يكفل استمرار العائلة، والذي «يحمل اسمها»[٢]. في نظر الأب، يغـدو الإبنُ البِـكْرُ معنىً للديمومة؛ وفيه، يرى الأبُ شخصاً آخـر سواه. الواقـع أن من الطبـع البشري الصراع ضد الموت، كمـا تفسِّـره غـريـزة البقـاء أو إروس (Eros)[٣]، التـي تقـوم علـى «تعقيـد الحياة، . . .، والحفـاظ عليهـا وصونهـا»[٤]. ترتـدي ولادةُ الطفل دلالة التغلّـب على المـوت بوجـود حيـاة أخرى، غير حيـاة الأب. وعليه، يكونُ الإبنُ البِـكْرُ بمثـابة قيمةٍ حيوية، في نظـر الأب، وانتصـارٍ على المـوت. مما يفسِّر الفرح الكبير الذي يفصح عنه الأبُ لدى ولادة هذا الإبن؛ الأمرُ الذي يُجيز لنـا الحـكم علـى إسقـاط الأب في الطفـل، وتفسيرُه هو انعكاسُ «أنـا» الأب في «أنـا» الإبـن: «الأنـا الـذي يشـكّل خزّانـاً بدائيـاً. . .، وانطلاقاً من الأنـا، يتمدَّدُ الشَّبَـقُ في اتجاه الموضوع»[٥]. إن سلوكَ الإبن، تحت تأثير

---

(١) م. ن.، ص 122.

(٢) أقوال شائعة في الأوساط اللبنانية.

(٣) حسبما ذهب إليه فرويد في استعمال هذا المصطلح في نظريته الأخيرة عن النزوات: هو مجموعة نزوات الحياة في مقابل الموت.

(٤) S. FREUD, Essais de psychanalyse, op. cit., p. 166.

(٥) م. ن.، ص 167.

تصوّر الأب والقيم[١] المنسوبة إلى الإبن، هو «حصيلة» «تنازع بين الأنا وشحنات الموضوعات الشبقيّة»[٢]، أو هو أيضاً حصيلة التفاعل والتبادل الذاتي بين الأب والبِكْر في مجرى تطوّر شخصيّة الثاني. إن البِكْرَ، بوصفه موضوعاً نرجسياً في نظر الأب، ينزعُ إلى تحقيق الأماني الأبويّة، ويتصرَّف تحت تأثير الأب الذي تكون تجاربُه هي الأمثل بالنسبة إلى إبنه.

إن الديمومة من خلال الإبن البكر تتحقَّق آنئذٍ، وعندها تكونُ إنطباعاتُ الطفولةِ الأولى بمنزلة قاطرة عاطفية يمتدُّ فعلها على مدى الحياة، كما سنلاحظ في الباب الثالث من هذه الأطروحة.

6. العلاقة الأخوية

إن القسم الثاني المكوّن للأسرة هو الطفل الآخر، أو مجموعة أطفال: الأخوة والأخوات. إنه مجموعةُ الأخوة والأخوات، على اختلاف أنماط بنائهم المتطور حسب العدد وفارق العمر والجنس. ويمكننا تعريفها بأنها موقع لقاءٍ حيوي حيث تُصاغ، جماعياً، إستجاباتٌ صادقة ومهمّة بنحوٍ خاص؛ فهذه الاستجابات (ردود الفعل) تتحقق في سيرورة اجتماعية هي العلاقة. وترجع العلاقة إلى الارتباط الأول للصغير بالراشد؛ وهي تبدأ بالتشكُّل عبر العلاقة بين الأهل، وفي المقام الأول العلاقة بالأم بوصفها «المُنظِّمة» الأولى للأواصر، والموضوع الأول للحب. فالصغير الذي كان يعيش متفاعلاً حيوياً مع أمّه، يتوصّل بعد بضعة أشهر إلى التطابق مع وجود الراشدين، وإلى امتلاك شخصيّته الصغيرة من خلال فرديّتها؛ وفجأةً يجد نفسَه في مجابهة مع مولود جديد؛ وفي البداية، من المحتَّم أن تنطوي العلاقة الأخوية على نقيضتها، العدوانية، ولكنَّها

---

(١) نقصد بهذا المصطلح القيم التي تتناقلها العقليّة، والتي تختصر بـ: السلطة، القدرة. . . إلخ.

(٢) م. ن.، ص 167.

بعد ذلك، «تتجذّرُ وتتفتّح في العلاقات بين الأشخاص»(١). حتى مجيء مولود جديد، أبداً لا يتعيَّن على المولود الأول الشعورُ في نفسه بأي انزعاج ناجم عن الولادة الجديدة؛ إلاَّ أنَّ العلاقة المُقامة سابقاً بين الأم وبينه تغدو مهدَّدة بولادة البِكْر الثاني الذي يغدو العنصرَ المزعِزع، المولِّد لقلقِ البِكْرِ وتخوّفه؛ فيما العلاقة المقامة بين كل صغير والأم تكون لاحقةً للعلاقة القائمة بين هذه الأخيرة والبِكْر. والحال، هذا الأمر ألا يجعلنا نفكّر بأهمية الخصومة الخاصة لدى البِكْر، بوصفها مصدر قلقٍ وتهديداتٍ كامنة؟

إنَّ اهتمام الأم وعنايتها بالمولود الجديد، وما يثيره من اهتمام داخل الأسرة، هي كلها مناسباتٌ للبكْرِ لكي يشعر بالتخلي والهَجْر والنكوص في سلوكه: التراجع إلى العُمْر الطفلي والتشبّه بالمولود الجديد. هذا «النكوص يشكّل آليّة دفاعية... إذْ يُزاحُ الولدُ إلى فترةٍ لم يكن فيها نزاعٌ ولا خصومة أخوية»(٢). روى لنا كثيرٌ من الأمَّهات محاولاتِ البِكْر إلغاء المولود الجديد أو تكسير الأغراض التي تشكّل، في نظرِه، صورة الطفل الغيور. وعليه، ستُفهم عقدةُ «قايين» بوصفها ترجمةً لمنافسة أو «خصومة». فسوف تظهرُ عدَّةُ عوامل في حياة البِكْر؛ وسوف تتعرَّضُ لانقلاب صورةُ الأم الخارجية أوصورتها المُسْتَبطنة، نظراً لأنها ستنتمي إلى المولود الجديد، إلى الأخوة؛ إلاَّ أن الصورة «الطيّبة» ألن يعاودَ الإبنُ البِكْرُ استنهاضَها نظراً لأنَّه يبقى «المميَّز»، المدلَّل لدى أمّه وأفراد الأسرة الآخرين؟ هذا السؤال يدعونا إلى درس موقف الإبن البكر ومستلزمات العلاقة الأخويّة.

---

(١) A. GESELL et Frances L. ILG, **Le jeune enfant dans la civilisation moderne**, op. cit., p. 32.

(٢) L. CORMAN, **Psychologie de la relation fraternelle**, Dessart, 1970, p. 79.

(أ) موقف الإِبْن البِكْر من الأم بعد ولادة بِكْرٍ ثانٍ

منذ أن يأتي بِكْرٌ ثـانٍ، يتبدَّل كل شيء في نظر البكر، بدءاً من سلوك الأم. فهو يحسّ أنّه متروك لنفسه نسبياً، ويشعر بالحرمـان إو الإِحباط؛ ذاك أن وجود ثالـث يجعله يشعر بقلق من تبـدّل العلاقة الأموميّة؛ إذْ كان يعيشُ في جوٍ حيوي، كل شيء فيه مبـاحٌ له. وإن ولادة بكرٍ ثانٍ يهزّه، ويحرمه حتى من مـلامسة الدَّخيل؛ فثـديُ الأم[١] الذي كان يحمل كل دلالاتِ الإِشباع واللذة، يعود من الآن فصاعـداً إلى الآخر. إنَّه مُصابٌ بكثيرٍ من الحرمانـات والمحرَّمـات، وإن «وهـم قدرتـه النرجسيَّـة اللامتنـاهية، يجـد مـا يؤكّـده في ظروف الحياة»[٢]، مثلَ قـدوم بكرٍ ثانٍ يأخذُ منه ثديَ الأم. هذا الثدي الذي يعود إلى البكر، يشكل موضوعَ لذَّة ولو وهميَّة: «كل ما كـان. . . مرغوبـاً فيـه، يمكنـه أن يغـدو مُخيَّـلاً»[٣]، كما يشير فرويد إلى ذلك بأنَّه «محـاولة مـن الطفـل لإِشبـاع نفسه بالوهم»[٤]؛ الأمر الذي يثيرُ لدى البكر، وبدافع من الآلية الدفاعية، شعوراً بالعداوة تجاه «المنافس». فيجد البِكْرُ نفسه أمـام وضعيـن: لا يستطيـع الانتقام من الدخيل ولا يتمكّن من تحمُّل الحرمـان، فيتراجـع إلى طـورٍ أدنى»[٥]. فيمـا الوضـع الثاني يقدِّم لنا البِـكْرَ متخطّيـاً هـذه المشكلة بفضـل إقتنـاع الأهـل بمـا يعـزون إليهِ من قِيَـم؛ الأمـرُ الذي يحمـل هـذا الطفـل إلـى استـرداد «كامـل قوّتـه»، وعليـه،

---

(١) في المعنى الفرويدي، الثدي بوصفه موضوعاً نرجسياً.

(٢) S. FREUD, **Psychanalyse,** op. cit., p. 121.

(٣) S. FREUD. cité par M. KLEIN, **Développement de la psychanalyse,** op. cit., p. 82.

(٤) م. ن.، ص 82.

(٥) نذكر هنا حالات الاستشارة بسبب مصاعب نفسية، أوردها لويس كورمان في كتابه:
L. CORMAN, **«Psychologie de la rivalité fraternelle».**
ومعظمها مصاعبُ أبكار الأُسَر.

سندرسُ موقف البِكْرِ وإدراكه داخل الأسرة، في مواجهة الأخوة.

(ب) موقف البكْر وإدراكه في مواجهة الأخوة

لئن سلَّمنا بأن الأنا، في صميم الشخصية «يتراءى كعامل ارتباط بين السيرورات النفسية»(١) من الزاوية الاقتصادية، وأنّه «يمثل... القطب الدفاعي للشخصيّة»(٢) من الوجهة الديناميّة، فإنه المسؤولُ عن تدبير السلوك، في النظام النفسي؛ فهو يقوم بالتخيّر بين الخيارات الممكنة، وبالتقرير في الوضع الذي يتبدَّى في سلوك. مما ينطوي على أن الحياة العلائقيّة للطفل تُبقي على هيمنةِ أحد الضغوط التي تتجابه ما بين استعدادات الفرد التكوينية الفِطْرية، وتُدْخِل العالمَ في شخصية هذا الطفل؛ وتبيّن لنا أسئلتُه، أوامره، وحتى صمته، مدى قلقِه، وتكشف لنا وعيه لذاته كشخص متميِّز من الآخرين، كما تكشف لنا غيرتَه من الصغير.

حين يكونُ البِكْرُ(٣) في الطور الذي يبدأ فيه بإقامة علاقاته، علاقات العلَّة بالمعلول، بين سلوكه وسلوك الأم والمولود الجديد، سيجدُ نفسه في وضع صعب بنحو خاص.

(ج) مَوْلِدُ الخصومة الأخوية لدى البِكْر

لدى ولادة أخ صغير، يعاني الطفل من محنة كبيرة؛ إذ إن أناهُ لا يتوصل

---

(١) J. LA PLANCHE et J. B. PONTALIS, **Vocabulaire de la psychanalyse,** op. cit., p. 241.

(٢) م. ن.، ص 241.

(٣) الإنحرافُ العُمْري بين البكْر والبكر الثاني في عينتنا، يتراوح بين 11 و 27 شهراً. يتطابق عُمْرُ البكْر مع الطور الثاني من التطور الشبقي، الواقع حسب فرويد بين 2-4 سنوات، حيث تكون العلاقة بالموضوع منطبعة بدلالاتٍ عاطفية.

دوماً إلى إيجاد حلٍ مناسب للنزوات والمآزم التي يصادفها؛ والحال، يمكنُه استعمال آلية «نكوصيّة» ترجعه إلى طور سابق وعلى حساب النضج العاطفي. وفي الأغلب، كما يشدّد على ذلك د. ت. ماكلاي، «يرتدُّ الأطفال القلقون جداً على أنفسهم بطريقة عنفية وحتى قاتلة أحياناً. . .، لأنهم عاجزون عن تخطي إنفعالاتهم»(١). وكم يبقى المُعاشُ من سنوات القلق تلك داخلياً، وتالياً لا واعياً، دون توصيله للآخرين بالكلام؛ وتشير پوليت كاهن إلى أنّ «خصومة حادّة تصل إلى حد تمنّي الموت للأخوة»(٢). فهل الحال كذلك بالنسبة إلى الإبن البكر؟

حسب مبدإ اللذة، يمكنُ للإجبال والاجتياف الرغائبي أن يتحقَّقا وأن يشكلا بقايا الأنا البدائي للطفل. فالجوّ العاطفي الناشىء بين الأهل والمولود الأول لن يتكرَّر مع البكر الثاني، ومن ثَمَّ تغدو هذه العلاقة العاطفية، المشحونة بالدلالات والتي يحسّها الطفل، هي النَّباض الأساسي لاندماجه الاجتماعي. وتشكِّل المحظوراتُ والمواقف الوالديّة نوعاً من سلطةٍ تراقبُ أنا الطفل بالمعنى الحقيقي، وتندمج في شخصيّته. قد يكون ذلك نوعاً من «الدفاع الذي يحمي من العلاقة السلطوية. . . بوصفها دفاعاً مضاداً للعلاقة الصحيحة بالآخر»(٣). طيلة هذا التطوّر، يتحرَّرُ من حياته الخاصة والأنويّة، لكي يتموضع في عالم الآخرين. أما الأفعال، كما سنرى ذلك في مقاصد الأسرة المطبَّقة على الأبكار، المتحفِّزين نسبياً، فسوف يعدّ لها سلوكُ الأشخاص الآخرين؛ وكما تقول پ. كاهن «البكرُ الثاني يثير لدى البِكْر إضطرابات عاطفية وسلوكية»(٤)؛ غير أنَّ

---

(١) DAVID T. MACLAY, **Thérapeutique active en psychiatrice infantile**, Masson, 1971, p. 32.

(٢) Paulette CAHN, **La relation fraternelle**, P.U.F., 1962, p. 129.

(٣) Max PAGES, **La vie affective des groupes**, op. cit., p. 306.

(٤) P. CAHN, **La relation fraternelle**, op. cit., p. 130.

المهمّ أولاً في نظر البِكْر هو الصورة التي يكوّنها، حسب حكم الغير، عن شخصه وسلوكه لكي يحافظ على حب الأهل، فينزعُ البكرُ إلى التماهي بالصورة التي يصوّرها الآخرون ويتبنّاها هذا الإبن. هذه الصورة، ألنْ تكون بالنسبة إلى الطفل الأنا المثالي، الممثلن، الذي يتقارَنُ به؟ وهذا النموذج الذي يُستبطن في صورة مثالٍ مُقوَّم، ألا يمكنه الحلول محل صورة الأب أو كل صورة أخرى تقدّمها الأسرة على أنّها «المثال المنشود»؟ ولا سيما أنَّ هذا الأنا ـ المثال يُقدَّم منذ الولادة ويستند الأهل إليه باستمرار، فيما «لا تقوم كيفيّةُ **العلاقة** المولِّدة **للأنا** الذي يعي ذاته ولعالم يتموضع، إلاَّ ببطءٍ... بين 6 و 12 سنة»[١]. قبل السادسة، ألا يتماهى الطفلُ مع هذا **الأنا ـ المثال** حتى يفرحَ الأهل! نظراً «لأن هذه المرحلة تسير فيها التنشئة الاجتماعية جنباً إلى جنب بناء العالم الموضوعي!»[٢].

إن الأجوبة عن الاستمارات المستعملة لهذه الغاية، والتي سنعرضها في الباب الثاني من هذا الكتاب، أظهرتْ لنا في الأغلب أنَّ الحرمانَ نوعيٌّ لدى الإبن البكر، وأن سلوكه ينساقُ في نظام معاوضة يفترض أن تكون له تأثيراته في مجرى تطور شخصيته، طبقاً لتجاربه السابقة، ولدرجة نضجه ولقوّة أناه. فهذا الأخير مشغولٌ دوماً بالخوف من فقدان الحبّ الوالديّ، وعليه، يجد نفسه مضطراً، من جهة، للتوجه بسلوكه نحو هدف الحفاظ على هذا الحبّ بأي ثمن، ومن جهة ثانية، يتمنّى السير في اتجاه استعداداته، وإيجاد إشباعاته الذاتية، وتالياً، تحقيق توازنه.

(١) R. MUCCHIELLI, La personnalité de l'enfant, éd. E.S.F., 1976, p. 90.

(٢) م. ن.، ص 90.

ولكنْ ليس ثابتاً أن الإسقاطات هي موضع استيعاب الفرد دوماً. فهو لم يعد قادراً على استرجاع توازن مناسب، ويرفض كل إذعان، أو يردّ دوماً بمقتضى حنينه إلى الإمرة، إلى أن يكون القائد، الأول، وأن تكون له سلطة مُفْرِطة في محيطه.

بين 6 و 12 سنة، تقع المرحلة التي ستحدث فيها «القَبْليّات» الاجتماعية، والقرابية بالدرجة الأولى، والاندراج الاجتماعي؛ فهذه «المرحلة الأساسية»[١]، كما يصفها موكشييلي، إذا «فاتت، سيعاني منها الفردُ طويلاً، وربما دوماً؛ وعندما يبلغ سنّ الرشد، لن يكون إندراجه في المجتمع سويّاً»[٢]. في هذه الحال، ماذا يمكن أن يكون حالُ الإبن البكر مع كل ارتقابات الأهل وتوقعاتهم المعلَّقة عليه؟ وفوق ذلك، في ازدهار أناه وتوكيد ذاته، ماذا تغدو كيفيّاتُ حياته العلائقية في هذه المرحلة ما بين 13 و 18 سنة، حيث «ينزع تطور الشخصية (...) نزوعاً فطرياً إلى إقامة علاقة جديدة، نمط حياة جديد، رؤية جديدة للعالم»[٣]؟ مع العلم بأنَّ «الفردية تكون دوماً بالقوَّة على الرغم من عدم انقطاعها عن التكوّن»[٤]، فإن هذه الصورة المثالية هل يمكنها أن تكون قوَّة معاندة أو مؤاتية بالنسبة لهذا الطفل؟

ليست الصورة المثالية النتاج الوحيد للأهل، لكنها أيضاً نتاج الإخوة، لأنهم يرونَ في البكْر «الأخ الأكبر، ثاني الأب... إلخ»، دون أن تُنسى مع ذلك الخصومة والغيرة الأخوية التي تُضاف إلى المنافس، الذي يظلّ هو

(١) R. MUCCHIELLI, **La personnalité de l'enfant**, op. cit., p. 90.

(٢) م. ن.، ص 90.

(٣) م. ن.، صص 138-139.

(٤) Arnold GESEL, Frances ILG, Louise BATES-AMES, **L'Adolescent de 10 à 16 ans**, P.U.F., 1978, p. 39.

الأرهب، وهو في نظرنا، الصورة المثالية التي يسقطها الأهل؛ فالغيرة والمنافسة أو أية عقدة أخرى تصدر عن الأخوة، تكون مهمّة بقدْر ما تتعلّق بهذا أو ذاك من مكوّنات هذا الأنا المثالي.

ختام

يمكنُ القول إنّ وضع الإبن البكْر محوريٌ في صميم العائلة.

فعليه، لكي يفرح ذويه، أن يحقّق رغباتهم، طالما أنه ليس سوى إسقاطها. لكنّه ألا يملك نكهته أو ذوقه الخاص به، تطلعاته الذاتية، وقدراته الخاصة؟ في الغالب، ينجم وضع تنازعي عن هذه الحالة، قالباً هكذا حياة الإبن البكر العاطفية، الذي يكونُ موّزعاً بين مشاعره المتناقضة. ناهيكَ بأنَّ هذا الإبن المتميِّز يصطدم بمشكلاتٍ أخرى لا تقلُّ حساسيّة، يثيرها الأخوةُ الذين جاءوا لتجريده من بعض امتيازاته.

صفوة القول إن الإبن البكر يحاول استصناع الأنا الذي يمكنه أن يكون مركّباً من كل ما يحبّ ويكره وما يعذبه، وثمرةً لكل الموانع والحرمانات والخصومات والمحابطات من جهة، وللامتيازات الممنوحة له من جهة ثانية. والحال، قد يكون تطور حياته العاطفية ــ المعرفيّة على علاقة مباشرة بمحيطه، وربما تنطبع بطبيعةِ الروابط المُقامة مع أهله من وجه، ومع أخوته من وجهٍ آخر.

سنرى في استطلاعنا الميداني بأية كيفيّة ستقوم هذه الظواهر بتكوين شخصيّة خاصة بالإبن البِكْر في لبنان □

• • •

البابُ الثاني

منهجيّات

الفصل الرابع

تصوّر منهجية العمل

I. مدخل

أقمنا منهجيّاتنا على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: أنَّ تكوين الشخصيّة ليس الحصيلة الخاصة بمرحلة معيّنة، وأنّ لكل مراحل تطور الطفل أهميتها. وهذا التطور لا يتم بتحولات، مفاجئة أو تقلبات بين الطفولة الأولى، والطفولة والمراهقة. فالكائن البشري في تطور متواصل، عبْرَ السمات والمزايا الخاصة بكل مرحلة. هذا الأساس يحدِّد بدراسة طُوليّة للإبن البِكْر، الأمر الذي يستلزم عدَّة سنوات من الانتظار والعمل. مع ذلك، فإنَّنا إخترنا دراسة أفقية، صالحة بدورها. وعليه، يُغطي اختيارنا لجماعة دراستنا، ثلاث فئات من الأبناء الأبكار، بحسب أعمارهم، التي تتراوح بين 3 و 18 سنة. هذا يحدِّد استماراتنا المتعلّقة بكل فئة عُمْريّة، واختباراً إسقاطياً للصغار الذين لا يستطيعون الرَّد على أسئلتنا بالكتابة.

الأساس الثاني: هو أن كل فرد يكونُ حالة خاصة في النّوع البشري، الذي صار ما صار عليه، بفضل وراثته والعوامل الاجتماعية الممثلة، بالدرجة الأولى، بالأهل والأخوة. هذه العوامل تؤثر في التطور المعرفي ــ العاطفي للطفل، محبِّذةً المزايا الفردية، ومميِّزةً بذلك تطور شخصية الطفل المعني.

هذا الأساس يستلزم درس الطفل بحسب أهله وأخوته، والأهل بدورهم جرى اختيارهم بحسب وضعهم الاجتماعي ـ الاقتصادي، الثقافي والمناطقي. كما أن الأخوة جرى اعتبارهم بحسب الجنس ورتبة الولادة. فوضعنا استمارات لكل فئة من الأشخاص الذين يدخلون في علاقة مباشرة مع الإبن البكر، نعني: الأب، الأم، الأخوة والإبن البكر نفسه.

الأساس الثالث: هو أن خصوصيّة الفرد على صلة وثيقة بالعلاقة الحميمة بين ما هو عليه وما تقترحه البيئة أو تفرضه عليه، كما يقول ا. برج: «لا أحد يستطيع حقاً، ما لم يرغب حقاً في أن يريد من داخله: وهذه الرغبة لا يمكن فرضها من الخارج»(١). عندها سيتمكن الطفل من اعتماد الصورة المثالية التي تنشدها البيئة، إنْ كان يملك استعداداتٍ متجاوبة مع عوامل بيئته، ومضاعفة بالإرادة.

هذا يستلزم دراسة التفاعل بين الصورة التي يكوّنها الطفل هذا عن نفسه، والصورة التي يكوّنها الآخرون عنه، لكي تُستخلص خصيصة شخصية هذا الطفل النامية. وعندئذٍ نكون ملزمين بوضع أسئلة مختارة وفقاً لبعض الموضوعات التي تندرج في بنية الشخصيّة، من زاوية هدف هذه الدراسة.

تدور الموضوعات الرئيسة لكل استمارة حول هدفين محدَّدين تماماً: من جهة، موقف الشخص المُستجوَب من المسألة التي تهمّنا، ومن جهة ثانية، إدراكه في المجال نفسه، إن تحليل الأجوبة الخطيّة والتقاطع القائم، يسمح لنا برصد المسار الصحيح لشخصيّة الإبن البكر، وبتحديد وضعه بالنسبة إلى موقعه.

إنطلاقاً من هذه الأسس، المبادىء، ستتمكّن من استخلاص وسائط

---

(١) A. Berge, **les défauts de l'enfant,** P. U. F., 1971, p. 51

(پارامترات) ومتغيّرات تسمح بتحديد إختيار الجماعة المدروسة بكل فئاتها، ووضع أدوات العمل.

1. **الوسائط (الپارامترات)**

إن الامتيازات التي يتمتع بها البكرُ تظهر الوسائط (الپارامترات) التي سنكتفي بخمس منها رئيسة، ينجم عنها فرضان:

- القدرة
- السلطة
- المسؤولية
- النضج
- القدو ة

ينجم عنها فرضان واعيان: رتبة الولادة، الإمتيازات.

2. **المتغيّرات**

إن المتغيرات المأخوذة في الاعتبار، بحسب البيئة التي نعمل فيها، هي:

- عمر الإبن البكر
- رتبة الولادة
- الجنس
- مسقط رأس الآباء
- مكان الإقامة: المدن ـ الريف
- المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي للآباء
- المستوى الثقافي للآباء

إن موضوعنا الذي ينتمي إلى علم النفس الاجتماعي، يحدّد حقل استقصائنا، واختيار الجماعة المدروسة وتقنية العمل بموجب متغيراتنا المذكورة آنفاً.

II. المجتمع بأسره

في حالة الحرب الراهنة في لبنان، كان يستحيل القيام بدراسة، إحصائية وأخذ عينات ممثلة لكل البلد، لذا، إخترنا:

(1) منطقة جغرافيّة ينتمي سكانها إلى مختلف مناطق لبنان.

(2) أبناءً أبكار، مختارين من جماعة طالبيّة، نظراً لأن الأطفال يكونون في المدرسة عموماً ما بين 3 و 18 سنة على الأقل، مما يجيز لنا تناول أشخاص قادرين على متابعة الدروس العادية، بكلام آخر، أشخاص أسوياء، من حيث الذكاء. هؤلاء الأشخاص يتأثرون دوماً بالأهل.

(3) كسباً للوقت، لأننا نستطيع التوصل إلى العدد الأكبر الممكن والمُراد من الأبكار والأبكار الثواني أو الصغار.

1. المعهد المُختار

من المعروف أنَّ في لبنان ثلاثة مجاميع لفئات المدارس، هي: المدارس الرسمية، المدارس الخاصة المجانية، والمدارس الخاصة غير المجانية هذه الأخيرة في غاية التنوع. هناك دراسة معمَّقة، قام بها **جوزيف أنطون**، توضح تصنيف فئات المدارس في لبنان. ويعود التباين إلى «عوامل طائفية، سياسية ــ إيديولوجية واجتماعية ــ اقتصادية»[١]. أما العامل المشترك بين جميع المدارس غير المجانية، فهو العامل «الثقافي»[٢] الذي يُضاف إليه مستوى الأهل الاقتصادي. ولا يكون العامل الاقتصادي محدِّداً دوماً بنسبة مئة بالمئة، إذ إن بعض التلاميذ يتردّدون على هذه المدرسة أو تلك، لأسبابٍ ثانوية.

(١) J. ANTOUN, **Problèmes socio — éducatifs du liban,** Libania, Beyrouth, 1984, p. 146.

(٢) م. ن.، صص 145 — 146.

(أ) إلى أي نمط ينتمي معهدُنا؟

إنَّه معهد خاص، غير مجاني، يعمل منذ مئتي سنة، مواكباً التطور البيداغوجي للنظام التربوي في لبنان. يديره الرهبان الأنطونيّون اللبنانيون، ويوفّر التعليم من الحضانة إلى المرحلة الثانوية الأخيرة. إنه مختلط، وفيه 80 ٪ من الصبيان، وعدد تلاميذه هو 1767، سنة 1982، تاريخ إجراء التحقيق.

(ب) الموقع الجغرافي للمعهد

يقع هذا المعهد في مدينة بعبدا، الضاحية الجنوبية ـ الشرقية للعاصمة بيروت. تتميز هذه المدينة بتنوُّع سكانها، للأسباب التالية: كعاصمة محافظة، فيها السرايا ـ فندق المدينة ـ ومستشفى كبير للحكومة، ومستشفيات خاصة أخرى، وسجن؛ وعلى مقربةٍ منها، هناك المدرسة الحربية، وإدارة حصْر التبغ، ومصانع ومدارس ثانوية مجانية وغير مجانية.

2. بنية جماعة التلاميذ في المعهد، بحسب:

جدول 1، أ

العمر، الجنس، رتبة الولادة

العمر بالسنوات	عدد التلاميذ	الأبناء البكريون	البنات البكريات	البكريون الثواني	الصغار
14 ـ 18	601	139	12	141	409
9 ـ 13	619	146	14	104	355
3 ـ 8	549	69	20	90	368

جدول 2/ ب

مسقط رأس التلاميذ البكريين في المعهد

مسقط الرأس	المجموع	الأبناء سنوات 14 ـ 18	البكريّون سنوات 9 ـ 13	سنوات 3 ـ 8	البنات البكريّات
بيروت، ساحل الجبل	101	38	32	19	12
جبل لبنان (الجبل)	90	32	35	12	11
لبنان الشمالي	71	20	24	16	11
لبنان الجنوبي	73	34	18	13	8
البقاع	65	15	37	9	4

3. بنية جماعة أهل التلاميذ في المعهد، وفقاً لـ :

بيروت / ساحل الجبل	108
جبل لبنان (الجبل)	98
لبنان الشمالي	81
لبنان الجنوبي	85
البقاع	70

جدول 4 / ب

مسقط رأس أهل التلاميذ، حسب عاملي: المدن / الأرياف

المدن	201
الأرياف	119

جدول 5 / ج
المستوى الثقافي لآباء التلاميذ

شهادة ابتدائية	128
شهادة البريفه	139
صفوف ثانوية	117
جامعيّون	58

جدول 6 / د
المستوى الاجتماعي ــ الاقتصادي لأهل تلاميذ المعهد

أغنياء	100
ميسورون	138
متوسطون	111
فقراء	93

III. العينات

1. ضرورات

بما أن جماعتنا المدروسة مكوّنة من عدّة فئات، فإن بعض الضرورات تفرض نفسها على وضع العينات وأخذها، وهناك ضرورات أخرى تسوّغ عدد كل فئة بحسب المتغيّرات المذكورة آنفاً.

* تعود الضرورة الأولى إلى دراسة الإبن البكر في محيطه العائلي، مما يستلزم مجموعةً مكوّنة من بكريّين ومن ذويهم ومن ثوانيهم البكريين والأخوة.

في تصوّرنا، يتحدَّد عمْرُ البكر ما بين 14 و 18 عاماً. ودراستنا تستند بصورة أساسية إلى هذه الشريحة العمرية، على الرغم من أدراجنا شرائح أخرى

تدعيماً وتوضيحاً لنتائجنا. ففي هذا العمر، يكون الفتى قادراً على التحدث عن ماضيه ومستقبله كما يتمنّاه، فيما يتمنى له الأهل، أحياناً، مستقبلاً آخر. وعليه، يمكننا ترصد العوامل المؤثرة في تطور البكر. ناهيك بأن كل تأثير، في هذا العمر، يمكن للشخص أن يستشعره، وأن يعيه.

* زدْ على ذلك أننا اضطررنا للتوقف عند العائلات التي تتجاوب مع هدفنا، بكلام آخر نقول: تلك التي كان مولودها الأول، ذَكراً، وعندها على الأقل ثلاثة أطفال، بينهم بنت، فهي عنصر مهم لرصد مسؤولية الإبن البكر تجاهها. كما أننا استبعدنا العائلات غير المسيحية، نظراً لاحتمال اختلاف وضع الإبن البكر، بحكم تعدّد الزوجات والعوامل الاجتماعية ــ الدينية الأخرى. كما استبعدنا أيضاً العائلات التي مات مولودها الأول، باكراً، أو جرى إجهاضه: لأن هذا يضع الأم بنحو خاص، في وضع نفسي مؤلم، قد يؤذي الأطفال ويعكّر صفو العلاقة بين الأم والبِكْر. كذلك، جرى استبعاد العائلات التي لها أطفال من زواج سابق أو أطفال بالتبني. أخيراً، استبعدنا الأطفال اليتامى من جهة الأب أو الأم، أو الأيامى.

* تصدر الضرورةُ الثانية عن بعض العوامل العاطفيّة: ذكريات طفولة، وعود أو ممنوعات، يمكن رصدُها في مرحلة من الحياة رصداً أفضل من مرحلة أخرى. الأمر الذي يسوّغ تركيبة الفئات الثلاث للأبناء البكريين، الموزّعين بمقتضى ثلاث شرائح عمْرية:

ــ فئة أولى: أبناء بكريّون ما بين 14 و 18 سنة.

ــ فئة ثانية: أبناء بكريّون ما بين 9 و 13 سنة.

ــ فئة ثالثة: أبناء بكريّون ما بين 3 و 8 سنة.

هذه الفئات الثلاث تسمح لنا بتغطية مختلف مراحل حياة الطفل، المتطورة من 3 إلى 18 سنة.

* الضرورة الثالثة مصدرها طبيعة الأسئلة التي سنتحدث عنها لاحقاً: إن سؤالاً واحداً، مطروحاً بأشكال مختلفة على أبناء بكريّين من أعمار مختلفة، سيخبرُنا عن حياتهم العاطفية في شتى مراحل تطورهم. كذلك سنجنِّب، بهذه الطريقة، الإبن البكر من الانزعاج بعدد كبير من الأسئلة أخيراً يسمح، اختيار فئة الأبكار ما بين 14 و 18 سنة، بأن يخاطبوا كتابةً، ثوانيهم البكريين، مقدّمين لنا أسئلة، سامحين برصد البارامترات (الوسائط) المطلوب درسها، الأمر الذي سيستلزم نضجاً معيناً لدى الشخص المُخْتَبر.

* تنجم الضرورة الرابعة عن كون الطفل يكوِّن عن نفسه صورةً يتشكل جزءٌ منها من الصورة التي يكوّنها عنه الآخرون، الأمر الذي يسوِّغ اختيار ثلاث فئات من الأخوة، ما عدا الفئة المكوّنة من البكريين الثواني: إنها الفئات المكوَّنة من الصغار، البنات البكريّات، والبكريين الثواني. وبما أنَّ هذه الفئات لا يمكنها الانتماء كلياً إلى عائلاتِ البكريين ما بين 14 و 18، المُعتانين (échantillonnés)، وبما أن جماعة تلاميذ المعهد المختار ليسوا مختلطين إلاّ بنسبة 20 ٪ من البنات، فقد اخترنا عدَّة أشخاص، وبنحو خاص، عناصر البنات، من محيط مماثل.

هناك ملاحظة أخيرة تتعلق برائز ذكاء الأبناء البكريين المُختَبرين:

تجنباً للقيام باختبار ذكاء، اخترنا البكريّين من عمرٍ واحد، ولكن من صفوفٍ مدرسيّة مختلفة، وتعيش حياةً مدرسية سويّة، وتالياً، تجنبنا كل طفل لا سويّ، وتغطي العينةُ بكريّين من مختلف درجات الذكاء. وتصح الملاحظة عينها لفئات الأخوة الأخرى.

2. جداول العينات

لتقديم صورة واضحة عن منهج عملنا، نقترح الجداول التالية:

جدول 7

مسقط الرأس (1)	مجموع الأهالي (2)	أهالي لهم بكريّون في المعهد (3)	بكريّون ما بين 14 ــ 18 سنة (4)	بكريّون ما بين 9 ــ 13 سنة (5)	بكريّون ما بين 3 ــ 8 سنة (6)	بنات بكريّات (7)
بيروت (ساحل الجبل)	108	101	38	32	19	12
جبل لبنان (الجبل)	98	90	32	35	12	11
لبنان الشمالي	81	71	20	24	16	11
لبنان الجنوبي	85	73	34	18	13	8
البقاع	70	65	15	37	9	4
المجموع	442	400	139	146	69	46

فلنلاحظ أن الـ 42 أسرة الباقية، حسب العمودين 2 و 3، ليس لها أبناء بكريّون في المعهد، ولنلاحظ أيضاً، كما يظهر في العمود 4، أننا أبقينا الأسر التي ردّت على الاستمارات الموجهة إلى 139 إبناً بِكْراً. وجرى استبعاد الأسر الأخرى، للأسباب التالية:

- غياب أحد الوالدين (وفاة أو سفر).
- غياب بكر ثانٍ صبيّ.
- عدم وجود أخ للبكر.
- لم تُقبل كل النسخ.

وبلغ ١٠٤ عدد البكريين الباقين الذين أجابوا عن كل شروط عينتنا. ولقد اخترنا الرقم ١٠٠، لأن الفرق بين هذين الرقمين طفيف، ولأن الرقم 100 يسهّل حساباتنا. وجرى استبعاد العائلات الأربع بالمصادفة.

جدول 8

مقارنة بين أعداد البكريّين والسكان والعينة، بمقتضى مسقط رأس آبائهم

مسقط الرأس	السكّان	العينة	العائلات المتروكة
1	2	3	4
بيروت (ساحل الجبل)	38	26	12
جبل لبنان (الجبل)	32	24	8
لبنان الشمالي	20	15	5
لبنان الجنوبي	34	24	10
البقاع	15	11	4
المجموع	139	100	39

إن العمود 3 يعتبر حينئذٍ بمنزلة العيّنة الأساسية، وسوف تتكون من 100 كل فئة عينية، نعني الأبناء البكريِّين ما بين 14 — 18 سنة، أو ما بين 9 — 13 سنة، والآباء، والأمهات، البكريين الثواني والصغار.

جدول 9

حسب عوامل: المدن / الأرياف

مسقط الرأس	العدد
مدن	51
ريف	49
المجموع	100

جدول 10

حسب المستوى الاجتماعي ـــ الاقتصادي للآباء

الفئة	العدد
أغنياء	18
ميسورون	36
متوسطون	27
فقراء	19
المجموع	**100**

جدول 11

حسب مستوى آبائهم الثقافي

المستوى التعليمي	العدد
ابتدائي (يقرأ ويكتب)	30
متوسط (صفوف تكميلية)	36
ثانوي	20
جامعي	14
المجموع	**100**

جدول 12

أشخاص مستجوبون

ينتمون إلى العائلات الباقية

فئات	العدد النهائي
أبناء بكريّون ما بين 14 ـــ 18 سنة	100
آباؤهم	100
أمهاتهم	100
ثوانيهم البِكْريّون	100

جدول 13

جدول ممثل لبقية أفراد الأخوة

من المعهد، أو محيط مماثل

الفئات (1)	تلاميذ المعهد	تلاميذ محيط مماثل	المجموع
الصـغـار (2)	20 + 80	ـــ	100
البكريون (3)	20	80	100
البكريون (4) الثواني	27	73	100

فلنشدِّدْ على أن صغار العمود (2) هم جماعتان: 20 من صغار البكريين المستجوبين، والبالغة أعمارهم ما بين 14 و 18 سنة، وأن الباقي، الثمانين، جرى أخذه بالمصادفة (عشوائياً).

جدول 14

جدول ممثل للأطفال الذين أخضعناهم لاختبار إسقاطي. ينتمي هؤلاء الأطفال إلى المعهد، وتتراوح أعمارهم بين 3 و 8 سنوات.

نلفتُ إلى أن دراسة رسوم الأطفال المختبرين ليست هدفاً بذاته، ناهيكَ بأننا اكتفينا بعدد محدود من الأطفال، لأننا أردنا فقط، درس وجود السمات المفترض أنها خاصة بالبِكْر منذ نعومة أظفاره. لذا، اكتفينا بخمسين (50) طفلاً، موزعين كما يلي:

فئات	بكريّون	بكريّات	بكريّون ثواني	صغار	المجموع
بكريّون	20	—	—	—	20
توائم	4	4	—	—	8
أخوة	—	—	١١	١١	٢٢
المجموع	24	4	11	11	50

3. جدول لمجموع العيّنات الفرعية (Sous - échantillons) (ع ف)، لعينةِ عملنا (ع ع):

جدول 15

عينات فرعية (ع ف)	فئـات	المجموع
ع ف / 1	أبنـاء بكـريّـون ـ مختبرون مرتين: 20 بين 14 ـ 18 سنة ـ مختبرون مرة واحدة: 80	100
ع ف / 2	ثواني البكريّين من العينة ع ف / 1	100
ع ف / 3	آباء البكريين من العينة ع ف / 1	100
ع ف / 4	أمهات البكريين من العينة ع ف / 1	100
ع ف / 5	أبناء بكريّون ما بين 9 ـ 13 سنة	100
ع ف / 6 ع ف / 7	صغار البكريين من ع ف / 1 = 20 صغار مختارون عشوائياً من محيط مماثل للعينة ع ف / 1 = 80	100
ع ف / 8	20 من محيط ع ف / 1 نفسه بنـات بكريّـات 80 من محيط مماثل	100
ع ف / 9	ثواني البكريّين، أخذناهم عشوائياً، إما من المعهد وإما من محيط مماثل	100
ع ف / 10	أربعة أزواج من توائم بكريّين (بنت / صبي) 24 بكْراً ما بين 3 ـ 8 سنوات 22 صغيراً 11 بكراً ثانياً لبعض البكريين السابقين 11 صغيراً أخذناهم عشوائياً	50
المجموع		850

● ● ●

الفصل الخامس
الأدوات

□ إن المنهج الاختباري الذي طبّقناه، دفعنا إلى التفكير بكيفية اكتشاف مواقف التلاميذ أولاً، وذويهم ثانياً، من المسألة التي تهمّنا.

وبحسب عمر التلاميذ، لجأنا إلى وضع الاستمارات، لمن يحسنون الإجابة كتابةً، واستعمال اختبار إسقاطي بالنسبة إلى التلاميذ الصغار، ما بين 3 و 8 سنوات.

I. الاستمارات (الاستبيانات)

جرى على فترتين درسُ الاستمارات التي استعملناها: استطلاع ميداني، مسبوق باستطلاع أوليّ، كان قاعدةً مفيدة لصياغة استماراتنا بصورة نهائية.

1 ــ سير الاستطلاع الأولي

في فترة أولى، بدأت مسيرتنا بتعميم وأسئلة موجَّهة إلى التلاميذ البِكْريين وذويهم، لإعلامهم بهدفنا. وكان الأهل، الذين كنا نعرفهم شخصيّاً، يجيبون بأكثريتهم الساحقة، عن كل الأسئلة، وكانوا يكشفون لنا أسراراً عن أبكارهم، جرى استعمالها جزئياً في تعزيز بعض النقاط. وبخصوص التلاميذ، كنا نجمعهم في قاعة كبرى لإعلامهم بما كنّا نتوقّع منهم؛ وكان تجميعهم يجري بحسب الصفوف. وحاولنا الحدَّ، قدْرَ المستطاع، من التأثير الإيجابي

أو السلبي الذي يمكننا إضفاءه على العلاقة بينهم وبيننا. فأفهمناهم أنَّ هذه الاستمارات هي جزء من بحث، وبعد ضمان السرية، سارت الاستمارة في ظروف منهجية صحيحة، وبالأخص في ما يتعلَّق بالرأي المُعبَّر عنه.

2 ـــ صوغ الاستمارات

في مرحلة الاستطلاع الأولي، خضعت الصياغة الأولى للاستمارات لمجموعة من 200 تلميذ (مدرسي). جرى اختيار هؤلاء التلاميذ من الصفوف عشوائياً؛ وكانوا موزعين على النحو التالي:

أبناء بكريّون	بنات بكريّات	بكريّون ثوانٍ	صغار	المجموع
العمر/ 9 ـــ 18	10 ـــ 18	10 ـــ 17		
العدد/ 100	10	58	32	200

وضعت الأسئلة بالعربية حتى يتمكن كل الأشخاص من التعبير بحرية وسهولة. وحسب الأجوبة، ألغينا بعض الأسئلة، وعدَّلنا بعضها الآخر، واحتفظنا بالأكثرية منها التي كانت أجوبتها واضحة ودالَّة:

* إن الاستمارات، المُفيدة في رصد مختلف الوسائط المعمول بها، والمزايا الخاصة بكل منها، جرتْ صياغتها في خانتين أو عدَّة خانات متنوِّعة، للإحاطة بمجمل المسائل والفرضيَّات الأساسيَّة.

* كذلك جرى الاحتفاظ ببعض المقاطع، كما هي، نظراً لأن الموضوعة يمكنها أن تعطي دلالاتٍ نفسانية جوهرية حول خصوصية البِكْر.

* كما أن هناك مطالب تُبيّن كيف ينتزع البكْرُ حقوقاً مُفرِطة أحياناً،

وهناك مطالب أخرى تسمح بلحظ المكانة المخصصة للبكْر في الأسرة، جرى الحفاظ عليها.

* والحال، جرى بناء خمس سلاسل من الاستمارات:

(أ) استمارة أولى، قوامُها 33 سؤالاً وسؤالاً فرعياً، تخاطب الأبناءَ البِكْريين ما بين 14 — 18 سنة.

(ب) استمارة ثانية، مكوَّنة من 47 سؤالاً وسؤالاً فرعياً، تخاطب البِكْريين ما بين 9 — 13 سنة.

نلفت إلى أن بعض هذه الأسئلة تخاطب جماعة شهودية من الصغار، من المحيط المدرسي عينه.

(ج) استمارة ثالثة، مؤلفة من 21 سؤالاً أساسياً وفرعياً، تخاطب الأهل (الأب، الأم)، وهم أهل الأبناء البِكْريين ما بين 14 — 18 سنة.

(د) استمارة رابعة، قوامُها 18 سؤالاً أساسياً وفرعياً، تخاطب الأخوة: البكريين الثواني للبكريين (14 — 18 سنة)، والبكريين الثواني، والصغار.

(هـ) استمارة خامسة، تخاطب البنات البكريّات. تتكوَّن هذه الاستمارة من 9 أسئلة أساسية وفرعية. وكان مقصوداً حصْرُ عدد هذه الأسئلة.

3 ــ نماذج الأسئلة (أنظر الملاحق)

الأسئلة مغلقة في معظمها، وعلى التلميذ المُستَجوب أن يضع صليباً في المربع المناسب، مثلاً:

س 7 د: هل يتحمل هو المسؤولية — نعم ☐

كلا ☐

هناك بعض الأسئلة المفتوحة، التي تسمح للشخص بالتعبير الحر، الأمر الذي يتيح لنا الفرصة لملاحظة المضمون الكامن للأعباء العاطفية المعبَّر عنها من خلال الرغبات المُسْقَطة، والأماني المصاغة أو مشاعر القلق التي يخفيها استياء الوعي: السؤال المفتوح يأتي متمماً سؤالاً أو عدة أسئلة مغلقة مطروحة من قبل، مثل: س 16:

* هل تودّ لو كنت أنت الإبن البِكْر؟ نعم ☐ كلا ☐

والسؤال المفتوح (رقم 17) هو: «عبّر ببضعة أسطر عن تمنيك لو كنت أنت الإبن البِكْر».

إن كل الأجوبة بـ(نعم) عن الأسئلة المفتوحة، لا تحمل دوماً قيمتها الإيجابية، فقد تخفي قيمة سلبية. هذه الكيفية مقصودة للتحقق من الصدْق في الإجابات. وهذا يظهر أحياناً في الأسئلة التي تتوجه نحو عنصر واحد من السلوك أو الشخصية، كما في الأسئلة (5 هـ) و (5 و).

مثلاً: س 5 هـ: «هل أخوته يخافونه»؟ نعم ☐ كلا ☐

س 5 و: «هل ينعتونه بالقسوة»؟ نعم ☐ كلا ☐

بعض الأسئلة موضوعة بصيغة تساؤلية توكيدية، فيما بعضها الآخر بصيغة النفي، والغاية من ذلك هي جعل الشخص يفكّر في المسألة، بحيث تتاح الفرصة للحكم الموضوعي إلى حدٍ ما.

ولقد تجنَّبنا الأسئلة المفتوحة، الموجهة إلى الأهل، خشيةَ امتناعهم عن الرَّد، نظراً لأن بعضهم لا يجيد الكتابة، إلاّ أن بعض الأمهات كانت تزوُّدنا بمعلومات عن أبنائهم البكريين، كما كنَّ يجاوبن باعتناء عن كل سؤال كنا نطرحه عليهن، خارج الاستمارات.

لم تجر صياغة كل الأسئلة بأسلوب واحد، فبعضها مكتوب بأسلوب مباشر، بحيث يشعر الشخص بأنه معنيٌّ ومخاطَب مباشرة، فيبادر إلى جوابه، الأمر الذي يسمح لنا، في مستوى رأي الأشخاص وقناعاتهم، بتحديد خصوصيّة وفرادة البِكْر، من خلال تحديد موضعه في حياته العلائقية العاطفية ــ المعرفية، وأخيراً تسمح برسم صورته النفسية ــ الاجتماعية.

هناك أسئلة أخرى مكتوبة بأسلوب غير مباشر، حتى لا يبقى الشخص مشدوداً وتحت الضغط لأمدٍ طويل، وحتى يعبِّر عن ذاته بحرية وعفوية. كما أن الأسلوب غير المباشر يسمح للشخص بأن يجاوب بموضوعية أكثر. مما يساعدنا على رسم صورة الإبن البِكْر بدقَّة أكبر: مثال ذلك، سؤال مصاغ بأسلوب مباشر وموجَّه إلى البكر:

س 13: «هل ينجح أخوتك في المدرسة أحسن منك»؟

نعم ☐ كلا ☐

وسؤال مُصاغ بأسلوب غير مباشر، وموجه أيضاً إلى الشخص نفسه:

س 21: «هل صحيح أن الأب يتمنى أن يكون بِكْرَه أحسن من أخوته»؟

نعم ☐ كلا ☐

4 ــ بنية الإستمارات والوسائط (البارامترات)

(أ) بنية الاستمارات

تتألف كل سلسلة استمارات (أسئلة) من عدد معيَّن من الأسئلة، بعضها مشترك مع كل الاستمارات، وبعضها خاص بهذه الإستمارة أو تلك، حسبما تخاطب الإستمارات البكريين ما بين 3 ــ 9 سنوات، أو 14 ــ 18، أو الأهل، أو الأخوة، الأمر الذي يسمح باستخلاص السمات التفاضلية لشخصية البِكْر.

يجري رصد مواقف البكر وسلوكاته انطلاقاً من دراسة استمارتين (أنظر الملحق I)، إحداهما موجَّهة إلى البكريين ما بين 14 — 18 سنة، وثانيتهما موجهة إلى البكريين ما بين 9 — 13 سنة. كما أختبرنا للسبب عينه، بكريين ما بين 3 — 8 سنوات، من خلال إختبار إسقاطي. ولنوضحْ أخيراً أن مجموعة بكريين، جرى إختبارها في فترتين مختلفتين: ما بين 9 — 13، و 14 — 18 سنة مع فارق خمس سنوات بسبب الحرب، مما يسمح لنا بأن نحدِّد على نحو أفضل مسار تشكل هذه المواقف في الزمان وصيغة الأسئلة بمقتضى الوسائط (البارامترات). على سبيل المثال، سنورد سؤالاً مشتركاً بين الاستمارتين الموضوعتين: البكريين ما بين 9 — 13 سنة، أو بين 14 — 18 سنة: السؤالان 9 و 5 هـ، الراميان إلى رصد الصورة التي يكوّنها البكْرُ عن الصغار:

س. 9: «هل تخاف منهم»؟

س. 5 هـ: «هل يخاف منه أخوته وأخواته»؟

بالتساؤل المباشر يحدِّد الطفل موقعه في مواجهة نفسه؛ ويتموضع بالنسبة إلى حكم الأخوة، وبالتساؤل غير المباشر، يفكّر برد فعل الأخوة سلوكياً تجاهه.

كما أن بعض الأسئلة مخصصة حسب الشريحة العمرية للبكْرِيين. إن سؤالاً مطروحاً على عمر معيَّن، يسمح بجواب دلالي، فيما طرحه على عمر آخر قد يكون مضحكاً: السؤال 4 مثلاً، الموجّه إلى البكريين ما بين 9 و 13 سنة: «الكبير يأكل وحده، أنا أطعم الصغير»، يجعلنا ندرك إن كان الطفل يُعامل إيجابياً أو سلبياً من طرف الأم، فيما إذا كان البكْر ما بين 14 و 18 سنة، فلن يستطيع أن يتموضع في الماضي لكي يتذكر أقوالاً كهذه ويصدر حكماً، كما أن هؤلاء البكريين الأخيرين يجيبون إجابة دلالية على

السؤال رقم 14، مثلاً، غير الموجَّه إلى الأصغر من البكريين: «مطالب الأهل قاسية أم صعبة التحقيق»؟

في المقابل، بعض الأسئلة مطروحة على فئتي البكريين، ولها أهمية كبيرة من زاوية الديمومة في الزمن، أو أيضاً لرصد عناصر أخرى من الشخصيّة: مثل السؤالين رقم 8 ورقم 27، الموجَّهين إلى فئتي البكريّين «هل أنت سعيد لكونك البكر؟». مما يسمح لنا بسبر هذا الشعور لدى البكْر في الزمان.

كما أننا نشير إلى أن بعض الأسئلة مشتركة بين الاستمارات الخاصة بالأهل والبكريين أو الأخوة، ذلك أن الاستمارات في مجملها، جرى تصوّرها بهدف رصد المواقف المختلفة والإدراكات لدى أفراد الأسرة بالنسبة إلى البكر. وهي غير مؤلفة من الموضوعات الترميزية نفسها، بل يدور بعضها حول موضوعات مشتركة، وبعضها الآخر، المختلف، يصبُّ في الهدف عينه، إن بعض الأسئلة، الرامية إلى سبْر أهمية مشاعر الأهل، تندرج في لعبة الحياة العلائقية مع الأطفال، وبالعكس. وهناك أسئلة أخرى، يُفترض بها أن تزوّدنا بمعطيات مباشرة عن البكْر، تحدِّده في موقع فرادته. وأخيراً، ثمة أسئلة أخرى تتناول مسألة استجابة البكر بالنسبة للإرادة الوالدية.

(ب) بنية الپارامترات (الوسائط)

إن الپارامترات، كما جرى تصوّرها، ممثلةٌ في أسئلة مركبة، موجهة إلى الأبناء البكريين، الذين يتراوح عمرهم بين 14 و 18 سنة، ويشكلون العينة (ع ف 1)، هذه الپارامترات يمكن تجميعها في الجدول التالي.

جدول 17

يجمع الپارامترات ومزاياها، المشار إليها بمجموعات الأسئلة الموجهة إلى البكريين ما بين 14 و 18 سنة.

پارامترات	مزايا كل پارامتر	مجموعة الأسئلة
1. القدرة	(أ) الاجتماعية	1 - أ + 1 ب + 5 ب
	(ب) الوالدية	2 - أ + 2 ب + 2 ج + 4 + 7 - أ
	(ج) المحسودة (المُزاحة)	3 + 5 ب + 9 + 19
2. السلطة	(أ) المنسوبة	4 + 4 أ + 4 و + 5 ب + 5 ز
	(ب) المؤكدة	5 - أ + 6
	(ج) المقبولة	3 + 5 ج + 9
	(د) المحسودة (تنافس)	3 + 5 د + 9
3. المسؤولية	(أ) المنسوبة	5 ز + 7 أ + 7 ج
	(ب) المفروضة	3 + 7 ب + 7 د + 10
	(ج) المقبولة	3 + 7 أ + 7 ج + 7 د + 8
4. القدوة		5 - أ
5. النضج		5 د + 7 ج + 15
6. رتبة الولادة	(أ) المنسوبة	3 + 10 + 12 + 13
	(ب) المحذوفة	2 - أ + 12
	(ج) المفروضة	1 - أ + 2 أ + 2 ج + 18
	(د) المقبولة	1 - أ + 2 أ + 2 ج + 17
7. الامتيازات	(أ) المعترف بها	1 - أ + 2 ج + 5 ز + 17 + 20
	(ب) غير المعترف بها	3 + 5 ب + 9 + 19

إنَّ البارامترات المدروسة من خلال الاستمارة الموجهة إلى الأبناء البكريين، ما بين 9 و 13 سنة، جرى تجميعها في الجدول التالي :

الموضوعات		الأسئلة
1. مشاعر معاشة	(أ) بوعي	1 - أ + 1 ب
	(ب) نموذج، قدوة حسنة	2 - أ + 2 ب
	(ج) اعتبار الكبير	3 - أ + 3 ب
	(د) مستقل	4 - أ + 4 ب
	(هـ) مفضّل	5 - أ + 5 ب
	(و) نضج	6 - أ + 6 ب
2. صورة والدية		7 - أ + 7 ب + 7ج
3. تفوق		8 + 9 + 24 + 25
4. أبويّة		10 + 11
5. غيرة (حسد)		13 + 14
6. مفضَّل	(أ) من الأب	14 - أ + 15
	(ب) من الأم	14 ب + 16 + 17 + 18
7. مقدَّر	(أ) من الأب	19 + 20 + 21 + 22
	(ب) من الأم	17 + 23 + 26
8. إعتزاز	(أ) الأب	21
	(ب) الأم	23
9. ثقة الأم		26

10. الرتبة	(أ) مقبولة (ب) مرفوضة	27 + 28 + 29 28 + 29 + 30
11. التماهي		31
12. المهنة		32
13. تمنيات والدية محققة	(أ) أبوية (ب) أمومية	15 + 19 + 20 + 27 16 + 17 + 18 + 27

جرى وضع هذه البارامترات، بهدف التعويض عن دراسة الصوزة الكاملة لنمو شخصية الابن البكر.

استعملنا عدَّة أسئلة لاكتشاف بارامتر (وسيط)، أحياناً يمكن لسؤالين أو أكثر، رصد عنصر واحد، لكنهما يُطرحان بطريقة مختلفة، لتوضيح أفضل للجواب، ويبقى مع ذلك أن كل سؤال ينطوي على دلالة خاصة، وأن الأسئلة تتمفصل في سبيل درس أفضل لخصوصية البِكْر في سياق تطور شخصيته.

على سبيل المثال سنقدم أحد جوانب البارامتر «قدرة»: «قدرة محسودة» أو الخوف من الخلع. والأسئلة التي تسمح برصده، هي التالية:

س رقم 3 : «هل هذه التوصيات صعبة عليك»؟

س رقم 5 ــ ب : «هل أخوته وأخواته يلجأون إليه في وقت الصعاب»؟

س رقم 9 : «هل أحد أخوتك يحاول أن ينتزع منك الأولوية»؟

س رقم 19 : «هل هناك من معاملة خاصة للإبن البِكْر»؟

إنَّ معيار اختيار الأسئلة التي تتناول پارامتراً معيناً، يرتكز على المحتوى العاطفي الذي يتضمَّنه السؤال. والمقصود هو وَضْعُ الطفل في وضعٍ صراعي يفضي إلى تشغيل آليات الدفاع والتبرير. هذه الآليّات تُحيطُ بالمُعاش، وفي مستوىً أعمق، سيجري رصدُها من خلال موقف الشخص في خياراته واستعداداته للرفض أو التقويم في مواجهة المُعاش.

كما أن الموضوعات التي يدور حولها باقي الأسئلة الموجهة إلى مختلف أفراد الأسرة، والاختبار الأولي الذي حلَّلناه، ساعدانا على تبيان تصنيف الأسئلة، وشكلها النهائي بالنسبة إلى كل پارامتر.

إن هذه الوسائل الاستقصائية تسمح بمجملها، بتقويم النوعية العلائقية العاطفية ــ المعرفية للبِكْر في صميم العائلة.

5 ــ تحليـل النتائـج

بعد جمع أجوبة الأسئلة، عالجنا النتائج على الحاسوب، وجرى نوعان من التحليل:

أولهما خطي، ونعني به النتائج الرقمية، المرقمة، لكل من الأسئلة بمعزل عن الكل، ثانيهما مركب، ونهني به مقارنة الأجوبة بمجمل الرموز التي تتناول پارامتراً واحداً.

(أ) التحليل الخطي

جرى تصوّره على النحو التالي: سنعرض على سبيل المثال بعض نماذج هذا التحليل على الحاسوب:

جدول رقم 18

(راجع صورة الأصل الفرنسي) ص 172

المقصود بمنطقة (Z): جزء المعالجة على الحاسوب لاستمارة بكاملها. وكل استمارة يُشار إليها بـ «منطقة» ويدل الرقم على فئة الأشخاص، كذلك سنقدم على سبيل المثال نموذج تحليل استمارة موجهة للأخوة:

جدول 19

(راجع صورة الأصل الفرنسي) ص 173

إنها أجوبة صادرة عن الأخوة رداً على الأسئلة المقابلة. جرت معالجة الأسئلة كلها وفقاً لصيغة واحدة.

تسمح نتائج التحليل الخطي (الطولي)، كما نرى، برصد مواقف البكر والأشخاص الآخرين في عيّنتنا، من التفاعل العائلي، الأمر الذي يُجيز تقدير نوعية العلاقات القائمة، وتعيين مصدر القلق أو الإشباع، وإدراك المواقف والتصوّرات.

رداً على السؤال 5 ـ أ (أنظر الملحق I)، مثلاً، الموجه إلى البكريين ما بين 14 ـ 18 سنة، كما نرى من خلال جدول المنطقة 2: «هل من واجب الإبن البِكْر أن يكون المثل الصالح لأخوته»؟، كانت الأجوبة قد أعطت 96 ٪ من ردود البكريين الأيجابية (راجع نتيجة Z_2 السؤال 5 ـ أ الوارد سابقاً، أو الملحق II)، المعبِّرة عن واجبهم في أن يكونوا المثل الصالح للأخوة، كذلك السؤال 7 ـ ب (ملحق I)، مثلاً «إن الإبن البِكْر قاسٍ مع أخوته»، (راجع نتيجة Z_2 السؤال 7 ـ ب، أو الملحق II)، ردَّ عليه 19 ٪ من البكريين بأنهم قساة، و 79 ٪ غير قساة، و 3 ٪ إمتنعوا عن الردّ.

هكذا جرى تبريز العلاقة القائمة بين البِكْر والأخوة، المدروسة جزئياً من خلال هذه الأمثلة.

إلى ذلك، فإن نتائج التحليل الخطي لأجوبة الأخوة الصغار توضح مواصفات العلاقة الأخوية: السؤال 11 (ملحق I)، مثلاً «هل يحترم آراءَك الخاصة»؟، أدّى إلى ثلاثة أصناف من الأجوبة، حسب فئات الأخوة:

96 ٪ من ثواني البكر أجابوا بـ نعم

94 ٪ من ثواني البكر أجابوا بـ نعم

85 ٪ من الصغار أجابوا بـ نعم.

وكانت الأجوبة السلبية من الأخوة على السؤال، هي التالية:

4 ٪ من ثواني البكر

39 ٪ من ثواني البكر، و

7 ٪ من الصغار.

انطلاقاً من مجمل هذه النتائج التي تفرِّق بين معالم العلاقة الأخوية، وسواها، بات في إمكاننا أن نأخذ في اعتبارنا قيمة جوّ العلاقة بين البكر والأخوة، إن التحليل الخطي ليس غاية بذاته، فهو يُفضي إلى التحليل المركّب.

(ب) التحليـل المركّـب

جرى تصوّره لأجل معالجة الأسئلة المتماثلة جزئياً أو كلياً، ولتوضيح مضمون پارامترٍ معتمد.

الأجوبة المتماثلة يعطيها المجموع أو بعض المجموع الذي يؤلف نسبة مئوية معيَّنة. وينجم عن ذلك عدد من فئات النتائج، وفقاً لعدد الأسئلة المكوّنة للبارامتر، ونضربُ مثلاً على ذلك أحد معالم البارامترات المدروسة: لكي ندرس «المسؤولية المنسوبة»، استعملنا ثلاثة أسئلة (ملحق I). ولما أخضعناها للتحليل المركّب، أعطت النتائج التالية:

جدول 20 — GRa — Z_2

الفئات		الأسئلة		النسبة المئوية
	5 ز	7 أ	7ج	للأجوبة
م 2 ش 1 GRa	1	1	1	٪ 85
م 2 ش 2 —	1	1	0	٪ 7
م 2 ش 3 —	1	1	.	٪ 2
م 2 ش 4 —	1	0	1	٪ 3
م 2 ش 5 —	0	1	1	٪ 2
م 2 ش 6 —	0	1	.	٪ 1

م 2 = منطقة المعالجة في الحاسوب

G = شبكة

R = مسؤولية

a = الأول من جوانب الشخصية المدروسة

الرقم (1) يدل على الجواب الإيجابي.

الرقم (0) يدل على الجواب السلبي.

النقطة (.) يدل على عدم الجواب.

إنَّ فئة، Z_2 — GRa، الماثلة في الجدول السابق هي الأكثر دلالةً من حيث نسبة الأجوبة 85 ٪، وإن الطريقة المتبعة قوامها عرض التحليل الخطي والمتحصلة من تحليل الاستمارات الأخرى، قبل البدء بالتفسير.

التحليل الخطي للأسئلة المتعلقة بالدراسة:

(أ) البكريُّون (14 — 18 سنة)

جدول 21 (م 2 ج 8)

طبيعة الأجوبة	الأجوبة 5 ز	بالنسبة 7 أ	المئوية 7 ج
نعم	97	97	90
كلا	3	3	7
بلا جواب	0	0	3
المجموع	100	100	100

(ب) الأهـل: السؤال رقم 6 (ملحق I) يتعلق بالمسؤولية: «هل يتطلب الأهل من الصبـي البكر مسؤولية أكثر من أخوته»؟

85 ٪ من الآباء أجابوا «نعم» (أنظر الملحق Z_3, II)

90 ٪ من الأمهات أجبن «نعم» (أنظر الملحق Z_4, II)

(ج) الأخوة: السؤال رقم 6 (ملحق Z_3 I) «هل يشعر بالمسؤولية أكثر من أخوته الصغار»؟

95 ٪ من ثواني البكر أجابوا «نعم» (ملحق Z 5/1 II)

93 ٪ من ثواني البكر أجابوا «نعم» (ملحق Z 5/2 II)

80 ٪ من الصغار أجابوا «نعم» (ملحق Z 5/3 II)

إن أجوبة كل الأشخاص المستجوبين ـــ نعني الإبن البِكْر، الأهل، والأخوة ـــ أكّدت نتائجها فرضية عملنا القائلة بأن «مسؤولية» تُعزى إلى البكر في العائلة.

والحال تترجم بنسبة مئوية مرتفعة من الأجوبة، مواقف واستعدادات الإبن البِكْر بالنسبة إلى هذا البارامتر. إذ أن البكريين يرون أن «المسؤولية» ملقاة على عاتقهم بحكم رتبة ولادتهم، فيرون أنهم حماة الأخوة وأن عليهم أن يتفهموا موقف أخوتهم الصغار. الأمر الذي يمدُّهم بشعور بالمسؤولية.

هكذا جرت معالجة كل البارامترات، كما سنرى في الباب الثالث.

(ج) تحليل البارامترات وفقاً للمتغيّرات

ليست البارامترات المعتمدة سوى نماذج للعلاقة بين الأفراد، وقد درسنا كل بارامتر، من مختلف جوانبه، وفقاً للمتغيّرات المعتمدة كلها، والمعتبرة مهمة من وجهة نظرنا في الظرف الراهن الذي تعيشه العائلة. فهل تتغيَّر بارمتراتها (ثوابتها) وفقاً لتأثير هذه المتغيّرات؟

على سبيل المثال، تناولنا بارامتر «المسؤولية المنسوبة» بحسب المتغيّر «الاجتماعي ـــ الاقتصادي». وأعطى ترابطُ القيم، النتائج التالية:

جدول 22

جدول ممثل للدراسة الترابطية بين پارامتر «المسؤولية المنسوبة» والمتغير «الاجتماعي الاقتصادي».

متغير اجتماعي ـ اقتصادي	پارامتر المسؤولية المنسوبة 5 هـ	7	7ج	عدد الأجوبة المتماثلة	عدد الأشخاص المستجوبين	النسبة المئوية
فقراء	1	1	1	16	19	84
	1	1	0	2		10
	1	.	1			5
متوسطون	1	1	1	26	30	86
	1	1	0	1		3
	1	1	.	1		3
	1	0	1	1		3
	0	1	1	1		3
ميسورون	1	1	1	27	33	81
	1	1	0	4		12
	1	0	1	1		3
	0	1	1	1		3
أغنياء	1	1	1	16	18	88
	1	0	1	1		5
	1	1	.	1		5

إن الأجوبة المتماثلة هي التي تحمل الأرقام 0, 1 أو (.)، شرط أن يتطابق الرقم نفسه مع السؤال ذاته، بالنسبة إلى العدد الأكبر من الأشخاص المستجوبين.

حين ننظر في الجدول السابق 22، الموضوع لهذه الغاية، نلاحظ ثلاث ملاحظـات، منها إثنتان متعلقتان بالنتائـج التي يحملها هذا الجدول، والثالثة هي مقارنة بين نتائج الجدول الحالي ونتائج الجدول العام (ملحق III، الفئة 4 — GRa، حيث نقرأ 85 ٪ من البكريين يجيبون جواباً إيجابياً في التحليل المركب للأسئلة الثلاثة التي تؤلف هذه الشبكة).

* إن القيم الدالَّة بوضوح هي القيم المتعلقة بأجوبة متماثلة، وعليه، فإن الأجوبة (1, 1, 1)، 84 ٪ من أبكار الأهالي الفقراء، و 80 ٪ من الأهالي المتوسطين، و 81 ٪ من الأهالي الميسورين، و 88 ٪ من الأهالي الأغنياء، أعطت هذه الكيفية الجوابية.

* متساويةً تقريباً هي القيم الدالة للأشخاص المستجوبين، المنتمين إلى فئات الأهالي الأربع من مستوى اجتماعي ــ إقتصادي مختلف.

* إن القيمة الدالَّة التي تعطيها أجوبة كل البكريين (14 — 18 سنة) المُستجوبين، بمعزل عن مستوى أهاليهم الاجتماعي ــ الاقتصادي، هي بنسبة 85 ٪.

هذا المعدل هو حصيلة الأجوبة المتماثلة مع الكيفية (1, 0, 1) مثلاً، رداً عن الأسئلة، وحيث إن هذه القيمة مساوية تقريباً للقيم التي تعطيها الفئات الأربع من الأبكار المذكورين آنفاً، يمكننا الاستنتاج: مهما يكن المستوى الاجتماعي ــ الاقتصادي للأهالي، فإن الأبناء البكريين يعتبرون أنفسهم مسؤولين، وهذه المسؤولية ناجمة عن مرتبتهم الولادية.

وقبل الحكم على فرضية عملنا، القائلة إن البكر يتحمَّل مسؤولية داخل العائلة، قمنا بدراسة كل پارامتر معتمد، بمقتضى كل المتغيّرات المتوافرة، كما أننا سنقوم بتوسيعه وتطويره في الباب الثالث.

II. الاختبــار الإسقــاطي

1 ـــ إختبار العائلة وفائدته

نظراً لعمر الأطفال المستجوبين، كانت أداة عملنا إختبار الرسم العائلي (Louis CORMAN)، وعليه، فإن دراسة رسوم الطفل، بموجب هذا الإختبار، سمحت لنا باكتشاف مشاكل الطفل، تاريخه، المواقف التي يعيشها في خلال نموّه. هذا الاختبار يشجّع التعبير عن المشاعر الواعية واللاواعية، ويدخلنا مبَاشرةً في عالم الطفل. الأمر الذي يضع في متناولنا إسقاط الحالة العاطفية، المشاعر، الرغبات، المخاوف، الانجذابات والممانعات لدى الطفل، وفي هذا العمر، يكشف أيضاً عن العوامل المؤثّرة في شخصيته المتطوّرة. وللإحاطة الفضلى بواقع الطفل العائلي، أتبعنا الرسم بمقابلة قصيرة، دعونا فيها الطفل إلى أن يفسِّر بنفسه ما رسم. مما أدخلنا مدخلاً حسناً في عالم الطفل العلائقي، وهو عالم يُفَسَّر بـ :

* تماهي الطفل.
* العلاقة العاطفية مع أفراد العائلة.

الصورة إلتي يكوّنها البكْر عن نفسه، وتلك التي يكوّنها عنه الآخرون. فهذه الصورة سترسم بموجب عالمه العلائقي من خلال تجاربه المعرفية ــ العاطفية.

2 ـــ سيـر الاختبـار

إن التلاميذ، ما بين 3 و 8 سنوات، جرى وضعهم بمجموعات صفوف صغيرة أمام طاولاتهم الصغيرة، وجرى الاعتناء بوضع البكريين من العائلات بحيث نراهم نحن وتراهم الحادقات، كل مجموعة لم تتجاوز الخمسة أطفال، وجرى احترام ضمانة الاختبار.

3 ـــ المعايير الإسنادية لهذا الاختبار

إن العلاقات الدالّة بنحو خاص، بين أفراد العائلة، جرى رصدها، كما يرى لويس كورمان، بتقويم الشخص أو عدم تقويمه: إن الطفل، عبر الرسم، يضع الأشخاص حسب مزاجه؛ وإن تقويم أي من الأشخاص يلاحظ بكل وضوح من خلال طريقته في رسمه.

نذكُر باختصار شديد بمعايير تقويم أو عدم تقويم أي شخص:

* **تقويم**: الشخص المقوَّم هو الذي يُرسم في المقام الأول، وتكون قامته أكبر من قامة الأشخاص الآخرين، ويكون اهتمام الطفل المستجوب أو عنايته به مميّزين. أخيراً، يكشف الاستطلاع تطلعات المستجوب ومشاعره.

* **عدم التقويم**: قوامه إلغاء الشخص، إزالته من الرسم، أو جعل قامته أصغر نسبياً من قامة الآخرين وكذلك المكانة التي يعطيها له المستجوَب/ المُختبَر، عندما يكون الشخص معزولاً أو مستبعداً، ولكن هناك حصرٌ لموقع الشخص: فكونه عن يمين أو عن يسار شخص مقوَّم، لا يقتضي اعتباره دالاًّ، لأن الولد في بلدنا الثنائي اللغة (العربية، الفرنسية أو الإنكليزية)، يستعمل القاسم للرسم وللكتابة على حد سواء، من اليمين إلى الشمال، ومن الشمال إلى اليمين، إذْ إنه تعلَّم الكتابة في الاتجاهين.

والحال، تُختصر معايير دراسة اختبار العائلة، كما يلي:

(أ) قامة الأشخاص.

(ب) موقع الأشخاص.

(ج) الاعتناء والسمات المشتركة بين الأشخاص.

(د) راتوب تنفيذ رسوم أفراد العائلة.

(هـ) الإعتام النفسي لبعض التفاصيل أو لبعض الأشخاص.

جرى تصنيف وتفسير هذه الرسوم حسب المعايير التي وضعها المؤلف (كورمان) والمشار إليها آنفاً، لكن منهج عملنا الاختباري، الذي اعتمدناه على امتداد هذه الدراسة، يستلزم منا تكميم النتائج، وعليه، عرضنا النتائج المتحصلة في الجداول التالية، وتوجناها بتفسير لكل جدول يمثل دراسة هذه المعايير:

(أ) دراسة القامة:

لدرس الحجم المخصص لقامات الأشخاص، أشرنا بأرقام تحمل الدلالات التالية:

الرقم 1 يدلُّ على أكبر القامات (انظر الجدول التالي).

الرقم 2 يدلُّ على القامة التالية؛ وهكذا دواليك، حسب ترتيب هبوطي للقامات، نرتِّب الأرقام ترتيباً صعودياً. وعندما تكون القامةُ واحدةً لدى شخصين، سنعطي لكل منهما الرقم نفسه.

لتمثيل هذه الدراسة:

الرسم رقم 20 نفَّذه بشارة، ابن بكر، عمره خمس سنوات وتسعة أشهر، نلاحظ من رسمه أنه يعطي لنفسه أكبر قامة، ويعطي للأب قامةً أصغر من قامته، ويفسِّر ذلك في مقابلة معه، قائلاً «لأن البابا يظلّ مسافراً».

الرسم رقم 22، نفَّذه أيضاً ابن بكر. هذا الطفل يعطي للأب أكبر القامات، ولنفسه القامة الثانية، وهي أكبر من القامة التي يعطيها للأم.

هناك مثل دالٌّ آخر هو الرسم الذي رسمه بكران توأمان (صبي ــ بنت):

الرسم رقم 34، رسمه البكر، زياد، الذي يعطي لنفسه قامة مساوية لقامة أبيه، فيما أخته التوأم، وكذلك أمه، يعطيها قامةً أصغر من قامته

بكثير. في المقابل، توأمته، سوزان ترسم أخاها بقامةٍ مساوية لقامة أهلها، كما نرى في الرسم رقم 34. وتعطي لنفسها قامة صغيرة.

إن دراسة قامة مجمل الرسوم سيسمح لنا بدراسة جزئية لمشاعر الأشخاص المُختبَرين.

وإن إدراك الذات ومختلف أفراد العائلة، يعكسه الثمانية والعشرون من الأبناء البكريين المختبرين من خلال قامة الأشخاص المرسومين، وحين جسَّدنا مقادير القامات بأرقام، حصلنا على النتائج الماثلة في الجدول التالي (راجع الملحق V.2).

جدول 23

جدول ممثل لإدراك البكريين «للقامات»، القيم محوَّلة إلى نسبة مئوية:

القيم الرقمية للقامات	الأب	الأم	الذات	الأخوة
1	٪ 78,5	٪ 28,5	٪ 39,2	0
2	٪ 21,4	٪ 46,4	٪ 35,7	0
3	0	٪ 25	٪ 25	0
4	0	0	0	100

إن حجم قامات الأشخاص متناسب عكسياً مع الأرقام التي تتراوح بين 4, 1.

يبيِّن هذا الجدول أن 78,5 ٪ من البكريين ينيطون بالآباء أكبر القامات، وأنَّ 46,4 ٪ ينيطون الأم بالقـامة الثانية، وأن 39,2 ٪ مـن البكريين ينيطون أنفسهم بقـامة أكبر أو مساوية لقامة الأهل، فيما مئة بالمئة ينيطون الأخوة بالقامة الأصغر.

أما إدراك الأخوة لمختلف أفراد الأسرة، الذي عكسه 17 صغيراً، فقد درسناه أيضاً؛ ونجد في الجدول التالي نتائج دراسة رسوم الصغار:

جدول 24

جدول ممثل لرسوم الصغار حسب إدراك «القامة».

القيمة الرقمية للقامات	الأب	الأم	البكر	الذات	الأخوة
1	64,7 ٪	41,1 ٪	35,2 ٪	11,7 ٪	0
2	23,5 ٪	47 ٪	41,1 ٪	17,6 ٪	0
3	5,8 ٪	5,8 ٪	17,6 ٪	11,7 ٪	5,8 ٪
4	0	0	0	58,8 ٪	94,1 ٪

تدلّ الأرقام على النسبة العكسية لمقادير قامات الأشخاص.

يبيِّن الجدول أنَّ 64,7 ٪ من الصغار ينيطون الآباء بأكبر القامات، وأن 41,1 ٪ يعطون للأم القامة الكبرى، وأن 35,2 ٪ من الصغار يعطون للبكر قامة أكبر من قامة الأهل أو مساوية لها؛ وأن 11,7 ٪ منهم يعطون لأنفسهم القامة الكبرى، فيما 58,8 ٪ من الصغار يعطون لنفسهم قامة أصغر من قامة البكر والأهل، وأن 94,1 ٪ من الصغار يعطون أصغر القامات لبقية الأخوة.

إن المشاعر التي يسقطها إدراكُ «القامة»، سيجري تفسيرها في الباب الثالث من هذه الدراسة.

(ب) موقـع الأشخـاص

إن المـوقـع (المكـانة) الـذي يعطيـه المُخْتَبِرُ للشخص، يدلّ على العـلاقة بيـن هـذا أو ذاك مـن أفـراد الأسرة. وتكون قيمة العلاقة بحسب المكـانة المُنـاطة، حسبما يـكون الشخـص إلى جـانب الأهـل أو محاطـاً بالأخوة.

في الرسوم رقم 26 (الملحق V.1) و 37 (الملحق نفسه) التي رسمها توأمان، هما روبين وكارلا، نلاحظ «أن روبين يضع نفسه بين أخته التوأم وأخيه الصغير، مع يدين متلاصقتين. فيما رسم الأخت التوأم، التي تعتبر روبين بِكْراً، تضعْ أخاها الأكبر» بين الأب والأم، مع يدين متلاصقتين، راسمةً نفسها إلى جانب الأم، بلا ذراع.

لقد أعطى تصنيف رسوم الأفراد المُختَبَرين النتائج التالية:

1) المواقع التي يرى البكريّون المختبرون أنهم يشغلونها:

جدول 25 (انظر الملحق V.2)

يمثل هذا الجدول النسب المئوية للمواقع التي يرى البكريون أنهم يشغلونها داخل الأسرة.

موقع البكر	من جهة الأب وحده	من جهة الأم وحدها	بين الوالدين	بين الأب والأخوة	بين الأم والأخوة	بين الأخوة	وحيداً لجهة الأخوة
٪	32,1	7,14	14,2	25	0	10,7	10,7

2) المواقع التي يشغلها البكريون، كما يراها الأخوة:

جدول 27 (انظر الملحق نفسه)

يمثل النسب المئوية للمواقع التي يعطيها الصغار للأبكار داخل الأسرة.

موقع البكريين	من جهة الأب وحده	من جهة الأم وحدها	بين الوالدين	بين الأب والأخوة	بين الأم والأخوة	بين الأخوة	وحيداً لجهة الأخوة
٪	27,7	5,5	5,5	16,6	11,1	16,6	16,6

انطلاقاً من هذين الجدولين الآنفين، نلاحظ أن المعدلات الأرفع تعود إلى الموقع الذي يشغله البكر من جهة الأب. ومنذ الآن يمكننا الاستنتاج أنَّ البكر ينزع منذ نعومة أظافره إلى التماهي بالأب، وإلى أن يكون موضع تماه به.

وعندنا أن ملاحظة مهمَّة تُستفاد من الرسوم التي رسمها البكريون، والأخوة، هي المجموعة الثلاثية المكوَّنة من الأب والأم والبكر، أو مجموعة البكر والصغار. فهذا التجمع بات منظوراً من خلال رسوم البكريين، سواء بالحجم الواحد للقامات، أم بتجميع الأب ــ الأم ــ البكر؛ أم بالموقع الذي يشغله البِكْر بين الصغار، أو بقامته التي تتجاوز نسبياً قامةَ الصغار: الجدول 27 يقدِّم معدَّل هذه الحالات:

جدول 27

تجمّع ثلاثي	بكرْ/ أب/ أم	بِكْر/ صغار
٪	42,8	17,8

يمكن التمثيل على هذه الحالات بمثلين:

الرسم رقم 18 (انظر الملحق V.1)، حيث نرى البكرَ والأم يشكلان مجموعةً مميَّزة، كذلك في الرسم رقم 13 (م. ن) حيث نرى البكرَ مضطلعاً بدور الأب، حين يضع نفسه بين أخوته الصغار، سيجري تفسير هذه الظاهرة في الباب الثالث من هذه الدراسة.

(ج) الإعتناء والسمات المشتركة

كان من الصعب تكميم هذا المعيار، ولكنْ يبدو لنا أن النتائج المتحققة مُرْضية. إننا ندل بالأرقام حسب العناية الحسنة بالشخص، وفي حال الاعتناء به ندلّ على ذلك بالرقم (1)، ونستعمل أرقاماً متناسبة عكسياً مع العنايات الأخرى.

إن الرسم رقم 11 مثلاً، يُظهر العنايات نفسها المقدمة لشخص الأب وللشخص نفسه. كما أن تفاصيل أخرى، مثل الحزام أو شكل اليدين، تجعلنا تقول إن الإبن البِكْر يرى نفسه «كبيراً مثل البابا».

إلاَّ أن صغر عمر الأطفال المُختَبَرين لا يسمح بالمراهنة، بسهولة، على هذا المعيار.

1) إدراك البكريين من خلال العناية التي ينيطونها بالأشخاص الذين يمثّلونهم وأولئك الذين يمثلون أفراد الأسرة الآخرين.

لقد أعطت دراسة الرسوم النتائج المشار إليها في الجدول التالي، بالنسب المئوية:

جدول 27

القيمة الرقمية	الأب	الأم	البِكْر نفسه	الأخوة
1	67,8	57,1	67,8	0
2	32,1	28,5	28,5	0
3	0	14,2	3,5	17,8
4	0	0	0	75

إن المعدلات 8,7,6 في الجدول، مرتفعة، وتفسيرها رغبة البِكْر في التشبه بأبيه، حين يظهر نفسه «مسؤولاً» عن أخوته الصغار، نظراً لأنه يضع نفسه بينهم.

في المقابل 75 ٪ من البكريين، المشار إليهم في الجدول 27، قلَّما يعتنون بأخوتهم، مما يدلّ على أن البكريين لا يسعون إلى الاصطفاف مع الأخوة، بل يسعون إلى التشبه بالأب. وهذا ما سنراه بمزيد من التفاصيل والإيضاحات في الباب الثالث من دراستنا.

2) عناية الأخوة بمختلف أفراد الأسرة.

بعدما عالجنا الرسوم بالطريقة نفسها التي اعتمدناها في الجدول السابق، حصلنا على النتائج التالية:

جدول 28

يحمل هذا الجدول النتائج المكمَّمة للعنايات التي يمنحها الصغار لمختلف أفراد الأسرة:

القيم الرقمية	الأب	الأم	البكر	(الصغار) الذات	الأخوة
1	59,09	54,5	31,8	4,5	0
2	27,2	27,2	45,4	22,7	0
3	4,5	18,1	13,6	13,6	21,4
4	4,5	0	59,09	59,09	7,5
5	0	0	0	0	71,4

يتبيَّن لنا من هذا الجدول أنَّ 59,09 ٪ و 54,5 ٪ من الصغار «يعتنون» بالأهل. بخصوص البكر، يهتم به 45,4 ٪ من الصغار؛ كما أن 31,8 ٪ منهم يراعونه. هذا يُفسَّر بطريقة الاهتمام برسم شخص البكر. بينما 59,09 ٪ من الصغار هم أقل اهتماماً بالكبير، وحتى إن 71,7 ٪ منهم يهملون بقية الأخوة. سندرس السبب في الباب الثالث من هذه الدراسة.

(د) ترتيب رسوم مختلف أفراد الأسرة

يدل ترتيبُ رسم الأشخاص على الاهتمام التراتبي لدى الفرد المُخْتَبر، كما يشير إلى ذلك صاحبُ الاختبار، بالنسبة إلى مختلف أفراد الأسرة: إن المرسوم الأول، مثلاً، هو ذلك الذي يكون الأكثر أهمية لدى الفرد.

إن الجدول 29 التالي يجمع نتائج تصنيف الرسوم بمقتضى الراتوب التنفيذي للأشخاص:

جدول 29 (م . ن.)

الرقم الترتيبي للرسوم	معدلات النتائج				
	الأب	الأم	البكر	البكر الثاني	الصغار
الأول	53,5	28,5	17,8	0	0
الثاني	25	14	46,4	10	3,5
الثالث	7	39	32	7	3,5
الرابع	10	10	3,5	57	14,2
الخامس	3,5	7	0	26	47

تسمح لنا نتائج الجدول بالقراءة: أنَّ 53,5 ٪ من البكريين يرون أن الأب هو الأهم في العائلة، وأن 46,4 ٪ من البكريين يعتقدون بأنهم يحتلون المرتبة الثانية في الأسرة، وأن 57 ٪ من ثواني البكر و 47 ٪ من الصغار يحتلون المرتبة الرابعة أو الخامسة بين الأخوة، كما يراهم الأخوة البكريّون.

إن نتائج تحليل الرسوم التي رسمها الأخوة، نعرضها في الجدول 30 التالي:

جدول 30 (م. ن.)

جدول ممثل للنسب المئوية للرسوم، بمقتضى راتوبها التنفيذي، التي رسمها الأخوة:

الرقم الترتيبي للتنفيذ	معدلات النتائج الأب	الأم	البكر	البكر الثاني	الصغار
الأول	68	8	4,5	9	0
الثاني	18	45,5	31,8	9	4,5
الثالث	4,5	31,8	40,9	9	4,5
الرابع	4,5	0	18	48	8
الخامس	0	0	6	25	62,5

على غرار البِكْريين، ينيط الأخوةُ الأهميّة الأولى للأب، ما دام 68 ٪ يرسمونه أولاً. ويرى 45,5 ٪ من الصغار أن الأم تشغل المرتبة الثانية، فيما يرى 40,0 ٪ أن البكْر يحتل المرتبة الثالثة، والمرتبتان الأخيرتان مخصصتان للصغار، كما نرى في الجدول 30، أعلاه.

(هـ) إعتام بعض التفاصيل أو بعض الشخوص

إن هذا المعيار الذي يكشف مشاعر القلق وإنكار حقيقة قاسية، هو الأصعب تجسيداً بالأرقام، لأنه يستلزم إتباعه بتحقيق صغير، حسب مبدإ التحليل النفسي، مع أخذ الرسوم والاستطلاع بالاعتبار؛ وقد حصلنا منه على النتائج التالية:

جدول 31 (م. ن.)

يمثـل الإعتـام النفسـي الكلّـي أو الجـزئـي للشخـوص، حسـب رسـم البكريّين:

إدراك البكريين	الأب		الأم		البكر		البكر الثاني		الصغير	
	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك
٪	28,5	0	25	0	28,5	0	28,5	7	41	11,7

أ ت = إعتام التفاصيل.
أ ك = إعتام كلّي.

نلاحـظ في هذا الجدول أن 7 ٪ من البكريين قد تجاهلوا أبكارهم الثواني، وأن 11,7 ٪ منـهم قد تجاهلوا الصغار، وهذا ما يمكن تفسيره بالمشاعر التي يكنّها الكبارُ البكريـون، للصغـار. هـذه المشاعـر ستـدرس لاحقاً.

إن إعتام بعض التفاصيل مشترك بين الشخوص كلها، ومن ضمنها البكْر، وهذا الأعتام هو بمعدلات متساوية تقريباً، باستثناء الصغار، وعلى غرار المعايير الأخرى، سيجري تفسير النتائج ودلالتها في الباب الثالث من هذه الدراسة.

أما النتائج المتحصّلة بموجب دراسة الرسوم التي رسمها الأخوة، فسوف نعرضها في الجدول التالي. ولقد طبقنا الطريقة نفسها التي طبقناها على البكريين، فكمّمنا هذا المعيار، وحصلنا على النتائج التالية:

جدول 32

يمثل رسوم الصغار (م. ن.) بمقتضى الإعتام:

إدراك الأخوة	الأب		الأم		البكر		البكر الثاني		الصغار[1]	
	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك	أ ت	أ ك
٪	23,5	5,8	35	0	45,4	0	29,4	0	45,4	0

أ ت = إعتام التفاصيل.
أ ك = إعتام كلّي.

نلاحظ في هذا الجدول أنَّ 29,4 ٪ من الصغار المختبرين يعتِّمون جزئياً على 41 ٪ من أخواتهم البكريين، وعلى 45,4 ٪ من بقية الأخوة. كما أنَّهم يعتِّمون على 35 ٪ من أمهاتهم، و 23,5 ٪ من آبائهم. (سنقدم التفسيرات والتأويلات، كما هو الحال بالنسبة إلى كل البارامترات، في الباب الثالث)[٢].

• • •

(١) نلفت إلى أننا أخذنا في الاعتبار عدد الأخوة، المتغير من عائلة إلى أخرى، قبل أن نحسب المعدّل.

(٢) انظر الملحق V.2، الذي يحلّل بالتفصيل كل رسم من رسوم التلاميذ الخمسين.

البابُ الثالث

البكْر في الوضعية العائلية
(التصور والتوقع والدور)

(أ)
العلاقة الصراعية

1. مدخل

كانت فرضيّة العمل قد دفعتني إلى اعتبار بعض البارامترات (الوسائط) نظرياً. وكان الاستطلاع الأولي، الاستمارة والاختبار، قد ثبّتني في فرضيّاتي، مع تعديلات طفيفة على العناصر المكوِّنة لصورة البِكْر النفسية ـ الاجتماعية. فيما الدراسة الخطية، التي أجريتها يدوياً أولاً، ثم بالحاسوب ثانياً، زوّدتني بدليل إضافي على هذه الصورة الأولية، التي نظرنا إليها بموجب البارامترات المعتمدة.

عندها اعتمدتُ نهائياً البارامترات التالية:

1. السلطة المفوضة.
2. السلطة (الإمرة).
3. المسؤولية.
4. النضج.
5. القدوة.

إن إثارة مسألتنا، والعمل الاختباري، فالمعالجة الحاسوبية لمجمل الاستمارات الموجّهة إلى الأبناء البكريّين ولذويهم وأخوتهم، والتي تناولناها

وعلّقنا عليها في الباب الثاني، زوّدتنا بالنتائج التي سنستخدمها في رصد ورسم الصورة النفسية ــ الاجتماعية للبِكْر، والصورة التي يكوّنها عن نفسه، والصورة التي يكونها الآخرون عنه.

وعلى مدى هذا التحليل سنحاول في الباب الثالث، وفي الفصل الأول، إبراز العلاقات الصراعية في الأسرة، وأن نرى استجابة هؤلاء وأولئك، واستخلاص الموضوعات المميَّزة، المترجمة إلى بارامترات. ثم في الفصول التالية، سنقوم بتحليل البارامترات، وفقاً لبعض متغيّرات البيئة. أما السمات والمتغيّرات فسوف نستخدمها في تبيان أن الإبن البكر هو صورة طفل مميَّز.

ولنلاحظْ أنَّ الأطفال يمتازون بهذه البارامترات، على نحوٍ أو آخر، لكنما الإبن البِكْرُ معتَرفٌ به كما هو، لأنَّ البارامترات تميّزه على نحو خاص، بمعدّلٍ مرتفع بصورة خاصة.

2. عمـوميّـات

في الأصل، ليست علاقة الطفل بالبيئة علاقة برّانية، بل هي صلة وصل وتبادل وصيرورة، تبدأ بـ «التميّز إنطلاقاً من علاقات بالأغراض»(١). في هذه العلاقة، يضع الطفلُ العالم خارجه، مع بقائه مرتبطاً به بـ «روابط عدائية متبادلة»(٢)، نظراً لأنَّ الفرد ليس جوهراً مجرَّداً، معفىً إلى الأبد، ومنطوياً على ذاته، بل هو على تماسٍ بمواقف خاصة ونوعية، وملتزم بعلاقات كثيرة ومتبادلة مع بيئته، كما يقول لاغاش: «تبدو الحياة البشرية تاريخيّةً، لأنها صراعية، ولأن علاقة الإنسان بالعالم وبذاته هي علاقة تغالبيّة»(٣). الأمر الذي يقودنا إلى تحديد الصراع في الحياة العلائقية:

(١) R. MUC CHIELLI, **La personnalité de l'enfant,** op. cit., p. 30.

(٢) A. M. ROCHEBLAVE-SPENLE, **Psychologie du conflit,** P.U.F., 1970, p. 62.

(٣) D. LAGACHE, Cité par Rocheblave, in **Psych. de l'enfant,** p. 15.

يُحدَّد الصراع بأنه «حالة الكائن الخاضع لفعل الحوافز المتعارضة»[١]؛ كما أنَّه يحدّد بوصفه «علاقة بين قدرتين أو مبدأين»[٢]. ولكي ينمو صراع ما، لا بد من أن يكون هناك، على الأقل، قوتان متعارضتان. وفي العلاقة الصراعية بين الطفل والعالم، سيكون العداء شديداً بقدر ما يكون الخصم (المنافس) مُكْرِهاً.

إن وجهَيْ الصراع، ما بين الأشخاص، وفي الشخص، اللذين لا ينقطعان عن التشابك، لا يمكن درس أحدهما دون الآخر؛ وكما يقول جانيه في معرض كلامه على المسلكيّات الاجتماعية ــ الشخصية، يكون متنوعاً الصراع الذي ينجم عن ذلك، لأن «العلاقة الاجتماعية تكون دوماً مزدوجة: فهي لا تنطوي على فاعل ومنفعل وحسب، بل تنطوي أيضاً على أنا قادر على تمثّل الآخر متحمّلاً فعله»[٣]. إنّ قوّة النزوات العدوانية الموجودة في الفرد، تكون مُستمدَّة مباشرةً من مجمل المحابطات أو الصراعات، ويقتضي اعتبار العدوانية «بوصفها جوابَ الأنا عن عذابٍ نرجسي»[٤]. إن الصراع يتجلى داخلياً وخارجياً في آن.

فالفرد بوصفه مركز علاقات تنطلق منه وترجع إليه بوعي نسبـي، هو شبكة علاقات وتفاعلات تربطه بالآخرين، وتكون حياته العلائقية إختباراً معاشاً، خاصاً به. فهو يجد نفسه معنياً بالصراع الذي يكون الأنا ميدانه: «إن محكَّ الواقع الداخلي للطفل يبيّن له وجود نزعات محرَّمة وخطيرة تجرح الرأي الذي يكوّنه عن ذاته، مولِّداً القلقَ على هذا النحو»[٥]. والأنا الذي يوجد بالقوّة

(١) H. Pieron, **Vocabulaire de la psychologie,** op. cit., p. 90.

(٢) A. LALANDE, **Vocab. tech. et crit. de la philosophie,** op. cit., p. 782.

(٣) P. JANET, Cité par Rocheblave, **Psych. du conflit,** op. cit., p. 13.

(٤) Gérard MENDEL, **La révolte contre le père,** P.B.P., 1978, p. 42.

(٥) Anna FREUD, **Le traitement pshychanalytique des enfants,** Bibl. de Psychanalyse, P.U.F., 1969, p. 114.

وبالصراع، والعالم الذي يوجد للأنا عبر الممانعة التي يواجهه بها، هما في أساس وعي الذات. وعندها لا يمكن الفصل بين الوعي والصراع، فهما يرتسمان في الفرد بوصفهما تاريخه. الأمر الذي يسمح لنا بموضعة الإبن البكر، موضوع دراستنا، في إطار حياتِهِ الديناميكية والعلائقية داخل الأسرة، لتوضيح السمات المميزة لهذا الطفل من خلال دراسة صورة الذات التي يدركها.

كيف تتراءى له هذه الصورة؟

من المفيد التذكير باختصار شديد: أن صورة الذات التي يدركها الإبنُ البكر هي صورة مثالية أو هي مشروع الأهل، فهي تشكّل نوعاً من سلطةٍ تراقبُ أناه بالمعنى الحقيقي، وتغدو جزءاً متمّماً لشخصيته؛ فالذات، المكوَّن من إعتماد مواقف الغير من الذات، يتأثر بهذه الصورة المثالية، مما يجعله يشعر أنّه يعيش كعضو في مجموعة أشخاص تعمل وتعيش، وإن مجيء بكْرٍ ثانٍ سيؤرّخ لمسألة الخصومة والمنافسة، ما دام هذا القادم الجديد لا يمكنه أن يكون شيئاً آخر سوى منافس. إن الخوف من الخلع عن العرش، بدءاً من خوف فقدان حب الأم، سيولّد توتّراً عنيفاً.

كيف سيوفّق الإبن البكْر بين الصورة المثالية للذات ومشاعر الخصومة الناجمة عن الأخوة، والبادئة مع ثاني البِكْر؟

يعاني الفرد العلاقة ويعيشها، وإذا لم تكن العلاقة قابلة للنظر من طرف الآخرين، فإنه يعانيها هو على الأقل. ولقد حاولنا إظهار هذه المشاعر والإحاطة بها، في سبيل درس هذه العلاقة. وعليه، فإنَّ تفاعل الأنا ــ العالم، المميِّز لكل نواة عمل حيوي، والمشار إليه بالمحسوس أو المعيوش الداخلي، جرى تصوّره لدى الأبناء البكريين بمقتضى عمرهم، مع وضعهم في إطارهم العائلي، وطبقاً للأدوات التقنية التي استعملناها، أي الإختبار الإسقاطي لرسوم العائلة، والاستمارات المناسبة.

نشدّد على التوضيح أن موضوع تحليلنا ليس الخصومة كوجود، بل الدوافع التي تثيرها لدى الطفل هذا، وما ينجم عنها من موقف، وكذلك إزدواج المشاعر ومشاكل المُعاش؛ باختصار، موضوعنا هو صورة الذات من خلال الحياة العاطفية ــ العلائقية.

وهذا ما سنسعى إلى تبيانه، في الفصول التالية، مستعملين التقنيات التي توسَّلناها لهذه الغاية، بمقتضى الشرائح العُمْرية الثلاثة للأبناء البكْريين، المُختَبرين، والأدوات التقنية المتعلّقة بـ:

1 ــ صورة الذات كما يدركها الأبناء البكْريون، ما بين 3 و 8 سنوات، والأخوةُ المنظور إليهم من زاوية الإختبار الإسقاطي.

2 ــ العلاقات الصراعية والمشاعر المزدوجة لدى الأبناء البكريين، ما بين 9 و 13 سنة؛ المدروسين من خلال الإستمارة المناسبة.

3 ــ العلاقات الصراعية والإستجابات المتنوعة من طرف الأبناء البكريين، ما بين 14 و 18 سنة، وكذلك لدى أفراد عائلاتهم، مع العلم أنَّ هذه الفئة من الأبناء البكريين تشكّل العينة الأساسية لجماعة دراستنا. هذه الحياة العلائقية وصورة الذات مُعبَّر عنهما بالأجوبة البسيطة أو المركبة، عن الاستمارات المناسبة، والمبرَزة في الپارامترات، والمكمَّمة بمعدَّل الأجوبة المتماثلة □

• • •

الفصل السادس

العلاقات الصراعية وصورة الذات

(كما يراها البكريون ما بين 3 و 8 سنوات، والأخوة المنظور إليهم من زاوية الإختبار الإسقاطي)

تمهيد

إن رسم العائلة، وهو وسيلة بسيطة من وسائل العرْض العينيْ للعائلة من خلال الشخوص، يظلّ جوهرياً حمَّالَ دلالاتٍ وقيم، يحمّلها الفردُ المخبر للشخص المرسوم. إن الفرد «لا يدرك بعقله وحسب، بل بشخصيته كلها»[١]. هذا الإدراك ليس «التسجيل المحض والبسيط بصورة موضوع، بل هي فعل مركب يندرج فيه كل نشاط الفكر»[٢]، كما أنَّه يتوقف على «حياة الفرد العاطفية»[٣].

إنْ زاويتي رسم العائلة، الستاتيكية والديناميكية، ساعدتا على درس الوجه العاطفي ــ العلائقي لشخصية البِكْر المتطورة، في شريحةٍ عُمْرية محدَّدة بدقة.

---

(١) Louis CORMAN, **Interprétation dynamique en psychologie,** P. U. F., 1974, p. 32.

(٢) م. ن، ص 31.

(٣) م. ن، ص 32.

بعد تحليل كل من الرسوم (انظر الملحق V, 1)، فإن تصنيف وتكميم القياسات (انظر الملحق 5, 2، جدول 33, 23) المشار إليها في الباب الثاني من هذه الدراسة، سمحا لنا بدرس إسقاط الصورة التي يكوّنها البكْرُ عن نفسه، وتلك التي يكوّنها عنه الأخوة.

1. الصورة المُدْرَكة و «القامة»

(أ) إدراك البكر.

إن تكميم قياسات الرسوم جعلنا نلاحظ أن الأبناء البكريّين، ما عدا استثناءات نادرة، يعطون لأنفسهم قاماتٍ ذات دلالة، ويمكن ترتيبها في أربع مجموعات، سنكرّر جزئياً القيم الماثلة في الجدول 23 (انظر الملحق V, 2).

القيمة الأولى لحجم القامة المعبَّر عنها بالنسبة المئوية			
الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
78,5	28,5	39,2	5

الواقع أن 78,5 ٪ من البكريّين يرون الأبَ بوصفه الشخص الأهم في الأسرة، وأنَّ 28,5 ٪ منهم يرون الأم هي الأم، ولم يجر تصوّر أي طفل من الأخوة بوصفه الأهم. فيما 39,2 ٪ من البكريين يمنحون أنفسهم قامات مساوية في أهميتها لقامات الأهل، ومنهم 7,14 ٪ يعطون لأنفسهم القامة الأكبر في العائلة، حتى من قامة الأب، الماثلة في حالة بشارة، الرقم 20 (انظر الملحق V, 1، شكل رقم 20):

القيمة رقم 2 للحجم، المعبَّر عنها بالنسبة المئوية			
الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
21,4	46,4	35,7	0

وعليه، فإنَّ 46,4 ٪ من البكريين يرون أن الأم هي الشخص الثاني المهمّ في العائلة؛ كما أن 35,7 ٪ من البكريين يعتبرون أنفسهم الشخص الثاني بعد الأب، ونلاحظ من جهة ثانية أنَّ 17,8 ٪ من أصل الـ 35,7 ٪، يعطون لأنفسهم قامة أصغر من قامة الأب، ولكنّها أكبر من قامة الأم:

القيمة رقم 3 للحجم، المعبَّر عنها بالنسبة المئوية			
الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
0	25	25	0

فنلاحظ أن 25 ٪ من البكريين يعتبرون أنفسهم بمنزلة الشخص الثالث في العائلة. لكنَّ هذا الإدراك مماثل لإدراكهم لصورة الأم. كما أن 25 ٪ من البكريين يرون الأم في المرتبة الثالثة.

القيمة رقم 4 للحجم، المعبَّر عنها بالنسبة المئوية			
الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
0	0	0	100

ولنلاحظ أنَّ جميع البكريين، بلا استثناء، يرون أنَّ الصغار في المرتبة الأخيرة، ذاك أنَّ البكريين ينظرون إليهم باعتبارهم الأول أهميةً في الجماعة العائلية.

سنكرّر هنا الجدول العام لنكوّن نظرةً عامة إلى قيم حجم القامات، كما يراها الأبناء البكريون المُختَبَرون.

جدول 23 (انظر الملحق V, 2)

يمثل إدراك القامات كما يراها البكريّون المُختَبَرون

ترتيب إدراك الأشخاص	القيم الرقمية بالنسبة المئوية			
	الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
1	78,5	28,5	39,2	0
2	21,4	46,4	35,7	0
3	0	23	25	0
4	0	0	0	100

تمثّل الأرقام 1، 2، 3، 4، ترتيب الإدراك. فالقيمة 1 مثلاً تدلُّ على الشخص المدرك أولاً، إلخ. وهكذا يكون حجم القامات متناسب عكسياً مع الأرقام المشار إليها.

إن الأرقام المشدَّدة هي القيم الدالّة إحصائياً.

قبل الانتقال إلى دراسة دلالة قيمة قامات الأشخاص، كما يدركها الإبن البكْر، وإظهار، وجه الصورة التي يكوّنها عن نفسه داخل العائلة، سنحاول تناول نظرة الأخوة إلى أخيهم البكر وإلى مختلف أفراد الأسرة:

(ب) إدراك الأخوة للقامة

يقدم لنا الجدول 24 (انظر الملحق V, 2، جدول 24) نظرة عامة إلى إدراك الصغار المختبرين:

جدول 24

ترتيب إدراك الأشخاص	القيم الرقمية بالنسبة المئوية				
	الأب	الأم	البكر	الصغير (الذات)	الأخوة
1	64,7	41,1	35,2	11,7	0
2	23,5	47	41,1	17,6	0
3	5,8	5,8	17,6	11,7	5,8
4	0	0	0	—	—
5	0	0	0	58,8	94,1

الواقع أنَّ الأب أيضاً يدركه الصغار باعتباره الشخص الأول في العائلة، كما تدلّ على ذلك القيمة 64,7 ٪ في الجدول. كذلك يرى 41,1 ٪ من الصغار أن الأم هي في مرتبة الشخص الأول في الأسرة؛ إلاَّ أن عدداً مهماً 35,2 ٪ يرى أن الأخ البكر هو الشخص الأول، المهمّ، في العائلة. إن قيمة 11,7 من الصغار، نالها الأفراد الذين ينيطون بالمقدار نفسه من القامة لكل الأشخاص.

يعتبر 47 ٪ أنَّ الأم في منزلة الشخص الثاني المهم في الأسرة، بعد الأب؛ لكنَّ 41,1 ٪ يرون أيضاً أن الأخ البكر هو ثاني الأب.

ولنقلْ، أخيراً، إنَّ قراءة هذه اللوحة تجيز لنا أنْ نقرأ أنَّ 94 ٪ من الصغار يرونَ البكْرَ متفوقاً عليهم.

(ج) فوائد مُستَفادة من درس رسوم العائلة من خلال «القامة».

إنَّ الفائدة المتحصِّلة من هذه الرسوم هي، أولاً، تقويم البكريّين لأنفسهم: فهم يعتبرون أنفسهم كباراً، متفوِّقين على الأخوة؛ كما ترصد الرسومُ شعوراً بالمساواة مع الأهل، حيث يعطي البكريّون لأنفسهم قامةً مساوية لقامة الأهل، مما يؤكد الفكرة التي تتكرَّر حسب أقوال الأهل الشائعة، حيث يُدَلُّ على الإبن البكر بوصفه «ركن البيت»، «سند الأم...». كذلك الحال حين يعطي البكريّون لأنفسهم قامةً أكبر من قامة الأهل.

لا يختلف إدراك الأخوة عن إدراك البكر لنفسه. إن فحص كل رسوم ثواني البكر، أكانوا بناتٍ أم صبياناً، وحتى رسوم التوائم من البنات المولودات بعد البكر، يبيّن لنا أن ثواني البكر يعطون للبكريين قامة أرفع نسبياً من قامة مختلف أفراد الأخوة. حتى إن بعضهم يرسم البكر كبيراً مثل الأهل، وبعضهم الآخر يرسمه أكبر من قامة الأم أو حتى الأب. مما يؤكد، ثانياً، الفكرة التي تتكرَّر، والتي يتأثر بها البكر، فيرى أنَّه «ركنُ البيت» وهو «السند والمُعين» للأم، وإنه هو «الكبير» (أقوال شائعة). الأمر الذي يثبّتنا في فكرتنا القائلة إن الذهنية اللبنانية تخلق لدى الإبن البكْر شعوراً بالتفوّق والتقويم.

في المقام الثالث، نستطيع استخلاص الدلالة العاطفية ــ العلائقية التي تعكسها «القامة». فمن الطبيعي وجود عدوانية بين الأخوة، لكن دفاع الأنا يرغمُ الخصومة على التعبيْر عن ذاتها تعبيراً عن ذاتها تعبيراً خاصاً بالفرد. إن الوعي «الموضع الذي يتلاقى فيه الجسماني والنفساني»[١]، يسمح للفرد المُخْتَبر بأن يعكسَ مشاعرَه، نظراً لأنَّ «طريقة الطفل في عيش ماضيه، وفي عيش خصومته الحالية مع الأخوة، تندرج في رسمه العائلي»[٢].

(١) L. CORMAN, **L'Interprétation dynamique en psychologie,** op. cit., p. 21.

(٢) L. CORMAN, **Test du dessin de famille,** op. cit., p. 59.

مما يتيح لنا التوصل إلى استنتاج جزئي: من جهة، يكون تقويم الذات لدى البِكْر نمطاً تكيّفياً خاصاً؛ ومن جهة ثانية، تكونُ آلية الدفاع المستعملة هي تماهيه بـ «الشخص القوي، الأهم والمعبود»[1]، الماثل في الأب، والمترجم بالقامة الكبيرة التي يمنحها البكْرُ لنفسه، والتي تُمنَح له؛ زدْ على ذلك أنَّ شعوره بالخصومة أو بالخوف من الخلع عن عرشه، يجري التعبير عنه، بطريقة ملتوية، عبر تبخيس قيمة الصغار الذين ينيطهم بقامة أصغر من قامته بكثير.

2. الصورة المدركة و «الترتيب»

بما أن الترتيب الذي جرى بمقتضاه رسم رسوم الأشخاص، هو أحد معايير التقويم، فإن تكميمه يتمثل في الجدول التالي:

جدول 30 (انظر الملحق V, 2، ج 30)

يمثل إدراك البكريّين لـ «الترتيب»

رقم ترتيب إدراك الأشخاص	القيم الرقمية بالنسبة المئوية				
	الأب	الأم	البكر (ذاته)	ثاني البكر	الصغار
أولاً	53,5	28,5	17,8	0	0
ثانياً	25	14	46,4	10	3,5
ثالثاً	7	39	32	7	3,5
رابعاً	10	10	3,5	57	14,2
خامساً	3,5	7	0	26	47

الأول = الشخص الأول المرسوم، وهكذا بالنسبة إلى الأرقام الأخرى.

(١) م. ن، ص 52.

قبل البدءِ بتأويل هذا الجدول، من المفيد أنْ نشير أولاً إلى النتائج التي توصّل إليها صاحب الاختبار في دراسة الحالات: في 600 رسم (بنات ـ صبيان) «يمثلُ الأهل في المرتبة الأولى، في 85 ٪ من الحالات»(١)، ويضيف المؤلّف «في الأغلب يكون الأبُ في المنزلة الأولى، في 53 ٪ من الحالات»(٢).

أما في دراستنا، فإن الأبناء البكريّين يتمثّلون أيضاً الأب أولاً في 53,5 ٪ من الحالات حسب دراسة ترتيب رسم الرسوم. لكنَّ ما يبدو لنا خاصاً، إنما هو إدراك البكْر لذاته، كما نلاحظ في الجدول السابق:

32 ٪ من البكريين يرون أنفسهم يحتلّون المرتبة العائدة لهم عادةً. لكن 39 ٪ منهم يعطون للأم هذه المكانة الترتيبية الثالثة، فيما يعزو 46,4 ٪ منهم المكانة الثانية لأنفسهم، وحتى إن 17,8، من البكريين يمنحون لنفسهم المرتبة الأولى ويبدو أن هذا الرقم الأخير لا يجوز تجاهله، وبخصوص الأخوة، يذهب 57 ٪ من البكريين إلى تصنيف ثوانيهم في المرتبة الرابعة، ويذهب 47 ٪ إلى تخصيص المرتبة الأخيرة للأخوة.

فماذا عن إدراك الأخوة المطابق لترتيب الرسوم؟

(ب) إدراك الأخوة «للترتيب»

يمثل الجدول 31 (انظر الملحق V, 2)، رؤية عامة لإدراك الصغار المُختَبرين.

---

(١) L. CORMAN, Narcissisme et frustration d'amour et de haine, dessart, 1975, p.82.

(٢) م. ن، بروكسل 1975.

جدول 31

يمثّل إدراك الصغار «للترتيب»

رقم ترتيب إدراك الأشخاص	القيم الرقمية بالنسبة المئوية				
	الأب	الأم	البكر	ثاني البكر	الأخوة
الأول	68	8	4,5	9	0
الثاني	18	45,5	31,8	9	4,5
الثالث	4,5	31,8	40,9	9	4,5
الرابع	4,5	0	18	48	8
الخامس	0	0	6	25	62,5

الواقع أنَّ 68 ٪ من الصغار يعطون للأب المكانة الأولى، حين يرسمونه أولاً؛ ويرى 45,5 ٪ من الصغار الأم بمنزلة الشخص الثاني في الأسرة، لكن 31,8 ٪ يعتبرونها ثالثةً.

في المقابل، يرى 31,8 ٪ من الصغار أن الأخ البكر هو ثاني العائلة، على الرغم من أن 40,9 ٪ يرونه في مرتبته.

إن إسقاط الأفراد المختبرين من خلال الترتيب في الرسم، يسمح لنا بتقديم الإستنتاج التالي:

(ج) الفوائد المستفادة من دراسة الرسوم عبْر «الترتيب»

آخذين في الاعتبار المعيار التقويمي الذي أطلقه المؤلّف، «الشخص المُقوّم يكون الأول المرسوم»[1]، وآخذين أيضاً نتائج جدولي التكميم، ج 30 وج 31، المحلّلين أعلاه، يمكننا التشديد على تقويم الذات لدى البكر، حين

(١) louis CORMAN; Test de dessin, op. cit., p. 57.

يعتبر نفسه ثاني الأب، ويضع نفسه قبل الأم بطريقة دالّة:

إن 31,8 ٪ من البكريين يرفعون نفسهم إلى المرتبة الثانية؛ ناهيك بأن الأخوة يعطونه هذه الصورة التي يملكها البكْرُ عن نفسه: هناك 46,4 ٪ من الحالات، تمنح الأخ الأكبر اهتماماً أكبر من اهتمامهم بالأم، مع العلم أنَّ ثاني البكْر لا يقوّمه البكريّون إلاَّ بعشرة بالمئة[١] من الحالات، وتسعة بالمئة[٢] من ثواني البكر يرون أنفسهم في منزلة الثاني. ولئن كانت القيمتان الأخيرتان لا توازيان في الأهمية القيمتان الأولى والثانية، فإنهما تظلاّن دالتيْن، نظراً لما تحملاُن من معنىً.

وإذا كان الإسقاط يترجم عاطفية الشخصية كلها، (انظر سابقاً، ص . . .)، فإنه «يخبرنا، تالياً، عن دوافع الشخص العميقة»[٣]. ولنا ملء الحق في التفكير أولاً، بأنَّ البكْرَ في هذا العمْر، ما بين 3و 8 سنوات، ينزع إلى التماهي حتى بالصورة الجزئية، مع ما فيها من رجولة وتفوّق على الأنوثة، كنتيجة للعقليّة اللبنانية؛ ثانياً، حين يريد البكْر إشباع حاجته في الاحتفاظ لنفسه بحب الأم، إنما ينزع إلى التماهي بـ «الصورة المثالية» (انظر سابقاً، صص. . .» التي تقدمها الأم؛ وبما أنَّ هذه الصورة ذَكَرية بامتياز؛ فإن البكْرَ يركِّبُ الصورتين حين يتماهى بالأب. مما يتيح لنا فرصة التفكير بتقويم شديد للذات عند هذا الإبن. غير أنَّ تحليل الرسوم يبيّن لنا أنَّ تبخيسَ الذات إذا كان أقلَّ تداولاً لدى البكر، فإنه يبقى مع ذلك قوياً جداً، ما دام يرى نفسه في كثير من الأحوال مسبوقاً بهذا الأخ الصغير أو ذاك، كما نلاحظ: 9 ٪ من البكريين (انظر الجدول 30) يعيرون الاهتمام الأول لثاني البكْر، كما أن 9 ٪ يرونه ثانياً، فيما

(١) انظر الجدول 30.

(٢) انظر الجدول 31.

(٣) L. CORMAN, Test de dessin, op. cit., p. 46.

يراه 9 ٪ ثالثاً، أيضاً؛ دون أن ننسى أنَّ 4,5 ٪ من الصغار يراهم الكبار في المراتب الثانية أو الثالثة داخل الأسرة، بما أن البكريّين لم يتمكنّوا من تحقيق أماني الأهل ورغباتهم، فإنهم يشعرون بأن الصغار يخلعونهم عن عرشهم. فيما مشاعر الغيرة والتنافس تجعلهم يعيرون الاهتمام الأخير للأخوة، كما رصدناه بواسطة الإسقاط عبْرَ ترتيب رسم العائلة.

ختاماً، يمكننا القول إن صورة الذات التي يكوّنها البكْر عن نفسه، هي صورة مثالية سميّناها «الصورة ـ المشروع» التي يقدمها الأهلُ للبكر. فهذا الطفل متأثر بها منذ صغره، ويميل إلى تحقيق هذه السلطة التي تراقب أناه بالمعنى الدقيق، والتي تغدو جزءاً لا يتجزأ من شخصيته.

3. الصورة المُدْرَكة و «مكانة» الأشخاص

إن «المكانة» كمعيار لتقويم رسم، تتحدد على النحو التالي: «الشخص المُقوَّم، في نظر صاحب الاختبار، يحتل في معظم الأحوال المكانة الأولى على يسار الورقة، إذ إن الرسم يبنى عادةً، لا سيما لدى الأيامن، من اليسار إلى اليمين»(١). والشخص «يمكن تقويمه بمكانته إلى جانب قوي»(٢) ثمة استثناء للقسم الأول من هذا المعيار، نظراً لأن الطفل في لبنان يتعلم الكتابة من اليسار إلى اليمين، أو من اليمين إلى اليسار حسبما يكتب باللسان العربي أو باللسان الفرنسي، وعليه أخذنا بالقسم الثاني من المعيار، واعتبرنا المكانة التي يحتلها البِكْرُ. بمقتضى أشخاصٍ آخرين.

(أ) إدراك البِكْر

في الجدول 25 عرْضٌ لإدراك البِكر «لمكانته» بين مختلف أفراد العائلة:

---

(١) L. CORMAN, **Test de dessin, op. cit.**, p. 53.

(٢) م. ن.

جدول 25 (انظر الملحق V, 2، ج 25)

يمثّل المكانة التي يحتلها البكر داخل العائلة، كما يراها البكريّون

موقع البكر	القيم الرقمية ٪
1. من جهة الأب، وحده.	32,1
2. من جهة الأم، وحده	7,14
3. بين الأهل	14,2
4. بين الأب والأخوة	25
5. بين الأم والأخوة	0
6. بين الأخوة	10,7
7. وحده من جهة الأخوة	10,7

درسنا رسوم الأبناء البكريين من ثلاث زوايا، حسب المكانة المختارة بموجب الأب، الأم أو الأخوة: 32,1 ٪ من البكريين يقعون حضْراً من جهة الأب، هذه القيمة وهي الأهم في الجدول، تبيّن لنا مرَّةً أخرى أنَّ الإبن البكر ينزع إلى ترفيع نفسه والتموضع إلى جانب الأب. القيمة الثانية في الجدول هي أن 25 ٪ من الحالات التي يتموضع البكْرُ فيها بين الأب والأخوة، إنما تدلُّ على أنه «كبير الأخوة» وأن مكانته تأتي بعد الأب مباشرة. فيما نجد 0 ٪ من الحالات التي يقع البكرُ فيها بين الأم والأخوة.

أما بخصوص الحالات التي يتموضع البكرُ فيها داخل الجماعة، فسوف نتناولها بمقتضى المعايير الثلاثة التالية: الموضع ـ القامة ـ المسافة وستجري لاحقاً دراسة هذا التجمّع.

(ب) إدراك الأخوة «للمكانة»

جدول 26 (راجع الملحق V, 2، ج 26)

يمثل المكانة التي يحتلها البكرُ داخل العائلة كما يراها الصغار

موضع البكر	القيم الرقمية ٪
1. وحده، من جهة الأب.	27,7
2. وحده، من جهة الأم.	5,5
3. بين الأهل	5,5
4. بين الأب والأخوة	11,1
5. بين الأم والأخوة	11,1
6. بين الأخوة	16,6
7. وحده، من جهة الأخوة	16,6

يضعُ 27,7 ٪ من الصغار الأخ البكر إلى جانب الأب؛ ومرَّة أخرى يعطي الأخوةُ للبكْر الصورة التي يكوّنها عن نفسه، أما القيمة الرقمية الكبيرة، الثانية في هذا الجدول، فتتكرَّر ثلاث مرّات، وفي كل مرَّة يُرى الأخ البكر 16,6 ٪ من المرّات (الجدول 26)، أي بين الأب والأخوة، أو بين الأخوة.

(ج) فوائد مستفادة من خلال دراسة مكانة البكر بالنسبة إلى مختلف الأشخاص

إن موضع البكر إلى جانب الأب، يمكن فهمه كعلامة تقويم وتقدير مُفْرط للذات، فالبكْرُ حين يُعتبر في منزلة «ثاني الأب» إنما ينزع إلى استبطان مبدإ الواقع، وإلى التقيد بمثال الأنا، كما يعرضه الأهل. وهذا يتيح للبكر فرصة تطوير شعور بالتفوق وبالمسؤولية بالنسبة إلى الأخوة من جهة، ومن جهة ثانية، الميل إلى التماهي، منذ نعومة أظافره، بدور الأب، كما ورد في 32,1 ٪ من

الحالات، إلى ذلك، يعترف الأخوة بهذا الإدراك ويعززونه في الوقت نفسه لدى البكر حين يعتبرونه «ثاني الأب»، المعبَّر عنه بـ 27,7 ٪ من الحالات. ومن جهة ثانية، حين يضع البكرُ نفسه بين الأب والأخوة، فسوف يستطيع التعبير عن شعور بالمنافسة. فهو يخاف من منافسٍ يتخطاه ويخلعه عن عرشه؛ وتظهر عنده آليّة الدفاع بنسبة مهمة، هي 25 ٪.

في آخر المطاف، تسمح لنا الفائدة المستفادة من الإسقاط عبر «المكانة» برسم أحد معالم الصورة النفسية الاجتماعية للبكر: إن كل فرد في مجرى النمو يتميَّز بـ «توسع كل الوظائف الذي يدفعها للامتداد إلى أقصى حد، وضمان هيمنتها على العالم الخارجي»[1]. ومن الصعوبة بمكان أن يسلِّم بالتخطِّي، الابنُ البكْرُ الذي يعيشُ في جوٍ يدعوه لكي يكون «الكبير»، «المسؤول» و «الذي يعود إليه كل شيء أولاً». فكل منافس دخيل، والدوافع هي في أساس المنافسة، وهي ناجمة عن وعيه للقيم المتعلّقة بشخصه. وكل تقويم يغدو حافزاً فعّالاً جداً لنموِّه، ولكنْ إذا وقع تخطيه من منافس، فإن كل توسع معرَّض للتوقُّف.

إن بقية درس الرسوم بمقتضى معايير أخرى، ستزوّدنا بمزيد من التفاصيل حول شخصية البِكْر.

4. الصورة المُدْرَكة والإعتام الكلي الجزئي للأشخاص

إن آليّة الدفاع بمواجهة الواقع الذي لا يستطيع الطفلُ التكيّف معه، يجري رصدها، كما يرى صاحب الاختبار، من خلال الإعتام النفسي للأشخاص. «يتجلى نفي الواقع في الرسم بالشطب المحض لكل ما يسبّب القلق»[2].

(١) Louis CORMAN, **Narcissisme et frustration d'amour**, op. cit., p. 82.

(٢) Louis CORMAN, **Test du dessin de la famille**, op. cit., p. 53 — 54.

(أ) إدراك البكريّين

يمثل الجدول 32 كميّة الإدراك لدى البكريين للأشخاص في عائلاتهم بموجب الإعتام النفسي.

جدول 32 (انظر الملحق V, 2)

يمثل الإعتام الكلي أو الجزئي، كما يدركه البكريّون

الإعتام كما يدركه البكريون	القيم الرقمية ٪				
	الأب	الأم	البكر (الذات)	ثاني البكر	الصغير
جزئي أو مفصَّل	28,5	25	28,5	28,5	41
كلي	3,5	3,5	0	7	11,7

فلنشدّدْ على أن هذه القيم متناسبة مع درجة تبخيس شخصٍ ما.

يبدو أن ثمة قيمتين هما الأكثر دلالةً في هذا الجدول: الإعتام الأشدّ ينصبُّ على الصغار، وعدم إعتام الذات.

الواقع أن 41 ٪ من البكريّين تجاهلوا التفاصيل المهمّة للأشخاص الذين يمثّلون الصغار، بينما الأشخاص الذين يمثلون الأب، البكر ذاته وثاني البكر لا يطولهم الإعتامُ إلاّ جزئياً، بنسبة 28,5 ٪ من الحالات، والأم بنسبة 25 ٪. نعترف بأن صغر سن الأطفال المختبرين يمكنه أن يكون علَّة ذلك، ويمكن ردّه إلى عدم الإعتام الكامل للترسيمة الجسدية. لكنّ ما يبقى راسخاً هو أنّ الصغار هم الأقل اعتناءً بهم في الرسوم.

من البيّن أنَّ القيمة الدالّة، الثانية، هي صفر ٪ من الحالات التي جرى فيها تجاهل البكريين تماماً. بينما الصغار معتَّم عليهم تماماً في 11,7 ٪؛ و 7 ٪ من البكريين عتموا كلياً على ثوانيهم.

(ب) إدراك الصغار

جدول 33 (انظر الملحق V, 2، ج 33)

يمثل الإعتام الكلي أو الجزئي لإدراك الصغار

الإعتام كما يدركه الصغار	القيم الرقمية ٪				
	الأب	الأم	البكر	ثاني البكر	الصغار
جزئي أو مفصَّل	25,5	35	45,4	29,4	45,4
كلي	5,8	0	0	0	0

نلاحظ في هذا الجدول أن الأخوة لم يعتمّوا كلياً إلاَّ على الأب، في 5,8 ٪ من الحالات فيما جرى إهمال التفاصيل بقوة، ولكل الأشخاص، والأكثر تبخيساً هم الأخوة البكريّون والأخوة الآخرون أو الأخوات. لم نكنْ نتوقع هذا الإدراك للأخوة، وربما يكون سببه العمر، ولكنُّه قد يكون دالاً على الصعيد النفساني، كما سنرى:

(ج) فوائد مستفادة من درس رسوم عبر الإعتام

إن الإعتام أو تصفية المنافس هو «درجة التبخيس الأقوى»(١). فمن جهة، 41 ٪ من البكريين يعتّمون على الأخوة جزئياً، مسجّلين على هذا النحو علامة قلق أو خصومة. ولكن القيمة الدالة، من جهة ثانية، هي صفر بالمئة، حيث يرى البكريّون أنفسهم كأنهم غائبون، ويدلون بذلك على أنهم واعون لحضورهم داخل العائلة، وأنهم مرتاحون فيها. الأمر الذي يمكنه تفسير شعورٍ بالتردد والثنائية: فهم يريدون التماهي بالأشخاص الكبار، دون أن يفقدوا الحب الوالدي نحو الأطفال، والمعبَّر عنه بالتعتيم على الدخيل.

(١) L. CORMAN, Test du dessin de la famille, op. cit., p. 52.

إن إعتام أحـد الوالدين «يدلُّ على أن للطفل علاقات صعبة، أقلّه، مع هذا القريب»[١]. والحـال فإن نتائـجنا تظـهـر وجـود صعوبة علائقية، وإن كانت غير دالة، مع الأب؛ إلاَّ أنَّ غيرةً مهيمنة تظهر لدى 41 ٪ من البكريين، بالنسبة إلى إخوتهم الصغار، ويُعبَّر عنها بعرض أشخاص مع «تفاصيل غير مهمة»[٢]: جسم ممثّل بعصاً، أو عيون غير ظاهرة، أو منسية تماماً في العائلة المرسومة.

وإنّ البكر، الواعي لمرتبة ولادته، وللارتقابات الوالدية، ينمو مع شعورٍ بالتفوق ومبالغة في تقدير الذات، إذا جاز القول؛ الأمر الذي يدفعه إلى التعتيم الكلـي أو الجـزئي على هـذا الصغيـر أو ذاك، «مبخسـاً المنـافسَ علـى هـذا النحو»[٣]، وهارباً من «القلق الذي يُشغله الأنا»[٤] إن تبخيس الصغار هو إحدى آليات الدفاع الملتوية، التي تنطوي عند البكر على القلق والخوف، من خلعه عن عرشه، اللذين يريد الإنفلات منهما.

5. الصورة المدركة و «العنايات والتشبّه»

هذا المعيار التقويمي كان الأصعب على الإحاطة. فصغر سن الأطفال المُختَبرين لم يكن يسمح بانتباه شديد؛ ولكن بفضل عفوية الطفل، يمكن الإحاطة بتناظرٍ بين شخص المُختبَر وهذا أو ذاك من الأشخاص الآخرين: إنها بعض السمات المضافة إلى الوجهين، وتماثل بين الشَّعْر أو الأيدي، وأحياناً الزينة نفسها تُضاف إلى الملابس، إن تواتر هذه الحالات أجاز لنا تكميم هذه القياسات، الماثلة في الجدولين 29، 28 (انظر **الملحق** V, 2 ج 29, 28).

---

(١) م. ن، ص 54.

(٢) م. ن، ص 54.

(٣) م. ن، ص 67.

(٤) L. CORMAN, **Interprétation dynanique en psychologie,** op. cit., p. 114.

(أ) إدراك البكر

جدول 28

يمثل اعتناءات الأشخاص التي يقدّمها الأبناء البكريّون إلى مختلف أفراد العائلة

القيم بالأرقام	القيم الرقمية بالنسبة المئوية			
	الأب	الأم	البكر (الذات)	الأخوة
1	67,8	57,1	67,8	0
2	32,1	28,5	28,5	0
3	0	14,2	3,5	17,8
4	0	0	0	75

تمثل الأرقام 1, 2, 3, 4 درجة العناية الممنوحة للأشخاص. القيمة 1، مثلاً، تدلّ على الشخص الأكثر اعتناءً به، إلخ. . . والاعتناءات الأكثر تقديماً هي المتناسبة عكسياً مع الأرقام المشار إليها.

لئن كان هذا المعيار التقويمي صعباً على الإحاطة، فإن تأويله ليس كذلك. فمن الواضح بحسب الجدول 28، الوارد أعلاه، أنّ البكريين يقوّمون أنفسهم ويضعونها في مرتبة الأهل ذاتها. الواقع أن 67,8 ٪ من الحالات، يبالغ البكريون في تقدير أنفسهم ويعتبرون ذاتهم أنداداً للأب؛ وإن هناك هبوطاً خفيفاً في نسبة الاعتبار المقدر للأم، فهي مقدَّرة في 57 ٪ من الحالات. في المقابل، البكريّون يقللون من قيمة الأخوة؛ إذْ إن 75 ٪ منهم يضنوّن بأدنى العنايات على الصغار. فما هي نظرة الأخوة إلى بكرهم؟

(ب) إدراك الصغار من خلال «العنايات»

جدول 29

يمثّل عنايات الأشخاص التي يقدّمها الصغار لمختلف أفراد الأسرة:

(تمثل الأرقم 1 ,2 ...5 درجة الاعتناء بالأشخاص. تدل القيمة 1، مثلاً على الشخص الأكثر اعتناءً به، إلخ. وتكون درجة الاعتناء بشخصٍ ما متناسبة عكسياً مع رقم القيم [عمود 1]

القيم بالأرقام	القيم الرقمية بالنسبة المئوية				
[1]	[2] الأب	الأم	البكر	الصغير (الذات)	الأخوة
1	59,09	54,5	31,8	4,5	0
2	27,2	27,2	45,4	22,7	0
3	4,5	18,1	13,6	13,6	21,4
4	4,5	0	9,09	59,09	7,5
5	0	0	0	0	71,4

على غرار البكريّين يمنح الصغار من جهة، أكثر الاعتناءات للأهل، إذ إنَّ 31,8 ٪ يقدرون البكر ويضعونه في مرتبة واحدة مع الأهل، وأن 45,4 ٪ من الحالات ترى البكْرَ ثالثاً بعد، الوالدين؛ فيما 59,09 ٪ من الصغار يعطون لنفسهم المرتبة الرابعة في السلّم العائلي، ويرى 71,4 بقية الأخوة في المرتبة الأخيرة، إلاَّ أن 22,7 ٪ من الصغار ينسبون لنفسهم قيمة الشخص الثاني، وهذا ما لا ينبغي تجاهله.

(ج) فوائد مستفادة من درس «الاعتناءات» الممنوحة للأشخاص

مرّة أخرى يرى البكرُ نفسَه أرفع من الأخوة، ويقدّر ذاته على غرار

الأهل. والأخوة، بدورهم، يشعرون بهذه الصورة التي يكوّنها البكر عن نفسه. أما آلية الدفاع التي يستعملها البكرُ فهي تبخيس الصغار، الملاحظ بهذا المعيار عينه، والعاكس نفسه خوفاً من خلعهم له عن عرشه؛ وترصد هذه الحقيقة من خلال الـ 22,7 ٪ من الصغار والـ 21,4 ٪ ممن يبحثون عن احتلال المرتبة الثانية أو الثالثة في السلّم العائلي.

إن تجميع مجمل المعايير المدروسة يوجَزُ بتجمع خاص للأشخاص، لفتَ انتباهنا ولم يستثمره المؤلّف، ألا هو التجمع الثلاثي.

في الحالة الأولى، لا يمكن الشكّ في التماهي بالوالدين، فهو يرى نفسه نداً لهما، وفي تحليل معيار «الترتيب» لا يمكن رصد المساواة بالأهل، بل يمكن رصدها في حجم القامة التي وجدنا لها قيمتين يمكن جمعهما: رؤية الذات من خلال «القامة» أكبر من الأب أو مساوياً له، وأكبر من الأم أو مساوياً لها. وكذلك أن تمثّل القيمتان (39,2 + 35,7 = 74,9 ٪) التماهي بالوالدين.

وفي عمر الطفل هذا، يظلّ المستوى العاطفي ــ العلائقي مع الأب، قيمة مهمّة: فالأب يمثّل الشخص «الكلّي القدرة»(١). والأم تمثّل بدورها الشخص الذي يلقّن العلاقة لهذا الطفل؛ لكن الصورة المثالية التي تقدّمها له، مكوَّنة من عناصر يفترض بها أن تقود البكر إلى «الصورة ــ المثالية» للذَّكَر؛ وترسيمات الأب والأم تمثّل فكرة «القريب» التي ستندرج في «الآخر» أو في «الأنت» بالنسبة إلى الأنا، وبالتوافق مع روجرز، نرى أن «الأنا والشخصية ينبثقان من التجربة، بدلاً من أن تترجم التجربة أو تشوِّه حتى تتكيَّف مع بنية للأنا مصوَّرة من قبل»(٢). إن شخصية البكر، حين ترغب في تحقيق هذه الصورة ــ

(١) L. CORMAN, **Test du dessin de la famille**, op. cit., p. 52.

(٢) K. ROGERS, cité par Corman, in **Interprétation dynamique en psychologie**, op. cit., pp. 96 — 97.

المشروع، تغدو مطابقة للرغبة الوالدية فيه. أخيراً، يبدو أن «الأنت» بالنسبة إلى الإبن البكر، يشمل في هذا العمر الزوجين، الأب والأم. في هذا الأفق، نتوافق تماماً مع لويس كورمان حين يقول:

«لا يمكن الفصْلُ بين الأنا والأنت؛ فهما متضامنان مع بعضهما، ويتشكّلان كلاهما بفعلهما المتبادل»(١).

ختـام

وهكذا بقدْر ما يحقّق الطفل الأماني الوالدية، يقوِّم نفسه ويتماهى بدور الأب، واضعاً الدخيلَ على حدة، كما يشير المؤلّف إلى ذلك، حين يقول: «إن الأنا، المكلَّف بأن يوفر للذات الحدَّ الأقصى من الإشباعات الممكنة، دون أن يعرّض التوازن الحيوي للخطر، وذلك بكل أنواع التعديلات التي تشكّل ما يُدعى آليّات الأنا الدفاعية»(٢).

بما أن ديناميكية الشخصية على صلة وطيدة بتفاعل الذات مع محيطها، بمساندة الأهل وتوجيههم، فإنها تمارس على الطفل فعْلاً دائماً، وتدفعه إلى بلوغ الصورة المثالية التي يقدّمها الأهل.

ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن الطفل، حتى سن الثامنة، يتصرَّف بعفوية فكرية، إذ إن «تمثل العالم يكون ملتبساً بوجهة نظره المباشرة»(٣)، فهو يخلط الداخل والخارج، و«العلاقات بين الأشياء ستكون كما يجعلها تلفيقُ الطفل»(٤)؛ ويمكن أن يكون رسمه «مثقلاً بكسبه السابق، السيِّىء

(١) م. ن.، ص 97.

(٢) L. CORMAN, **Interprétation dynanique en psychologie,** op. cit., p. 23.

(٣) George MAUCO, **L'Inconscient et la psychologie de l'enfant,** P. U. F., 1970, p. 70.

(٤) م. ن.

الهضم»[1]. مع ذلك يبقى أن هذا الرسم يترجم النموذج الجوّاني؛ فالصورة الناجمة عنه هي الصورة التي يكوّنها عن نفسه:

بين 3 — 8 سنوات، ينمو الإبنُ البكر وهو يعي مرتبة ولادته ومضامينها. هذه المضامين يبثّها الأهل ويفرضونها ويدعمونها؛ وينزع البكرُ إلى تحقيقها منذ نعومة أظافره.

في الفصل التالي، سندرس الصورة التي يكوّنها البكرُ عن ذاته من خلال الحياة العاطفية ــ العلائقية العائلية، في العمر الذي يتراوح بين 9 — 13، بواسطة الاستمارة المناسبة ◻

● ● ●

(١) م. ن.

الفصل السابع

العلاقات الصراعية وثنائية المشاعر

(لدى الأبناء البكريّين ما بين 9 و 13 سنة، المدروسين من خلال الإستمارة المناسبة)

تمهيد

في كدْحه للتفرّد، يواصل الشخصُ تطوره نحو إستقلالية متزايدة. فبين 9 و 13 سنة، يكتسب الطفل خبرةَ التكوّن الحيوي بواسطة أشخاص محيطه؛ فالمرء إبن بيئته، كما يقول ج. هـ. ميد: «إن الذات، من حيث هي موضوع للذات، هي في جوهرها بنية اجتماعية»(١). وبما أن الطفل يكتسب معنى التعاون والتأهيل الاجتماعي مع أطفالٍ آخرين، فإن تماهيه بجماعة عمرِه سيحضُّ على إنسلاخ معيَّن عن الجماعة العائلية؛ وحتى في البيئة العائلية يتعرَّض الطفل، في هذا العمْر، لضغطٍ يُحوِّلُ علاقاته الاجتماعية، حيث تغدو الإشباعاتُ أكثر مرونةً ومتمايزة بالنسبة إلى الغير.

حين يغدو تنوع التجارب «العامل المهيمن والقوي للتفردن»(٢)، كيف يحقّقُ البِكْرُ أناهُ الذي، «تعكس بنيتُه بنية المسار الاجتماعي، بوصفه كلاً

---

(١) G. H. MEAD, **L'Esprit, le soi et la société**, op. cit., p. 119.

(٢) A. REY, **L'examen clinique en psychologie**, P.U.F., 1970, p. 31.

واحداً»[1]؟ من الثابت أنَّ المشاعر العاطفية تدوم وتتوطَّد، وأن مشاعر العداء تهدأ، وأن الطفل يبدأ بالربط بين معلوماته الخاصة، ومقارنتها بتلك التي يبثها مختلف الأشخاص في محيطه.

لتبيان هذه الحياة العاطفية ــ العلائقية للبكر، من الشريحة العمْرية الواقعة بين 9 و 13 سنة، بدأنا، كما أشرنا سابقاً، بسلسلة أسئلَة، بهدف إظهار ما هو خاص في حياة هذا الطفل العلائقية. إن الصورة التي يكوّنها الأخوةُ والأهلُ عن البكر، سيجري تناولها في سياق دراسة الصورة التي يكوّنها البكريّون الذين يؤلفون العينة الأساسية، كما شرحنا سابقاً (الفصل الرابع).

إن الكلام على الحياة العاطفية ــ العلائقية، يعني وضع الشخصيّة في مجالها الدينامِيكي، بالتفاعل مع «الآخر»؛ ويعني وضعها في اتجاه ناشط نحو الهدف (الموضوع). الأمر الذي يؤدي إلى «إدخال عالم الآخرين والأغراض إلى صميم النفسية المتشخصة بالذات»[2]. وحين ينظر الشخص من هذه الزاوية، يجد نفسه «وجهاً لوجه مع العالم ومع ذاته»[3]. إن الإندراج المتصاعد في العالم، يضع العالم باستمرار في أوضاع متبدلة، ويخضعه في سلوكه إلى شبكة معقدة من التفاعل والاتصالات، والقيم «ليست مجالات قوّة، بل توجِّه هذه المجالات»[4]، وعندها يكون السلوك خاضعاً لتجارب نجاح وفشل، ويبدأ الصراع عندما يرجع الطفلُ، في آنٍ، إلى الواقع الخارجي وإلى مستوى أمنية الماضي النفساني. مما يفسح أمامنا في المجال للقول إنَّ الفرد يدخل في علاقة صراعية مع ذاته ــ ومن هنا ثنائية المشاعر ــ ، ومع الغير، فتنجم عن ذلك

(١) G. H. MEAD, L'Esprit..., op. cit., p. 122.

(٢) Joseph NUTTIN, La structure de la personnalité, P.U.F., 1971, p.214 .

(٣) م. ن.، ص 258.

(٤) KURT LEWIN, Psychologie dynamique, Les relations humaines, P.U.F., 1975, p. 89.

مشاعر خصومة ومنافسة. إن السلوك الذي «يشكّل الشغل الخاص بالشخصية في تواصلها، يتّسم بعدّة سمات»[١]؛ وهذه الشخصيّة «بفضل المستوى المرتفع للنشاط المعرفي، تجد نفسها في مواجهةٍ مع العالم ومع ذاتها»[٢]. هذا السلوك يعطي للشخصيَّة هويَّتها وخصوصيتها ــ وهي موضوع ديناميكية عميقة ــ المتحصلتين من الإرصان الشخصي للتواصلات والتأثيرات المعاشة.

إنَّ المزايا الخاصة بالمرحلة العمْرية الواقعة بين 9 و 13 سنة، جرى صوغها في موضوعات (راجع الفصل الرابع) أو بارامترات، مترجمة بالتحليل الخطّي والمركّب للأسئلة التي نفصح عنها، هذه الموضوعات عولجت في الحاسوب، وسندرسها بوصفها العناصر المميّزة للشخصية في مجرى تطوّرها.

أما الصورة التي يكوّنها البكر عن والديه وأخوته ونفسه، فإن دراستها ستسمح لنا برصد التأثيرات العائلية المعاشة، من خلال حياته، إذ إنها تضع هذا الإبن في علاقة صراعية. لذلك جرى على هذا الأساس بناء استمارة مناسبة للبكريين ما بين 9 و 13 سنة.

- جرى تصوّر بعض المفاهيم (المفاتيح) بهدف وضع الإبن البكر في وضع يمكنه فيه الحضّ على استذكار ذكريات قديمة، تمسُّ الحياة العاطفية ــ العلائقية. ويسمح لنا التحليل الخطي والمركب للموضوعات المتكونة من هذه المفاتيح، بدراسة البكر في وضعٍ مفعمٍ بذكريات الماضي وتأثيراته.

- هناك أسئلة أخرى تضعه في العلاقة الصراعية، وتسمح بإبراز المشاعر

(١) J. NUTTIN, **Psychologie dynamique...**, op. cit., pp. 257-258.

(٢) م. ن.، ص 258.

التي تُستفاد من حياة انعتاقه الاجتماعي.

مما يُجيز لنا استخلاص الصورة التي يكوّنها عن والديه وأخوته ونفسه، وعليه، سيجري التشديد على خصائص شخصيّة الإبن البكر، بواسطة الدراسة الخطيّة والمركبة للموضوعات[١]، المكوَّنة، والمشار إليها في الجدول 2/17.

لقد جمَّعنا في جدول واحد نتائجَ التحليل الخطي أو المركَّب للمجاميع الفرعية، التي تتناول موضوعةً واحدة.

1. البكر في وضعه ومشاعره المُعاشة

يجمع الجدول 28 نتائج التحليل الخطي للجماعات الفرعية أ، ب، ج، د، هـ، و، من مجمع «المشاعر المعاشة».

جدول 28

يمثل نتائج التحليل الخطي للمجاميع الفرعية أ، ب، ج، د، هـ، و، من موضوعة المشاعر المعاشة. القيم بالنسبة المئوية.

	الأسئلة (انظر الملحق I)					
إدراك البكريين	1/ أ	2/ أ	3/ أ	4/ أ	5/ أ	6/ أ
يتذكّر	92	98	100	96	97	95
لا يتذكّر	8	2	0	4	3	5

(١) نلفت إلى أن هذه الموضوعات تمسّ مداورةً البارامترات المعتمدة لدرس الشخصية في مجرى تطورها، شخصية الأبناء البكريين ما بين 4 و 18 سنة، وهي موضوع الفصل التالي.

حين يعود الأبناء البكريون إلى ذكريات الماضي، بفعل الأسئلة التي تكوِّن هذا الجدول، إنما يُظهِرون حساسيةً ذروة الحياة العاطفية.

الواقع أن 92 ٪ من البكريين يتذكَّرون أقوال الأمهات، طالبةً منهم ترك المحل «لا صغير»، وأن 98 ٪ يتذكرون بعض الممنوعات، لأن الأخوة يمكنهم أن يقلدوها، وأن مئة بالمئة يتذكرون أقوالاً تنبه إلى عيب التصرّف بهذه الطريقة، وهذا ليس جديراً بـ «كبير»؛ ويتذكر 96 ٪ أمر الأكل وحدَه، و 97 ٪ التنازل عن ثوب، و 95 ٪ إعطاء اللعبة للصغير.

وهكذا، حين يواجه البكريّون الحياة العلائقية داخل الأسرة، لدى ظهور ثالث وبالأخص حين يُطلب منهم التصرف بمقتضى الدخيل، إنما يُظهرون عاطفةً تبلغ مبلغاً رفيعاً من الحساسية.

فمن بين ذكريات الطفولة الكثيرة، يحتفظ الفرد بذكرى تعنيه، كما يدلّ على ذلك النفسانيّون. الأمر الذي يسمح لنا بالتوصل إلى استنتاجين جزئيين:

ــ أن الإبن البكر واعٍ لوضعه.

ــ أن الإبن البكر يتصرف بحزم.

يستلزم الاستنتاج الثاني درس موقف البكريين من هذا الوضع. ولذلك، وضعنا هؤلاء الأبناء أمام خيارين: يفرحني/ يزعجني، في كل من الأسئلة الستة، الواردة آنفاً (جدول 28). وجرى تجميع الخيار هذا في الجدول التالي، بمقتضى التحليل المركّب:

جدول 29

يمثل نتائج تحليل مركب للأجوبة (يفرحني/ يزعجني) عن الأسئلة من 1/ب إلى 6/ب، وهي مجموعات متفرعة من موضوعة المشاعر المعاشة. القيمة بالنسبة المئوية.

موقف البكريين	الأسئلة (انظر الملحق I)					
	1/ ب	2/ ب	3/ ب	4/ ب	5/ ب	6/ ب
يفرحني	42	50	50	79	95	10
يزعجني	50	48	50	16	2	85
لا مبالاة	8	2	0	5	3	5

بإزاءِ وضع من أوضاع الاختيار الحر، أظهرَ البكريّون ثلاثة أصناف من المواقف التي يمكن تأويلها كما يلي:

استناداً إلى هذا الجدول، نلاحظ أن عدداً صغيراً (بين 3 ٪ و 8 ٪) هو لا مبالٍ. وأن 42 ٪ من البكريين يوافقون على ترك المجال للصغير، مقابل 50 ٪ . كما أن 50 ٪ يتقبلون الممنوعات الأمومية، وأن نسبة مماثلة تعترف بأن البكريين كبار ولا يجوز لهم التصرّف بشكل غير مناسب، مقابل 48 و 50 ٪ من المستائين من ممنوعاتٍ كهذه. ينجم عن ذلك، استثارة شعور إزدواجي لدى هؤلاء الأبناء؛ فهم يرغبون في الحفاظ على حب الأم وعلى مرتبة ولادتهم، لكنَّهم يجدون أنفسهم، في الوقت نفسه، ميالين إلى النشاط الحر، الطبيعي لدى كل طفل.

إن أجوبة السؤالين 4/ ب و 5/ ب أظهرت أن 79 ٪ من البكريين يرتضون أن يأكلوا وحدهم وبحرية، وأن 95 ٪ منهم يرضون إعطاء الملابس الحميمة، شرط أن تكون لهم حصة أكبر. مما ينطوي على حب الانعتاق والاستقلال، وهو شعور يؤكده 85 ٪ من البكريين الذين ينزعجون من إعطاء كريّاتهم دون أن يُقال لهم بأنهم سيحصلون على سواها. يثبّتنا في تأويلنا، السؤال 7/ أ و ب: إذ

إن 92 ٪ من البكريين يقولون إنَّ الأهل وفوا بوعدهم، وإن 89 ٪ منهم راضون عن ذلك.

بعد توضيع البكر، في الذاكرة، في الإطار الصراعي العائلي، صار في إمكاننا درس الصورة التي يكونها البكرُ عن نفسه.

2. صورة الذات كما يراها البِكْرُ

بادىء الأمر، يتجلى الصراع في إطار التواصلات بين الأطفال والأهل؛ إلاَّ أن المصدر الأساسي للصراع البشري، بمجمله، يكمنُ في تنوّع وتكثّف خطوط التحيين الممكن للشخصيّة. إن دراسة إدراك الطفل لصورته الذاتية، في الإطار الصراعي العائلي، تستلزم أيضاً درس موقف مختلف أفراد الأسرة، كما يراها هذا الطفل. مما يقودنا إلى درس:

- صورة الذات كما يراها البكر وموقف الوالدين (الأم والأب).
- صورة الذات كما يراها البكر وموقف الأخوة.
- صورة الذات كما يراها البكر بموجب نظرته إلى ذاته.

إنَّ الموضوعات الكاشفة لإدراك البكْر موقفَ مختلف أفراد العائلة، جرى عرضها في جداول. وإن معدلات النتائج الرقمية تسمح بتأويل القيم الدَّالّة.

(أ) صورة الذات كما يراها البكر وموقف الوالدين

لنفترض الجدول 30 الذي يجمع الجداول الجزئية التي تتناول الموضوعات الكاشفة لموقف الأهل تجاه البكريين، كما يراها هؤلاء. (المقصود أربع موضوعات تحمل الأرقام:

6/أ، 7/أ، 8/أ، 13/أ، جدول 17/ مكرر، بالنسبة إلى الأم.

6/ب، 7/ب، 8/ب، 13/ب، جدول 17/ مكرر، بالنسبة إلى الأب).

جدول 30

يمثل إدراك البكريين لموقف الوالدين. القيم بالنسبة المئوية.

إدراك البكريين	مواقف الوالدين			
	مؤاتية		غير مؤاتية	
	(أ) الأب	(ب) الأم	(أ) الأب	(ب) الأم
أنهم مفضَّلون(١)	90	91	10	9
أنهم مقدَّرون(٢)	83	88	17	12
موضع اعتزاز(٣)	93	98	7	2
أمنيات متحققة(٤)	76	76	24	24

(١) انظر الملحق III، 6 ــ المفضَّل،
(أ) الأب م 1 ــ ج 11
(ب) الأم م 1 ــ ج 12

(٢) م. ن.، 7 ــ المقدَّر،
(أ) الأب م 1 ــ ش/ع ف/أ
(ب) الأم م 1 ــ ش/ع ف/ب

(٣) م. ن.، 8 ــ اعتزاز الوالدين،
(أ) الأب م 1 ــ ش/ع ف/أ
(ب) الأم م 1 ــ ش/ع ف/ب

(٤) م. ن.، 13 ــ أمنيات الوالدين،
(أ) الأب م 1 ــ ش/أ
(ب) الأم م 1 ــ ش/ب

الواقع حين يوضع البكريون في مواجهة الأخوة، بموجب موقف الوالدين منهم، يرى 90 و 91 ٪ من البكريين أن الأب أو الأم يهتّمان بهما أكثر، ويساندانهم أمام الناس. كما أن 83 ٪ من البكريين يرون أنهم موضع تقدير الأب، و 88 ٪ موضع تقدير الأم. هذا، ويلاحظ 93 ٪ أن الأب يتمنى أن يكون بكره «الأحسن»، ويرى 98 ٪ موقفاً مماثلاً للأم تجاههم. فالإبن البكر يُعتبر أنَّه هو الذي يجب أن يكون موضع اعتزاز الوالدين. ويرى 76 ٪ من البكريين أنهم حققوا الأماني الوالدية، مقابل 24 ٪ يعتبرون أنفسهم عاجزين عن تحقيقها. إنَّ المعدّلات الممثلة لمواقف الأهل غير المؤاتية لهم، تبيّنُ أن جميع البكريين ليس لهم الحظ نفسه في أن يكونوا موضع حظوةِ الوالدين، وإذا كانوا محظوظين، فإنهم لا يصلون كلهم إلى تلبية أماني الأهل المسقطة عليهم، مع استثناء 20 ٪ فقط من البكريين، ممن لا يشعرون بأنهم موضع إعتزاز الأم.

لتسليط مزيد من الضوء على هذه المواقف كما يراها البكريّون، خصّصنا سؤالاً مفتوحاً لتوضيح هذه المواقف، من خلال تحليل مركّب مع التحليلات السابقة، لتسويغ إدراك البكريين لموقف الوالدين منهم.

نتائج التحليلات معروضة في الجدولين 31 و 32:

جدول 31 [١]

يمثل القيم الدالّة، المتحصّلة من التحليل التركيبي للأسئلة المغلقة والسؤال المفتوح، الموجه إلى الأبناء البكريين، لتسويغ إدراكهم لموقف الأب منهم:

(١) جدول توليفي للقيم الدالة في الجدول م 1 ــ ش/أ.

سؤال مفتوح[1]	أسئلة مغلقة[2]		مؤات	غير مؤات	لا مبالٍ	
20	15	19	27			
20 أ	0	1	1	36	6	
20 ب	0	1	1	13	9	
20 ج	0	1	1	3		
20 د	0	1	1	7	3	
20 هـ	0	1	1	15	3	
بلا جواب	.	.	.			10
مجموع الأجوبة المتماثلة						
القيم ٪				69	21	10

(١) انظر الملحق I،

20/ أ = أن والدي يتكل عليّ

20/ ب = يأخذ برأيـي

20/ ج = يطلعني على بعض مشاكله

20/ د = أنه لا يوبخني بحضور الغير

20/ هـ = أنه يثق بـي.

(٢) م. ن.،

س 15 = هل والدك يداري أخوتك أكثر مما يفعله لك؟ نعم ☐ كلا ☐

س 19 = هل والدك يعتبرك أكثر من أخوتك؟ نعم ☐ كلا ☐

س 27 = هل أنت سعيد بكونك الإبن البكر؟ نعم ☐ كلا ☐

جدول 32 [١]

يمثل القيم الدالّة، المتحصّلة من التحليل التركيبي للأسئلة المغلقة والسؤال المفتوح، الموجهة إلى الأبناء البكريين، لتسويغ إدراكهم لموقف الأم منهم:

سؤال مفتوح[٢]	أسئلة مغلقة[٣]		مؤات	غير مؤات	لا مبالٍ	
18	16	17	27			
18 أ	0	1	1	27	3	.
18 ب	0	1	1	10	17	.
18 ج	0	1	1	43	0	.
بلا جواب	.	.	.	.	.	.
مجموع أجوبة إدراك البكريين القيم ٪				80	20	0

(١) جدول توليفي للقيم الدالة م 1/ ش ب والسؤال المفتوح 18.

(٢) الأسباب التي تجعل البكريين يرون أنهم مفضَّلون عند الأم:

18/ أ ــ الثقة التي تضعها به؟ ☐

18/ ب ــ الخدمات التي تطلبها منه؟ ☐

18/ ج ــ الاهتمامات التي تحيطه بها؟ ☐

(٣) م. ن.،

س 16 = ووالدتك هل تفعل هذا؟ نعم ☐ كلا ☐

س 17 = هل تفضّل إبنها البكر؟ نعم ☐ كلا ☐

س 27 = هل أنتَ سعيد بكونك الإبن البكر؟ نعم ☐ كلا ☐

إن قراءة الجدولين 31 و 32، تسمح لنا بالقول إنَّ: 69 ٪ من البكريّين يشعرون بحظوة الآباء، نظراً لمرتبة ولادتهم.

36 ٪ يتعلّلون بأن «أبي يتكل عليّ»، فيما يتعلل 15 ٪ بالقول إن «أبي يثق بي»، و 13 ٪ بالقول «أبي يطلب رأيي».

ولا يشعر جميع البكريين أنهم محظوظون:

يتصور 21 ٪ من البكريين أنهم غير محظوظين، لأنهم بكريّون، مع 10 ٪ يتخذون موقفاً محايداً من موقف الأهل تجاههم.

وينظر 80 ٪ من البكريين نظرة مؤاتية إلى موقف الأم تجاههم، مقابل 20 ٪ يجدون أنفسهم غير راضين:

43 ٪ من البكريين سعداء بذلك بسبب الحظوة التي تحيطهم بها الأم.

27 ٪ مقابل 3 ٪، نظراً لأن الأم تثق بولدها البكر.

10 ٪ مقابل 17 ٪ يجدون أنفسهم غير راضين عن كونهم بكريين بسبب الخدمات التي تتطلبها.

إلاَّ أن البكريين، بلا استثناء، يتخذون موقفاً إيجابياً، بالنسبة إلى موقف الأم منهم. الأمر الذي يسمح لنا بالتوصل إلى استنتاج جزئي:

نجد أنَّ البكر، بتأثير من الوالدين وفي مجابهة مع وضعه بين الأخوة، يتأثّر بالصورة العائلية المسقطة عليه، ودون الكلام على كل الصراعات التي يمكنه أن يواجهها في حياته، فإن دراسة وضعه كبكرٍ، منظور إليه من منظار تحليلي شامل، تضعه أمام صورة ذاتية تستند إلى نظام القيم الذي تقدمه الصورة

المثالية، والتي ينزع إلى أن يبلور فيها طريقة وجوده في العالم، «الإنسان يستعمل تصاميم ـ مرشدة، نماذج محددة، وهذا يعطي النغم المميَّز لحياته»[1] فالبكر يميل إلى تحقيق الأماني الوالدية، والعيش بوصفه الإبن البكر صاحب الحقوق، ويجد نفسه، حتماً، موزعاً من جهة بين الصورة المثالية وقدراته الشخصية؛ ومن جهة ثانية، بين حقوقه ومنافسة الصغار. وهذا ما يجعله يعيش في علاقة صراعية خاصة وفي ثنائية المشاعر.

(ب) صورة الذات كما يراها البِكْر

1) إدراك البكر لذاته، حسب موقف الأخوة

لنفترض الجدول 33، الذي يجمع الجداول الجزئية التي تدور حول الموضوعات الكاشفة لموقف الصغار من البكر، كما يرونه، القيم بالنسبة المئوية.

---

(١) R. DREIKURS, **La psychologie adlérienne,** Blond et Gay, Paris, 1971, p. 73.

جدول 33

إدراك البكريين	مواقف الصغار مؤاتية	غير مؤاتية	لا مبالية
تفوّق[1]	79	17	4
أبوية[2]	53 + 7	34	3
غيرة[3]	الأب 90	10	.
	الأم 50	50	.

(١) م 1 ــ ش خ: تكون مؤاتية المواقف المجيبة عن فئات (1 + 2 + 5 + 7)، وغير مؤاتية تلك التي تجيب عن فئات (3 + 4 + 7). والأسئلة هي:

س 8 = هل يلجأ إليك إخوتك في بعض الصعاب؟ نعم ☐ كلا ☐

س 9 = هل يخافونك؟ نعم ☐ كلا ☐

س 24 = هل أخوتك «يسمعون» منك الكلمة ويطيعونك؟ نعم ☐ كلا ☐

س 25 = هل تشتكيهم لوالديك إذا لم يطيعوك؟ نعم ☐ كلا ☐

(٢) م 1 ــ ش:

س 10 = إذا تشاجر الأولاد مع بعضهم، هل تدافع عن الأصغر منك؟

نعم ☐ كلا ☐

س 11 = هل يصدف لك أن تدافع عن بعض الأولاد الأكبر منك؟

نعم ☐ كلا ☐

(٣) م. ن.، م 1 ــ ج 10

س 13 = هل أخوتك الأصغر منك، أشطر منك بالمدرسة؟

نعم ☐ كلا ☐

س 14 أ = هل والداك يهتمان بهم ويدروسهم أكثر من اهتمامهما بك؟

نعم ☐ كلا ☐

س 14 ب = هل والداك يهتمان بهم ويدروسهم أكثر من اهتمامهما بك؟

نعم ☐ كلا ☐

لهذا الجدول فائدتان لا بد من اعتبارهما. تدورُ الأولى حول عدد الفئات أو نماذج الأجوبة، المضافة إلى مختلف الأسئلة الموجهة للبكريين. وتدور الثانية حول دلالة المعدّلات المتحصلة.

والحال، فإنَّ مختلف الفئات التي تنجم عن أجوبة البكريين عن موضوعة «التفوق» (راجع الجدول 33)، تبيِّن تشوّشهم أمام موقف الصغار تجاههم: إن الفئات السبع الأولى التي تعادل 94 ٪ من الأجوبة هي مجموع قيم الفئات: م 1 ش خ + 2. . . 7)، تدلُّ على استعانة الصغار بهم، لكن الثنائية تظهر عندما يجد 27 ٪ من البكريين (م.ن، 27 = م 1 − ش خ 6 + 7) أن الصغار لا يخشونهم؛ فيما لا يطيعهم 20 ٪ (م.ن. 20 = مجموع م 1 − ش خ 3 + 4 + 7 + 9). بينما يجابه 79 ٪ من البكريين ــ دون إتهامهم للوالدين ــ ، المصاعب مع الأخوة حتى يبيّنوا تفوقهم (م.ن. 79 = ش خ 2 + 6).

بخصوص موضوعة «الأبوية» يبيّن الجدول 33: أنَّ 37 ٪ من البكريّين يدافعون عن الصغار، فيما يدافع 53 ٪ عن الأصغر والأكبر منهم معاً، مبرّزين هكذا نزعة البكر إلى اعتبار نفسه «أكبر» مما هو. إن قيم 7 ٪ في الجدول نفسه تؤيدنا في الخلاصة المستفادة، فلاحظنا أنّ هؤلاء الأخيرين يدافعون عن الأكبر سنّاً، دون أن يدافعوا عن الأصغر منهم، مما ينطوي على شعورهم بـ «الظهور كباراً» وإظهار قوّتهم.

إن نتيجة التحليل المركّب من الأسئلة المكوِّنة لموضوعة «الغيرة» والمعروضة في الجدول السابق، تعطي 90 ٪ من البكريين الذين يقولون أنهم «أشطر» من الصغار في صفوفهم المدرسية. بينما 50 ٪ من البكريين، مقابل 50 ٪، يبدون آراءً مشتركة ليقولوا إن سبب هذا النجاح عائد إلى تشجيعات الأم.

في المحيط العائلي، وبمواجهة الأخوة، يرى البِكْرُ أنَّه يُدرك بوصفه الأخ الكبير الذي يستعين به الصغار، والذي يكون قادراً على الدفاع عنهم. مما يدفعه إلى أنْ ينمّي في ذاته مشاعر التفوّق التي يمكنها الوصول إلى حد الأبوية، والتي يمكنها أن تخلق بين الأخوة جواً من التنازع والغيرة. هذا الوضع الصراعي يظهر لدى كل فرد كأنه شعور بتوكيد الذات وبالانعتاق، بينما يكون هذا الوضع، بالنسبة إلى البكر الذي يعتقد بأن له كل القدرة، وضعاً مُعاشاً بوصفه صراعاً مع الخوف من إزاحة الصغار له.

ماذا يمكن أن يكون الوجه لصورة الذات التي يكوّنها البكر عن نفسه ويعتقد أنه كذلك؟

2) إدراك البكر لذاته، بحسب إعتقاده

يُصرّ كل فرد على اكتساب القدرة الكليّة؛ وبالضرورة، ينطوي التشغيل النفسي وإدراك الذات والسلوك، على صورة الذات بموجب المحيط وعالم الآخرين، إذْ إن هؤلاء الأخيرين «لا يجدون أنفسهم في مواجهة الأنا وحسب، بل يشكّلون أيضاً محتوى الحياة النفسية المتشخِّصة»[١]. نظراً لدراسة صورة الذات، وبمقتضى إدراك الأنا لموقف الأهل والأخوة تجاهه، سنحاول تصوّر الصورة الذاتية التي يكوّنها البكْر عنْ نفسه، من ثلاثة جوانب، موضوعة في ثلاث موضوعات: أ) مرتبة الولادة؛ بُ) التماهي؛ ج) إختيار المهنة.

(أ) مرتبة الولادة (انظر الملحق I)

وجَّهنا ثلاثة أسئلة إلى البكريّين، لمساعدتهم على إختيار نهائي لحالتهم البكْريّة. هذه الأسئلة وردت في القسم الأخير من الإستمارة المناسبة، مما

(١) J. NUTTIN, La structure de la personnalité, op. cit., p.211 .

يجعلنا نفترض أنَّ الطفل يجيب بعدما يتفكّر في مجمل الأوضاع التي يتعرَّض لها الفرد:

س 27 = «هل أنت سعيد بكونك البكر»؟

س 28 = «هل تودّ لو كنت الولد الأصغر في البيت»؟

س 29 = «هل أخوتك يحسدونك لكونك الولد البكر»؟

إنَّ نتيجة التحليل التركيبي للأجوبة المتحصّلة، معروضة في الجدول التالي:

جدول 34

العدد 0 = كلا؛ 1 = نعم؛ م 1 = منطقة معالجة الأسئلة الموجهة للبكريين بين 9 و 13 سنة؛ ش = شبكة؛ مرت مرتبة مقبولة أو مرفوضة

مرتبة "ولادة نماذج للفئات	أسئلة 27	28	إدراك 29	معدلات ٪
م 1 – ش 1	1	1	1	1
2	1	1	0	3
3	1	0	1	66
4	1	0	0	6
5	0	1	1	13
6	0	1	0	11

الواقع أن 66 ٪ من البكريين سعداء بكونهم كذلك، فهم لا يرغبون أن يكونوا صغاراً، ويرون أن الصغار لا يحسدونهم. بين الفئات التي يعلن فيها

البكريون استياءهم من ذلك، هناك 13 ٪ غير سعداء بكونهم بكريين، مع إدراكهم أنهم محسودون، وهناك 11 ٪ غير سعداء أيضاً، مما يفسح في الاعتقاد بأنَّ الكبار يواجهون مشاكل مردّها إلى واجبات واقعة على كاهلهم، مع اقتناع، غير معلن، بأن الصغار يمكنهم تخطي هذا الوضع بنحوٍ أفضل، وتلبية شروط الأهل وأمنياتهم.

أما البكريّون الواعون لمرتبة ولادتهم ومستلزماتها، فهم في فئتين: فئة غالبة، راضية عن هذا الوضع، وفئة قليلة، غير راضية، فهي تظهر شعوراً اعتراض ورفض.

(ب) التماهي

بما أن الشخصية تُعَدّ بذاتها «بنيةً يجعلها الزمن متباينة لدى الفرد وفيه، وكلاً ديناميكياً، أي منظماً وجديداً»[١]، فإن التماهي سيجري النظر إليه بوصفه أحد جوانب هذه الشخصية، وسيجري درسه بسؤالٍ له فائدتان، تعود الأولى إلى ترتيبه الزمني في الإستمارة المناسبة، والثانية إلى مضمونه:

س 31 (الملحق I): «إذا اضطر والداك للانفصال، هل تختار العيش مع أمك أو مع أبيك»؟

يفترض هذا السؤال وعياً لعوامل أثارها من قبل الثلاثون سؤالاً التي سبقته، والتي تتناول الحياة العائلية العاطفية ــ العلائقية. «إن الطريق التي تقود إلى الفرْدَنة، تتوسَّطها المسارات الإدراكية الموجّهة إلى البحث عن موضوع إشباع الرغبات»[٢].

(١) D. LAGACHE, Agressivité, structure de la personnalié, œuvres IV, P.U.F., 1981, p. 191.

(٢) Margaret MAHLER, La naissance psychologique de l'être humain, T. 2., Payot, 1980, p. 44.

بهـذا السـؤال، يجـد الطفـل نفسـه مرتـدّاً عـن والديه، لكي يعاود توجهـه إليهمـا لاحقـاً، وهـو أمـام القلق من فقدان موضوع رغبته بفعل الاختيار الذي سيقوم به حين يجيب عن هذا السؤال. كذلك، هذا الخيار سيكـون محـدّداً بـالإدراك الـذاتـي السـابق وبالإدراك الـذي يتـوق إليـه. الأمـر الذي يسمـح لنا بتحديد هـذا الجانب من الشخصيّة، بفضل اختيار الصورة المثالية للذات، كما يتصوّرها هذا الطفل، والمدروسة وفقاً للجدول التالي:

جدول 35

يمثّل نتيجة الأجوبة المتماثلة، المتحصّلة من التحليل التركيبـي للسؤال 31. (القيم بالنسبة المئوية):

	أسئلة فرعية			
التماهي/ نماذج الفئات	31 أ	31 ب	31 ج	٪
م 1 - ش I 1	1	0	0	30
2	0	1	0	48
3	0	0	1	19
4	0	0	0	2
5	.	.	.	1

م 1 = منطقة الدراسة حاسوبياً للإستمارة الموجهة إلى البكريين، بين 9 ــ 13 سنة.

ش I = شبكة التماهي 1، 2، 3 . . . 5

0 = كلا؛ 1 = نعم؛ . = لا جواب

31 أ = اختيار الأب؛ 31 ب = اختيار الأم؛ . = عدم اختيار أي منهما.

يبدو غيرَ كافٍ تأويلُ الجدول بحسب معدلات الأجوبة؛ لذا، سنضيف

إليها الأجوبة المفتوحة عن السؤال الفرعي 31/ د (الملحق I: س 31/ د الذي يدعو الطفل إلى تبرير اختياره للذهاب مع الأب أو الأم). جرى تجميع الأجوبة كما يلي، حسب معنى الإجابة عن 31/ أ أو 31/ ب:

استناداً إلى الجدول السابق، هناك 30 ٪ من البكريين كانوا قد اختاروا الذهاب مع الأب، والأسباب هي:

2 ٪ قالوا «هكذا»، دون إجابة واضحة؛

7 ٪ «أستطيع العيش مع أبي. يمكننا تدبير أمورنا وحدنا»

9 ٪ «أنا صبي ويجب أن أعيش مع أبي»

12 ٪ اختيار الأب بنفي الدور الذي تقوم به الأم.

هناك 48 ٪ من البكريين اختاروا الحياة مع الأم، وهذه هي الأسباب:

6 ٪ بدون أسباب صريحة،

8 ٪ «الأم ضعيفة، وستحتاجني»

10 ٪ «عليَّ أن أساند أمي»

وهناك 19 ٪ لم يختاروا، وظلّوا بلا موقف.

أما النسب 7، 9 و 12 ٪ من الأجوبة التي جرى فيها اختيار الأب، فإنها تشير إلى الأسباب التي تنطوي على تماهٍ بالصورة الأبوية، الموصوفة بالرجولة.

وأما النسب 8، 10 و 10 ٪ من البكريين الذين اختاروا الحياة مع الأم، فيسجّلون بدورهم اختيار صورة ذاتية تحمل صفاتٍ ذكرية، وبذلك تدلّ على تماهٍ بالصورة الوالدية المثالية. بين 9 و 13 سنة، وبشكل أدقّ كما يرى بياجيه، بين 11 و 13 سنة «يكمل الأنا الفصلَ عن ذاته لقسم من اهتماماته، فلا يعود

يلتبس بالعالم، فيضعه إزاءَ الآخرين، وهكذا يمكنه أن يعي ذاته والحقائق وعياً صحيحاً»[١]. الأمر الذي يسمح لنا بأن نجد أن هذا الخيار الإدراكي يكشف أحد جوانب الشخصية، وهو التماهي، المُبيَّن بنزعة تبدو في آنٍ أنها امتداد للرغبات السابقة، وتتمة لتحقيقها. إن تماهي الذات وهويتها، يترجمان الاستقلالية الصحيحة، القائمة على حوافز جوانيَّة. وما هذه الحوافز سوى الرغبات الوالدية، وبنوع خاص، أماني الأم، المسقطة عليه.

(ج) إختيار المهنة

إن المسألة المتعلقة باختيار المهنة، جرى صوغها بهدف تجسيد طموح الطفل في التماهي مع وضع اجتماعي، ينطوي على بنية ذاتية متكوّنة سابقاً. إن الجانب النفساني للمرحلة العمْرية الواقعة بين 9 و 13 سنة، يُوصف بفترة الكمون؛ وعليه، فإن اختيار أو تمنّي الصيرورة، يدلّان على آليّة الإعلاء والنزوع إلى التماهي بشخصٍ يمارس مهنةً مشرّفة.

وإن تحليل السؤال («في المستقبل، ماذا ترغب أن تصبح»؛ انظر الملحق I) الموجَّه إلى البكريين في هذه المرحلة العمرية، أعطى النتائج التالية:

المهنة	طبيب	طيّار	مدير	مهندس	محام/ قاض	مخترع	بلا جواب
العدد	30	23	15	20	7	3	2

(١) G. MAUCO, L'Inconscient et la psychologie de l'enfant, op. cit., p. 199.

هذا الخيار يكشف لنا نزوع البكر إلى القيام باختيار من شأنه أن يضعه في وضع اجتماعي يلبي أعمق تطلعاته، وتطلعات الوالدين نحوه. الأمر الذي يسهم في البنية الذاتية وفقاً للصورة المثالية، المسقطة عليه ـ على الذات ـ «بوصفها موضوعاً للذات، وهي في جوهرها بنية اجتماعية»[١]. وتتوطَّد شخصية البكْر في ظل التأثير الوالديّ، وتكتسب تأهيلاً حيوياً. فهي تتواصل وتكبر على أمل تحقيق أماني الوالدين.

خلاصة

على غرار كل فرد يسعى إلى الفرادة، يبلغ البكْرُ إستقلاليةً متصاعدة، لكنَّ ما هو خاصٌ به، هو أن هذه الاستقلالية تتحقَّق وفقاً لصورة مثالية يقدّمها الأهل: فالبكرُ ينمو مع صورةٍ ذاتية، متّسمة بمشاعر كونه:

ـ الإبن المفضَّل والمقدَّر لدى الأهل؛

ـ الأخ الذي يثق به الأخوة ويحترمونه؛

ـ الطفل صاحب الامتيازات التي تجعله شخصاً يتمسّك بحقوقه، وينكبُّ على تحقيقها ويصارع حتى لا يُخلع عن عرشه؛

في الفصل التالي، سندرس الصورة التي يكوّنها البكرُ عن ذاته وفقاً للصورة التي يكوّنها عنه الآخرون، وطبقاً للبارامترات التالية:

* القدرة.

* السلطة.

* المسؤولية.

(١) G. - H. MEAD, L'Esprit, Le soi et la société, op. cit., p. 122.

* القدوة.

* النضـج.

فهذه عناصر إخترناها بوصفها مكوِّنة لشخصيّة البكْر. ولقد درسناها بمقتضى متغيّرات البيئة الأساسية، التي ينمو فيها البكر □

● ● ●

(ب)

رسم بياني نفسي ـ إجتماعي للإبن البكر

(ما بين 14 و 18 سنة، منظوراً إليه في الوضع العائلي، وموضوعاً بمقتضى البارامترات والمتغيّرات المعتمدة)

تمهيد

الكائن البشري هو في تطور مستمر من خلال السمات الخاصة بكل طور؛ وهو يتعيَّن بتعاقب وتواصل الظواهر المرتبطة ببعضها مثل لحظاتٍ متعاقبة من مسار واحد خاص بكل وظيفة من وظائف الوجود الإنساني. وفي مجرى المراحل المختلفة، يحدثُ ببطءٍ نضجٌ، إلى حد تجليه الذي تهيمن عليه إرادة الكائن: «في الحقيقة، لا يستطيع أحد أن يريد ما لم يرغب، من صميمه، في أن يريده؛ فهذه الإرادة لا يمكن فرضها من الخارج، كما أنه لا يستطيع فرضها على نفسه بنفسه صراحة وعمداً»[١]؛ ويضيف المؤلِّف: «يجب الاقتدار على الإرادة والرغبة في الإرادة»[٢]. إن هذا المسار التطوري يسمح بإبراز الصفات الفردية والاستعدادات الشخصية أو المزايا التفاضلية التي لا تغدو كذلك إلاَّ بتأثير البيئة التي تشجِّع عملها.

(١) A. BERGE, **Les défauts de l'enfant,** op. cit., p. 51.

(٢) م. ن.، ص 51.

صحيح أنَّ التباينات الفردية تتكاثر وتتمايز، بتأثير من الاقتناعات ومختلف العوامل الاجتماعية. وما هو «نموذجي في نمو الشخصية، هو تحوّل ونضج الاستعدادات الفردية بفعل حوادث الحياة»(١). وحين ندرك أن «الشخصية هي التنظيم الدينامي للجوانب المعرفية والعاطفية، فإنها تنجم عن العمل المركَّب من سلسلة عوامل كاملة»(٢). الأمر الذي يقودنا إلى الإقتناع بأن «الشخصية لا يمكن وجودها إلاَّ في نطاق بنية الشخصية ــ العالم»(٣). هذه الشخصية ستُحدَّد بوصفها «نمطاً وظيفياً ينطوي أساساً على قطبين: الأنا ــ مجموعة وظائف تدخل في السلوك ــ، والعالم، موضوع الأنا الملازم له»(٤).

وسط الكثافة الهائلة للعوامل المحدِّدة، يجد الفردُ نفسه أمام كثرةٍ من السياقات الاجتماعية، بحيث يُرجعها أولاً إلى السيرورات العائلية، ويكون هو نفسه واحداً من المتصارعين فيها.

والحال، لا يكفي وصف «بنية الأنا ــ العالم كشبكة تفاعل يؤثر فيها كل شيء في الآخر، ويعاني من تأثير الكل، . . . ، فالتفاعل له سمة خاصة به»(٥).

ونظراً للإدراك وللموقف داخل الأسرة، يجد البكرُ نفسه أمام ثلاثة عوامل، هي مصدر القوى. يتكوَّن أولهما من الوالدين، الأب والأم؛ وتُختصر

---

(١) D. LAGACHE, **La jalousie amoureuse,** P.U.F., 1986, p. 45.

(٢) P. PICHOT, **Personnalité et réaction,** Bul. de psych., Février 1962, p. 740.

(٣) J. NUTTIN, **Structure de la personnalité,** op. cit., p. 210.

(٤) م. ن.، ص 210.

(٥) م. ن.، ص 224.

قوتهما الفعالة في الصورة المثالية. ويتكوّن الثاني من الصورة التي يُحيلها الأخوة إلى البكْر. أما الثالث، وهو على ما يبدو الأهم والأساسي في تحقيق الذات، فهو الشخص نفسَه المتصرِّف بمقتضى الصورة التي يكوّنها عن نفسه.

يسهم الذات والآخر في الاختيار: «بما أنني أدرك الآخر كشخص يُدركني بدوره، فإنني لا أُدخل الآخر في عالمي النفساني وحسب، بل يدخله أيضاً بوصفه شخصاً يدخلني، في الآن ذاته، في عالمه هو» (م. ن.، ص 224).

ما يلي سيسمح لنا بدرس الصورة التي يكوّنها البكْر (ما بين 14 ـــ 18 سنة) عن نفسه، وفقاً لشبكة تفاعل البيئة الاجتماعية التي تؤثّر فيه. أما العناصر المميَّزة التي تصوَّرناها فهي البارامترات المعتمدة سابقاً. وسيدرس كل بارامتر طبقاً لموقف وإدراك الجماعة العائلية المُستجوبة، ووفقاً للمتغيرات (المعتمدة سابقاً). في الجدول التالي عرض للبارامترات:

جدول 36

يمثّل البارامترات ومختلف جوانبها.

البارامترات	سمات البارامترات	تجميع الأسئلة
1 ــ القدرة	(أ) الاجتماعية	1/أ + 1 ب + 5 ب
	(ب) الوالدية	2/أ + 2 ب + 2/ج + 4 + 7 أ
	(ج) المحسودة	3 + 5 ب + 9 + 19
2 ــ السلطة	(أ) المنسوبة	4 + 5 ب + 5 هـ + 5 و + 5 ز
	(ب) المؤكّدة	5هـ + 6
	(ج) المقبولة	3 + 5 ج + 9
	(د) المحسودة (تنافس)	3 + 5 د + 5 ز + 9

3 ـ المسؤولية	(أ) المنسوبة	5 ز + 7 أ + 7 ج
	(ب) المفروضة	3 + 7 ب + 7 د + 10
	(ج) المقبولة	3 + 7 أ + 7 ج+ 7 د + 8
4 ـ القدوة		5 أ
5 ـ النضـج		5 د + 7 ج + 15

لنتذكَّرْ أنَّ كلاًّ من هذه البارامترات، جرى درسه بمقتضى المتغيّرات التالية:

- △ المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي للعائلة
- △ المستوى الثقافي للأب
- △ مسقط رأس الأب
- △ مكان سكن العائلة □

• • •

الفصل الثامن

القُدرة

تمهيد

□ اشتقاقاً لفظ القدرة (Pouvoir)، يصدر عن اللاتينية[1] «Potere»، بمعنى الإقتدار على الشيء، أو[2] «Posse»، بمعنى امتلاك القوّة، والحق؛ ويتكامل المعنيان ويحيلان إلى طاقة حيوية في السلوك.

إن الإبن البِكْر، المُناط بالقدرة، المفهومة بمعنى «القدرة على الفعل، والمرادفة للقوة»[3]، والمندرِج في منظومة علاقات قوّةٍ، مع الآخر ومع نفسه، إنما ينبغي، عليه، أكثر من أي طفلٍ آخر، أن يتصرَّف على ما يبدو لنا، مستعملاً طاقاته، وخاضعاً في الآن ذاته «للقواعد والقوانين التي تسمح بتوقعاتٍ حول ما كان يُرْتَقب منه»[4]. إن القواعد المعرفية والديناميكية للسلوك تشكِّل الشخصية وتكوِّنها في وحدتها التي تُبنى بالضرورة في مجرى عملها.

إلى أي حد يتمكَّن الإبن البِكْر، الذي يعيش في حقل تأثيرات، منْ تحقيق هذا الجانب من الشخصية؟

إن معالجة الاستمارات المناسبة، بحسب الموضوعات والبارامترات والمتغيّرات، معروضة في الجداول الواردة في الملحق، نظراً لكثرة عددها،

---

(١) A. LALANDE, Voc. techn, et crit. de la philosophie, op. cit. , p. 801.

(٢) م. ن.

(٣) م. ن.

(٤) Maurice REUCHLIN, Psychologie fondamentale, P.U.F. , 1984, p. 11.

سنعرض على التوالي الجداول المفسَّرة لكل موضوعة. في هذا الفصل، سندرس القدرة المفوَّضة للبكر، وفقاً لموقف وإدراك الوالدين، ومن ثمَّ، وفقاً لموقف وإدراك الأخوة، وأخيراً لدى الإبن البِكْر نفسه.

I. القدرة المفوَّضة والوالدان

يدلُّ مفهوم القدرة، بمعناه الأوسع، على قدرةٍ محتملة لدى الوالدين، مرتبطة بشخص الإبن البِكْر، بصفته هذه، إن هذه القدرة التي تنطوي على عدَّة أبعاد، جرى درسها، كواحدٍ من عناصر الموضوعات المعالجة في الاستمارة الموجهة إلى الأهل، من خلال عوامل فرعية.

(أ) القدرة المفوَّضة والأب

هذا الجدول يمثِّل خلاصة القيم الدَّالَّة، نتائج التحليل التركيبي للأسئلة، وهي نقاط التقاء موضوعة «القدرة»، التي تسمح برصد موقف الأب وإدراكه للإبن البِكْر، القيم بالنسبة المئوية (٪):

جدول 37

القدرة المُفوَّضة: عناصرها المكوِّنة	موقف وإدراك الآباء	
الخطوات الممنوحة	68	15
التواصل الأبوي[١]	78	7
بديل الأب[٢]	95	

(١) م. ن. ، م 3 ــ ش ج.
(٢) م. ن. ، م 3 ــ ج 2، س 8 ج.

الواقع أن من بين الأسباب المختلفة التي تدفع الأبَ إلى تفويض القدرة (السلطة) إلى الإبن البِكْر، نستنتج ما يلي، من الجدول أعلاه:

- أن 99 ٪ من الآباء يرون أنَّ على البكر أن يقوم مقام الأب.
- أن 78 ٪ يرون أنَّ الإبن ضمانة للأب، فيه يكتمل التواصل العائلي، وبه يحقِّق الأب ما لم يحققه في حياته؛ مما يفسِّر أمنيته في أن يكون مولوده الأول إبناً.

من بين هذه الأسباب المختلفة التي تجعل الآراء الأبوية مشتركة بين 15 فئة موزعة بحسب هذا السبب أو ذاك، هناك 68 ٪ من الآباء يختارون كل هذه الأسباب، ويعترفون بامتيازات لهذا الإبن، تستلزم على هذا النحو إناطتَه بقدرة ضرورية، وهذا يفترض مسبقاً إسقاطاتٍ تجعل البِكْرَ مختلفاً عن بقية الأخوة، كما سنرى لاحقاً.

(ب) القدرة المفوَّضة والأم

يمثّل هذا الجدول (ج 37 / مكرَّر) توليفاً للقيم الدالَّة، وهي نتائج التحليل التركيبي للأسئلة الموجهة إلى الأمهات: القيم بالنسبة المئوية ٪.

القدرة المُفوَّضة: عناصرها المكوِّنة	موقف وإدراك الأمهات	
الحظوات الممنوحة	71	15
التواصل الأمومي[١]	78	7
بديل الأب[٢]	95	

(١) م. ن. ، م ــ 4 ــ ش/ج.

(٢) م. ن. ، م ــ 4 ــ ج 2، سؤال 8/ج.

إن الأسباب التي تقف وراء إدراك الأم للقدرة المفوَّضة إلى البِكْر، تحمل دلالاتٍ مختلفة عن دلالاتِ الأب، نلاحظ أن 92 ٪ من الأمهات المتزوجات حديثاً السؤال 2/أ = 92 ٪، هذه القيمة نـاتجة عن أجوبة السؤال: «هل تتمنين أن يكون طفلـك الأول صبياً؟») يتمنين وصـول إبنٍ في أسرع وقت ممكن؛ فهذا الأمر يجنِّبهن قلقَ الانتظار، قلق العُقم و «أقاويل الحموين» من جهة (راجع سابقاً، الفصل الثاني)؛ ومن جهة ثانية، يمدّهن الحمْل الأول بالرضى عن كونهن سيصبحن من الأمهات، ويجعل الزوج سعيداً بكونه سيغدو أباً. وترى 81 ٪ من الأمهات أن «ولدهن الأول» هو بمنزلة نقطة الارتـكاز، لأن تربيته تشغل العائلة الكبيرة = «هل صحيح أن الإبن البكر يتمتَّع بتربية خاصة من قبل الأهل»؟). ويرى 95 ٪، أن من واجبه أن يساعدهم عندما يكبر خلال غياب الأب: «على الإبن البِكْر واجبات: هل يقوم مقام الأب في حال غيابه؟»).

إن نتيجـة تحليـل الأسئلة المتنـاسبة مـع پارامتر (القـدرة)، والموجهة إلـى الأمهـات، المـاثلة في الجـدول 37/ مكـرَّر السابـق، تسمـح لنـا بـأن نلاحظ أنَّ:

- 95 ٪ من الأمهات يجدن أن الإبن البِكْر يقوم مقام الأب.
- 78 ٪ من الأمهات يجدن أن الإبن البِكْر سيحقق تواصل العائلة.
- 71 ٪ من الأمهات يعتبرن أن الإبن البِكْر هو «المشروع» الذي يسمح بتحقيق ما عجزت الفتاة عن تحقيقه، لأن الأم ترى أن كونها أماً لصبـي، يجعلها تستردُّ رغبةً غير ممكن تحقيقها، رغبة أن تكون صبياً، وليست بنتاً، عندئذٍ يتمّ تنفيس التوتُّر الداخلي الناجم عن شرطها الأنثوي.

هكذا نستطيع التأكيد، إذاً، أن الأبَ يُفوِّض قدرة (سلطة) إلى الإبن البِكْر، وهي طاقة اجتماعية ـ عائلية، مفعمة بدلالاتِ أبوية، معلَّقة ومسقطة على هذا الإبن، أما إدراك الأم للإبن البكر بوصفه مزوّداً بقدرة، فيعود إلى المجال الغريزي ـ العاطفي الذي يُضاف إلى الجانب الفكري ـ العاطفي الذي يمثله الأب، والمعبَّر عنه بالصورة المثالية، صورة الرجولة التي تتمناها الأم لأبنها.

إنَّ البِكْر حين يعدو مركزياً في العائلة، لا يتماهى فقط مع الشخص الذي يتقلَّد السلطة، بل يُطلب منه التماهي بالأب أو بالصورة الرجولية، بوصفه مالك قدرة أو سلطة، هناك ضغط شديد يدفعه إلى التصرُّف مثل الكبير؛ الأمر الذي يحمله إلى توطيد نفسه حين يجعل نفسه مُطاعاً. وبالضرورة، سينجم صراع عن التفاعل بين النزوات القديمة ونموذج السلوك المفروض.

ومما يعزِّز هذا الامتياز عند البكر، هو الإقلابُ في عزو الأهل القدرة إليه، ومنحه نفوذاً على الأخوة، الأمر الذي ينطوي على علاقة نفوذية تُمارس عليهم، إذ يشعرون بقوَّة مؤثرة وفاعلة فيهم، ولقد حاولنا رصدها بالأسئلة الموجهة إلى الأخوة، وكانت نتيجة المعالجة الحاسوبية قد سمحت لنا بتبيان موقف الأخوة وإدراكهم لهذا الجانب من شخصيَّة أخيهم البِكْر.

2. القدرة المفوَّضة والأخوة

نتناول موقف الأخوة وإدراكهم للقدرة المناطة بالبكر، بوصفها امتيازاً يمنحها الأهل له. إن نتيجة تحليل الاستمارة الموجهة إلى الأخوة، والتي تتناول بارامتر (القدرة) الذي يلخص في الجدول التالي، تسمح بفحص هذا الوضع:

جدول دمج القيم الدَّالَّة، وهي نتيجة التحليل التركيبي للأسئلة الموجهة إلى الأخوة:

جدول 38

(القيم بالنسبة المئوية)

القدرة المفوَّضة :	موقف وإدراك الأخوة					
عناصرها المكوَّنة	ثواني البكر		ثانيات البكر[1]		الصغار[2]	
خُطوات معترف بها	75	5	73	7	79	8
احترام	90	4	27	19	61	7
(أ) الأخوة			19		17	
(ب) الوالدين	73	8	45	20	61	10
			13		19	

وعليه: نجد أنفسنا أمام نوعين من النتائج: القيم المعبَّر عنها بالنسبة المئوية وتوزيع الأجوبة المتماثلة عن الموضوعات ذاتها (نقصد بالتوزيعات: الفئات المشار إليها سابقاً، والمعروضة في الجدول عبر الخانات □)، الأمر الذي يسمح بتقديم أجوبة الأخوة حسب الدرجة في رتبة الولادة بين الأخوة.

أما بخصوص القدرة المُفوَّضة للبكر، كما يراها الأخوة، بوصفها خطوةً ممنوحةً للبكر، فإن 75 ٪ من ثواني البكر، و 73 ٪ من ثانياته، و 79 ٪ من الصغار يدركونها هكذا. وحين نأتي إلى تطبيق ذلك في سلوكهم تجاه البكر، نلاحظ أن 90 ٪ من ثوانيه يشعرون به، ويرون أن البكر يحترم آراءهم؛ ويشعر

(١) م. ن.، م 2/5 ـ ش و/أ؛ م 2/5 ـ ش و/ب.

(٢) م. ن.، م 3/5 ـ ش و؛ م 2/5 ـ ش و/أ و/ب، فلنلاحظْ أن الأرقام في الخانات □، تمثل عدد فئات الأجوبة المتماثلة، عن الأسئلة ذاتها.

الصغار بذلك، لكن بدرجة أخفّ، إذ إن 61 ٪ منهم يرون أن بكرهم يحترمهم ويحترمونه؛ بينما تعبّر ثانيات البكر عن تشتت كبير في أجوبتهن، وعن قيمة أدنى بكثير من القيمة التي يراها ثوانيه: هناك 19 نمطاً[١] منْ الأجوبة للثانيات مقابل 4 للثواني البكر؛ وهناك 27 ٪ منهن، مقابل 90 ٪ لثواني البكر، هن على هذه القناعة، مما يسمح لنا بأن نلحظ وعياً لوضع الأخ البكر. ويدورهم يطالب الثواني البكريّون، وأكثر من الصغار الآخرين، أن يعترف بهم البكر كأنهم «أقوياء»، الأمر الذي يفسّر التوتر الممكن نشوبُه بين البكر والأخوة، والمترجم بمنافسةٍ قد تصل، لدى البكر، إلى حد القلق والخوف من خلع ثاني البكر له.

الملاحظة نفسها ستُسجّل حول موقف الأخوة من البكر، مقارناً بالأهل، فهناك 73 ٪ من ثواني البكر، و 61 ٪ من الصغار، و 45 ٪ من ثانياته، يعربون عن احترامهم له، ويرون أنّه محترم مثل الوالدين. وإذا كان الأخر البكر يعتبر شخصاً جديراً بالاحترام، مثل الوالدين، فلأنه مندرج في منظومة السلطة، كما أنَّ الصفات المنسوبة إلى البكر، والمعتمدة في السؤال المفتوح[٢]، تنطوي على موقف للأخوة تجاه بكرهم، على أنَّه شخص ذو مقدرة، ولو من حيث «الخطوات التي يمنحها الأهل للبكر» (أنظر الملحق IV)، أو كما يضيف الصغار، نظراً «لأن الأهل لا يوجّهون له أية ملاحظة، فهو يفعل ما يحلو له» (م. ن.)؛ إن هذه التأملات التي يقدمها الأخوة، تنطوي على أن البكر يتمتَّع بسلطة معينة داخل الأسرة.

---

(١) يعبِّر عدد الأنماط عن تنوُّع الأجوبة المتماثلة للأشخاص المُختَبرين، هذا يدلُّ على ثنائية في المشاعر المُعبِّر عنها بالاختيار المتنوِّع.

(٢) أنظر الملحق I، حيث يجب على الشخص أن يقدِّم الأسباب التي جعلته يفضِّل البكر.

بما أن القدرة هي أحد جوانب شخصية البكر، كما يراه الأهل والأخوة، فما هو الحال بالنسبة إلى البكر نفسه؟ هل الوضع العائلي يدعِّم هذه الميزة؟

بادىء الأمر، كنا قد اهتممنا بردّ الفرد إلى وضعه العائلي ومرتبة ولادته ووضعه في مواجهة العادات الاجتماعية ـ العائلية، من خلال الأسئلة المطروحة: فتبيَّن أنَّ 88 ٪ من البِكريين يعون وضعهم وما يقع على كاهلهم من واجبات اجتماعية ـ عائلية.

3. القدرة المُفوَّضة والبكر

يرى البِكْرُ أنه يتمتّع بحق مكلَّف به، وحده، دون الصغار في هذا العمر، هذا التكليف مفوَّض من الأهل، إلى البكر خصوصاً، قبل بلوغه سن التكليف، هذه القدرة ستدرس بوصفها عاملاً مؤثراً في شخصية البِكْر النامية، يمكنه أن يقوّم هذا الطفل أو أن يبخِّسه قيمته، لقد جرى تناول القدرة من جوانبها الثلاثة:

(أ) تفويض اجتماعي (إرث اجتماعي).

(ب) تفويض والديّ.

(ج) تفويض أخوي.

(أ) البكْر والتفويض الاجتماعي

نقصد بالتفويض الاجتماعي الواجبات التي تقع على كاهل البكر، والمتعلِّقة بالواجبات الاجتماعية.

يمثِّل الجدول التالي خلاصة القيم الدالة، وهي نتائج التحليل التركيبي للأسئلة السابقة، الناتجة عن أجوبة البكريين، كائناً ما كان وضعهم الاجتماعي،

والحال، سيعرض هذا الجدول القيمة الأساسية بالنسبة إلى القيم المتحصّلة بوجب المتغيِّرات.

جدول 1/39

القدرة كتفويض اجتماعي	إدراك البكريين وموقفهم	
القيمة بالنسبة المئوية ٪	76	10

وعليه، فإن 76 ٪ من البكريين يلبّون المتطلبات الوالدية؛ وهذا يتمثل بواقع تمثيلهم للأهل في مناسبات اجتماعية؛ وكما أنهم يؤكدون أن من حقّهم المشاركة في بعض المناسبات التي تمنحهم شعوراً معيناً بالاعتزاز والتفوق على أخوتهم؛ فإن الأخوة يستعينون بهم في الصعاب.

ما من علاقة إنسانية تخلو من شحنة عاطفيّة معيَّنة، وفي الأفق العام، تشكِّل العلاقة الإنسانية الأساس الذي يقوم عليه مسار نمو الشخصيّة واكتشاف الذات والآخرين. فالبكر إذْ يوضع أمام هذا التقويم، يتقبل هذا الدور، معتقداً بأنَّ مسلكهُ مختومٌ بخاتم العصمة.

«هذا الدور الذي يسمح للدوافع السلطوية وحاجات الوجاهة بأن تعبّر عن نفسها، والذي جرى الاضطلاع به منذ أمد بعيد، إنما يطبع الشخصية بطابعه»(١). إن السلطة، كتفويض اجتماعي، مندرج في هذا النظام العلائقي، يعتبرها البِكْرُ بمنزلة طاقة حيوية تقودُ سلوكه، الأمر الذي يجعله يشعر بأنَّه

(١) Anne-Marie ROCHEBLAVE- SPENLE, Le pouvoir démasqué, Coll. «Je»; éd. universitaires, 1974, p. 186.

الشخص المركزي في العائلة. وهو إذْ يعيش في مجال تأثيرات اجتماعية ــ عائلية، فماذا يكون تأثير بارامتر «القدرة» من زاويتها الاجتماعية، المحلَّلة بموجب المتغيّرات المعتمدة؟

1) التفويض الاجتماعي والمتغيّر الاجتماعي ــ الاقتصادي

جدول 2/39

	إدراك البكريين وموقفهم							
تفويض اجتماعي، بموجب المتغير الاجتماعي ــ الاقتصادي	فقراء		متوسطون		ميسورون		أغنياء	
القيم بالنسبة المئوية ٪	78,9	3	83,3	4	63,3	9	83	3

لقد قارنا كلاً من المعدلات المتحصِّلة في هذا الجدول مع القيمة المتحصلة في الجدول 1/39 السابق:

بما أن 79 هو نتيجة التحليل التركيبي لأجوبة البكريين، فمن الممكن أن يكون القيمة المرجعية. وأن حساباً بسيطاً لأعمدة الجدول السابق، تعطي الانحرافات (الفوارق). هناك إنحراف واحد من بينها له دلالة: 76 − 63,6 = 12,4 ٪.

الأمر الذي يتضمّن أن فئة البكريِّين، الميسوري الأهل، هي الأكثر ابتعاداً عن المعدَّل الاستنادي. إلاَّ أنَّ المعدَّل 63,6 ٪ عينه، يبقى أعلى من المعدَّل الحسابي للقيمة، مما يعني أن المتغير الاجتماعي ــ الاقتصادي ليس عاملاً حاسماً في العقلية التي يعيشها البكر.

2) المتغيّـر الثقـافي

جدول 3/39

التفويض الاجتماعي والمتغير الثقافي	مستوى جامعي د/ 4	مستوى ثانوي د/ 3	مستوى متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
القيمة بالنسبة المئوية ٪	78,5 3 14,2	75 4	6 83,3	66,6 7 13,3

عليه: فإنَّ فئة البكريّين، ذوي الأهل الأقل تعلماً، هم الأقل تأثراً. مع ذلك، يبدو أن المستوى الثقافي للأهل ليس عاملاً مخفِّفاً من العقلية التي تقوم على تفويض قدرة اجتماعية للبكر.

3) المتغيّر الجغرافي ــ مسقط الرأس

جدول 4/39

القيم الدالّة

التفويض الاجتماعي ومسقط الرأس	إدراك البكريين وموقفهم				
	جنوب لبنان	شمال لبنان	ساحل جبل لبنان	الجبل	البقاع
القيم بالنسبة المئوية ٪	6 75	5 56,2 18,7	6 80,7	2 86,9	4 72,7

عليه: فإن هذا الجدول يبيّن أن البكريين، الذين يتحدَّر أهلهم من لبنان الشمالي، هم الأقل تأثراً، أو هكذا يبدو الأمر على الأقل، لأن 18,7 ٪ من البكريين يشعرون، مثل الـ 56,2 ٪ من الخانة نفسها، أن من واجبهم أن تكون لهم قدرة اجتماعية، ولكن مع التشديد على أن الأب هو «المسؤول الأول». مما يتضمن أن عقلية الآباء غير بعيدة عن العقلية العامّة، فهم يمنحون الأبناء البكريين قدرة اجتماعية، شرط أن يظلوا الأوائل قبل أبنائهم.

مكان الإقامة

جدول 5/39 (م. ن.)

التفويض الاجتماعي ومكان الإقامة	إدراك البكريين وموقفهم	
	مدنيون	ريفيون
القيم بالنسبة المئوية ٪	77 8 10	73 9

وعليه: فإنَّ المستوى الجغرافي (مدني ــ ريفي) يقدِّم صورة أوضح عن العادات اللبنانية. وسواء أكان الأهل مدنيِّين أم ريفيِّين، يتبيَّن أنَّ الإبن البِكْر يكبر مع العقلية القائلة: للإبن البِكْر تفوَّض (تورَّث) قدرة اجتماعية ذات تأثير إيجابي.

(ب) البكر والتفويض الوالدي

نعني بالتفويض الوالدي (التوريث الأبوي) الواجبات المفروضة على البكر كبكر، وهي واجبات يقوم بها عادةً أربابُ العائلات.

الجدول التالي يمثِّل القيم الدَّالَّة، كما جرت الإشارة إلى ذلك بالتفويض الاجتماعي، كائناً ما كان الشرط الاجتماعي ــ العائلي. لقد أعطى

التحليل التركيبي للأسئلة[1] النتيجة التالية:

جدول 40

(م 2 ـ ش ب؛ القيم الدالّة)

	تفويض والدي	إدراك البكر وموقفه	
القيمة بالنسبة المئوية ٪		79	12

الواقع أنَّ 79 ٪ من البكريين، كائناً ما كان وضعهم العائلي، يرون أن من واجبهم القيام بحماية أخوتهم، وأن من حقهم أن تكون لهم سلطة معينة على الأخوة، بوصفهم هم «رجال البيت»، «المسؤولون بعد الأب»، مما يمنحهم شعوراً يمكن وصفه بـ «الأبوية».

إن دراسة پارامتر (القدرة)، بوصفها تفريضاً والديّاً، يمكنها أن تكون دراسة وجهٍ من القدرة على الفعل، من حيث هو رابطة تفاعل وعامل تأثير بين البكر ومحيطه، ذاك أن «الحياة العاطفية يمكنها أن تضطلع بدور مصدر طاقة قد

(١) أنظر الملحق II:
س 2: «الوالد يوجه لابنه البكر بعض التوصيات منها:
(أ) أنت رجل البيت، إتكالي عليك.
(ب) أنت كبير البيت، عليك إتكالي.
(ج) أنت المسؤول من بعدي».
س 4: «يقال إن الإبن البِكْر هو بمثابة أب لأخوته، هل هذا صحيح»؟
س 7: «ما هي واجباتك نحو أخوتك»؟
(أ) «هل من واجبات الإبن البِكْر حماية أخوته»؟

يتوقّف عليها مسارُ الفرد»[١]، كما أن كل «سلوك هو تكيّف وكل تكيُّف هو عودٌ إلى التوازن»[٢].

مع أخذ نظرات الأهل إلى البكر، وتحت وطأة الارتقابات، هناك 79 ٪ (جدول 40) من البكريين أجابوا بإجابات تسمح باستخلاص السمات الخاصة بشخصيَّة البكر، الآخذة في التطور. كما أنَّ 21 ٪ من البكريين (هذه النسبة هي مجموع أرقام كل البكريين ممن يرفضون هذا التفويض، لسبب ما) يرون في هذا التفويض إكراهاً، لكنهم يرفضونه. عندئذٍ، يعيش البكرُ الحياة العاطفية كأمر قاطع، محدَّد، وكمصدر بناء للعمليّات العاطفية والمعرفية على حدٍ سواء. الواقع أنها «تتدخل في عمليات الذكاء، وهي تحفِّزه أو تحبطه»[٣]، بحسب ما يكون للعوامل العاطفية المتدخلة، أهمية داخلية، تطورية، قلبية لتحيين الصورة الذاتية المنشودة، أو بحسب ما تكون مصدراً لجمود عاطفي، ناجم عن معارضة شديدة، قد تكون جوّانية أو برّانية بالنسبة إلى الفرد.

هكذا، يعيش 79 ٪ من البكريين «القدرة» بوصفها تفويضاً والدياً، هذا يمدّهم بشعور تقويم ذاتي، فيما يعيش 21 ٪ شعوراً بالتبخيس، مردُّه إلى العجز عن تحقيق «الصورة المثالية»، المسقطة عليهم، والتي يفرضها الأهل.

هل تؤثِّر المتغيّرات المعتمدة في إدراك البكر وموقفه من هذا البارامتر؟

1) التفويض الوالدي والمتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

الجدول التالي يمثِّل القيم الدالة للبارامتر «قدرة» بوصفه تفويضاً والدياً، نتناوله بموجب البارامتر الاجتماعي ـ الاقتصادي.

(١) Jean PIAGET, **Les relations entre l'affectivité et l'intelligence dans le développement mental de l'enfant**, C.D.U., 1954, p. 5.

(٢) م. ن.، ص 3.

(٣) Jean PIAGET, **Les relations entre l'affectivité et l'intelligence**, op. cit, p. 1.

جدول 2/40

التفويض الوالدي والمتغير الاجتماعي ـ الاقتصادي	موقف البكر			
	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
القيم بالنسبة المئوية	5	5	5	7
	78,94	80	81,8	72,2

بمقارنة المعدلات المتحصلة في هذا الجدول مع المعدل الأساسي الوارد في الجدول (40)، نلاحظ أن الفارق بين المعدلين طفيف، مما يحملنا إلى القول إن المتغير الاجتماعي ــ الثقافي لا يؤثر في موقف البكر.

2) المتغيّر الثقافي

جدول 3/40

تفويض والديّ	موقف البكر			
	جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
القيم بالنسبة المئوية	4	6	6	4
	78,5	58,3	88,3	80
		10		10

عليه: فإنَّ معدل 58,3 يمكنه أن يكون دالّاً، إذا لم تُضَف نسبة العشرة بالمئة من الخانة عينها، بسبب التوضيح الذي يقدِّمه البكرّون في سياق الاستطلاع، والذي يعبّر عن إرادة الحماية للصغار، بشرط احترام دور الأب.

مما يحملنا على الاعتقاد بأن المستوى الثقافي للأهل لا يبدو مؤثراً في البكريين. إلاّ أن البكريين الذين بلغ أهلهم درجة الثقافة الجامعية، أعطوا معدلاً من الأجوبة أرفع من ذوي المستوى الثقافي الأدنى.

3) المتغيّر الجغرافي

(أ) مسقط الرأس

جدول 4/40

القيم الدالّة

التفويض الوالديّ ومسقط الرأس	جنوب لبنان	شمال لبنان	ساحل الجبل	الجبل	البقاع
القيم بالنسبة المئوية	3	5	4	5	
	83,3	75			54,5
	12,5	12,5	88,4	78,2	18

الواقع أنَّ 54,5 ٪ من البكريين، مسقط رأسهم البقاع، يرون أن من واجبهم أن يكونوا «ركن البيت» وحماة الأخوة. وأن 18 ٪ يشدِّدون على أنَّ البكر لا يجوز له أن يقوم مقام الأب. ولكن يمكن تفسير ذلك: يبدو أن صبيان البقاع يتمتعون بصلابة قوية في سلوكهم؛ مما يحول دون الحاجة إلى الاستعانة بالبكر من قبل الصغار.

(ب) مكـان الأقامـة

جدول 5/40

القيم الدالّة

التفويض الوالدي	مدنيّون	ريفيّون
القيم بالنسبة المئوية	8	7
	79,6	78

لا يبدو أن متغيّر «الإقامة» مؤثّر في الحياة العاطفية ـ العلاقية للأبناء البكريين، ولا في ما يعود إليهم من إمتيازات، لا سيما «القدرة الأبوية»، فهناك بكريّون مقيمون في المدن أو الأرياف، يعون على حدٍ سواءٍ مرتبة ولادتهم ومضامينها، فهم واعون بأنهم مناطون بـ«قدرة اجتماعية ووالدية»، وتالياً يجدون أنفسهم متأثرين بهذه السيرورة النفسية، مما يحملهم على أن يسلكوا سلوكاً يُسهم منذ صغرهم حتى الثامنة عشرة من عمرهم على الأقل، في بناءِ شخصيَّتهم. فهم إذْ يتعرَّضون لهذه القوّة التحفيزيّة، إنما ينزعون إلى تنظيم مسلك متكيّف مع الوضع الذي تفرضه ضرورة البيئة، وباستمرار يجدون أنفسهم في مجابهة مع الواجبات الاجتماعية ـ العائلية، والخوف من خلع الصغار لهم عن عروشهم، الأمر الذي يدفعهم إلى سلوكٍ تمثّلي، استيعابـي، وتوازني، خاص بهم، كما سنرى لاحقاً.

إن درس القدرة، من وجهها «الأخوي» من شأنه أن يقدِّم لنا مزيداً من العناصر العينية حول مسلك البكريين بمواجهة الصغار؛ كما يفسح لنا في المجال لإجراء دراسة موضوعية قَدْرَ المستطاع.

(ج) البكر والتفويض الأخوي

نقصد بالقدرة، باعتبارها تفويضاً أخوياً، موقفَ البكر إزاء السلوك الناجم عن منافسة الصغار للبكر، والمنطوي هكذا على علاقة صراعية حيث يتجلى خوف البكر من تجاوزه، مما يستدعي النظر في تفاصيل الأسئلة المطروحة، ودراسة تحليلها الخطي والمركَّب.

جدول 41

تحليل خطي: القيم بالنسبة المئوية

التكرار	الأسئلة[1]			
	3	5 ب	0	19
نعم	35	93	19	80
كلا	63	7	81	20
لا جواب	2	0	0	0

الواقع أنَّ 80 ٪ من البكريين يحسون بتحمل واجبات خاصة، وأن 60 ٪ لا يجدون التوصيات مستحيلة، فيما يقول 93 ٪ أن الصغار يلجأون إليهم في الصعاب، ولا يحس 81 ٪ أن الصغار يتجاوزونهم، ويضيف البعض في الاستطلاع: «لا أسمح لهم بأن يسبقوني».

(١) أنظر الملحق I، الأسئلة:

3 . «هل هذه التوصيات صعبة عليك»؟

5 ب . «هل أخوته وأخواته يلجأون إليه في وقت الصعاب»؟

9 . «هل أحد أخوتك يحاول أن ينتزع منك الأولوية»؟

19 . «هل هناك معاملة خاصة للإبن البِكْر»؟

يبيِّن التحليل المركب لهذه الأسئلة أن للبكريين آراء في غاية التنوُّع. الجدول التالي يمثل قيم هذا التحليل الدالَّة:

جدول 42

القدرة: التفويض الأخوي	موقف البكر وإدراكه	
القيم بالنسبة المئوية	38	12
	22	
	9	

الواقع أن 38 ٪ من البكريين يرون أنَّ الشروط الأبوية ليست صعبة التحقيق، مع أن بعض الواجبات تقع على الأهل، كما أنهم يرون أن الصغار لا يسعون إلى منافستهم، بل على العكس، يلجأون إليهم في الصعاب.

هناك 62 ٪ من البكريين الباقين (هذه القيمة هي حصيلة حساب الفوارق بين معدَّل 100 − 38 = 62)، لهم آراء مشتركة حسب ما يرفضون أو يتقبلون هذا السبب أو ذاك، ناهيك بأنَّ الفئات الـ 12 (عدد الفئات التي تعطي أجوبة متماثلة عن الأسئلة المطروحة؛ هذا العدد موضوع في خانة الجدول أعلاه) تؤكد تباين الآراء، سنذكر بعضها:

- يرى 22 ٪ من البكريين أنَّ الشروط الأبوية صعبة التحقيق، وأن ثوانيهم غير بعيدين عن تجاوزهم.
- يرى 9 ٪ أن التوصيات الوالدية صعبة التحقيق، ويرون في الوقت عينه أن الصغار يرغبون في تخطيهم، على الرغم من لجوئهم إليهم. وأخيراً، يرون أن على البكريين واجبات خاصة.

أما بقية البكريين المُخْتَبَرين فهي ماثلة من خلال مختلف الفئات التي تعبَّر عن موقفها بطريقة أو بأخرى، يدلُّ الكل على وضع البكر الصعب في مواجهة مضامين العلاقة الأخوية.

هكذا نرى أن هذا الجانب من القدرة المفوَّضة يؤشّر على الحياة العاطفية ــ المعرفية ــ العلائقية للبكر.

إن مجمل الآراء والمواقف المبنية في الاستمارة والمقدَّرة بالتحليل المركَّب، يسمح باكتناه المزايا الخاصة بالبكر، عبر شبكة التفاعل مع الأخوة، والتأثر بهم في آن، وربما يكون هذا أحد العناصر التي تجعل الإبن البِكْر شخصيَّة طفل مميَّز.

إنسجاماً مع تعريف مصطلح «قدرة» نرى أن واقعة «القدرة على شيءٍ ما، إمتلاك قوَّةٍ ما، واستطاعة فعلٍ ما»[1] ترتبط بسرعة إمَّا بقوَّة وإما بضعف. وفي الحالين، ينشأ صراع من الفعل، ذاك أن حياة البكر العاطفية تجعله يعي وضعه تجاه الصغار.

بما أنَّ الحياة العاطفية هي الأصل في تنظيم السلوك، كما يتراءى لنا، فإنها تعطي للفعل ولردالفعل لدى البِكْر، وسط المتطلبات العائلية، تنسيق قدراته، والمساعدة على بلوغ فرادة معينة، كما أن الحياة العاطفية هذه تعطيه طاقةً تدفعه إلى التطور بموجب الهدف والوسائل، أن القدرة والهيمنة، الممارستين منذ طفولة البكر الأولى، تستقرَّان فيه على حساب عبودية الصغار. فهذه القدرة، بوصفها تفويضاً أخوياً، تمنح للبكر معنى الصراع، وتولّد عنده إمكان العدوان والعنف.

على البكر عادةً أن يخضع بدوره لعلاقات رحيمة، وتالياً لصراعات

---

(١) A. LALANDE, Voc. tech, et crit, de la philosophie, op. cit, p. 803.

داخلية، حتى يحافظ على إمتيازاته ومضامينها المعتبرة مستحيلة أحياناً، ومقبولة أحياناً. إن هذا «التموضع يتحيَّن، بشكل طبيعي، بالتنوّع التعاقبي لما يعاني من أحاسيس»[1]، الناجم عن الصراعات الدفاعية. زدْ على ذلك أن البكر يواصل استبطان وتحيين الإرتقابات الوالدية، المُسْقَطة عليه باستمرار، من خلال الصورة المثالية.

يمكن أن تتميز شخصيَّة البكر بحسب «تماسك وديمومة التوازن القائم بدوره على كثافة الصورة ــ المثالية التي يقدِّمها الأهل»[2]، فيجد الأنا نفسه في مواجهة «تذبذب بين مستلزمات التكيّف مع العالم المحيط، مع متطلِّباته الخاصة به ومتطلبات الأنا الأعلى»[3]. مما يولِّد لدى الطفل وضعاً مزدوجاً وعدوانياً، «يُعَدُّ بمثابة جوابٍ من الأنا على عذابٍ نرجسي»[4]. تجريباً، جرى التعبير عن هذا الوضع بالجانب «الأخوي» للسلطة المفوَّضة، حين حصلنا على الفئات الـ 12 من أجوبة متماثلة، لم يتجاوز أعلاها 38 ٪ (م. ن).

إن هذه المجموعة لتقلبات الأجوبة، تنطوي على حياة صراعية بين النزوات القديمة والنماذج السلوكية المفروضة؛ كما أنها تثير حالة توتُّر، يختلف مستواها باختلاف قبول الشخص أو رفضه لأخذ مستلزمات الوضع بعين الاعتبار. وهذا يقود البكْر إلى صَرْف طاقة كبيرة، ثم قمنا بمقارنة القدرة، كتفويض أخوي، بالمتغيرات المعتمدة:

(١) Jacques DURAND-DASSIER, **Structures et psychologie de la relation**, Epi, 1969, p. 13.

(٢) م ن. ، ص 139.

(٣) م ن. ، ص 172.

(٤) G. MENDEL, **La révolte contre le père**, op.cit. , p. 42.

1) المتغير الإجتماعي ــ الاقتصادي

الجدول التالي يمثل القيم الدالَّة، المتحصَّلة من أجوبة مختلف الفئات من البكريين المنتمين إلى شتى المستويات الاجتماعية ــ الاقتصادية:

جدول 2/42

التفويض الأخوي والمتغير	موقف البكر وإدراكه			
الاجتماعي ــ الاقتصادي	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
القيم بالنسبة المئوية	5	8	12	7
	47	40	24	50
	21	30	21	11
	21		15	11

إن مقارنة المعدلات أعلاه، مع المعدّل الرئيس في الجدول 42 (الجدول الأساس) أعطتنا ما يلي من الملاحظات والاستنتاجات:

أولها: يدور حول معدل 50 ٪ من بكر الأهالي الأغنياء، مقابل 30 ٪ في الجدول الأساس، ممن أعطوا أجوبة متماثلة عن وضع واحد، مما يجعلنا نفكِّر أن «للأغنياء» مشاكل أقل من حيث القدرة المفوَّضة.

ثانيها: أن تشتتاً كبيراً في الأجوبة، ناجمٌ عن فئة البكريين، الميسوري الأهل؛ وأن الفئة الأقل تشتتاً هي فئة الأهالي الفقراء، مما يدعو إلى الإعتقاد أن بكريـي العائلات الفقيرة، لهم مشاكل واضحة مع الأخوة، وأن مشكلة الأطفال الميسورين يمكنها أن تدور أكثر حول كيفيات التنافس. والأمر الأكيد هو أنَّ البكريين، كائناً ما كان مستوى أهلهم الاجتماعي ــ الاقتصادي، يحسّون بتهديد

للسلطة المناطة بهم، وأن القدرة (السلطة) قد تكون في نظرهم عنصر تباين بين الأخوة.

2) المتغيّر الثقافي

يمثّل الجدول التالي قيم الأجوبة الدالّة، بحسب المستوى الثقافي.

جدول 3/42

التفويض الأخوي	موقف البكر							
والمستوى الثقافي	جامعي د/ 4		ثانوي د/ 3		متوسط د/ 2		قراءة وكتابة د/ 1	
القيم بالنسبة المئوية	35,5	6	50	9	36	10	43,3	8
	28,7		20		30,55		16,6	
	14,28		10				10	
			10					

إنَّ الدراسة القارنة لهذه المعدلات، مع قيمة الجدول الأساس (وهي 38 ٪)، تدلُّ على معدل واحد، لانحرافه دلالة: هو أن الخمسين بالمئة من البكريين الذين تتطابق درجة تعلّم أهلهم مع المستوى الثانوي، يبدو أنهم يحسّون براحة أكثر من الآخرين، المنتمين إلى مختلف الفئات الثقافية، ولكن هذا قد يكون صحيحاً، لو أنَّ البكريين الذين يتمتَّع أهلهم بمستوى تعليم جامعي، قدَّموا معدلاً أرفع، على كل حال، يبقى أن معدل 50 ٪ ليس بذاته قيمة مفرطة، لأنَّه لا يساوي سوى المعدَّل لأية قيمة.

3) المتغيّـر الجغـرافي

ــ مسقـط الـرأس

جدول 4/42

التفويض الأخوي ومسقط الرأس	إدراك البكريين وموقفهم: لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
	8	6	9	6	9
القيم بالنسبة المئـويـة ٪	33,33	37,5	42,9	21,7	18,18
	25	25	20,9	8,69	18,18
	12,5	12,5		8,69	9
		12,5			

وعـلـيه، فإنَّ متغير (مسقط الرأس) يبيِّن أنَّ للبكريين المتحدِّرين من البقاع مشاكـل أكـثر مع الأخـوة، فهؤلاء البكريون يحسون بحدَّة المنافسة، على نحو واضح، أرفع من الصعاب التي يواجهها البكريُّون من المناطق الأخرى، خصوصاً، من ساحل جبل لبنان. ويمكن ردّ السبب إلى المناخ الجاف والبارد. وتبدو حياة الطفل العاطفية أقل حساسية، فتدفعه إلى العمل، دون أن يحسب حساباً لحقوق الآخر. سنترك معالجة هذه المسألة لعلماء الاجتماع.

ــ الإقـامـة.

جدول 5/42

التفويض الأخوي والإقامة	موقف البكريين وإدراكهم			
	مدنيون		ريفيون	
القيم بالنسبة المئوية	43	10	32,6	9
	23,5		20,4	

الواقع أنَّ مقارنة المعدلات المتحصلة أعلاه، مع معدّل الجدول الأساس (= 38 ٪)، لا تقدم فارقاً دالاً.

إن درس هذا البارامتر، بحسب المتغيّرات، يضعنا أمام واقعة ملحوظة:

كائناً ما يكون الوضع الثقافي، الجغرافي أو الاجتماعي ـ الإقتصادي للأهل، فإن البكريين يتصارعون مع الصغار، هذا الصراع هو حصيلة مرتبة ولادتهم ومضامينها.

آخذين في الاعتبار درس بارامتر «القدرة»، بمختلف جوانبه وبحسب المتغيرات المعتمدة، نجدنا أمام درس تأثير رتبة الولادة، بخصوص القدرة المفوَّضة، وتوضيح انعكاسات الإمتيازات المعنيَّة على الشخصية المتطورة للإبن البِكْر، وعندها يمكن رسم أحد معالم الصورة النفسية ـ الإجتماعية للإبن البِكْر.

عندما «تكون مستلزمات الوضع مرتفعة بإزاء إمكانات الإستجابة المتكيِّفة، يعبِّىء الشخص موارده إلى أقصى حد لقهر الصعوبة»(1)، وعندما

(1) R. PIERRON, Niveaux de tension et contrôle de l'activité, C.N.R.S., Paris VII, 1969, p. 22.

«يكون الفشل أكيداً ويرفض الشخص القيام بنشاط بلا أمل»[١]، إنما يكون الفرد مصدوداً، مكفوفاً أمام قدرة لا يمكنه تحملها، على الرغم من كونها من حقِّه؛ ويمكن لحالة قلق وعجز أن تولِّد لديه التهرُّب من الواقع، كذلك يمكنه تحملها، على الرغم من كونها من حقِّه؛ ويمكن لحالة قلق وعجز أن تولِّد لديه التهرّب من الواقع، كذلك يمكنه أن يستعمل العنف ضَد الذي يخلعه، إن لم ينتقم من الأضعف، معتمداً هكذا «الفشل كوسيلة دفاعية»[٢].

هناك عدة شواهد عفوية، جمعناها في خلال استطلاعنا، تقدِّم أمثلة على مختلف بوارق العنف. سنذكر منها حالة بِكْرٍ في الثالثة عشرة من عمره، أخذناه من الـ 9 ٪ من البكريين الذين أجابوا سلباً عن السؤال 21 ← 22: يقول «أخي محتال جداً، يتظاهر بأنه خدوم ومطيع، ليكسب تقدير أهلي؛ وأبي بنحوٍ خاص لا يطلب منه إلاّ ما يسهل القيام به، فيما يطلب مني المستحيل»، والشخص نفسه يجيب عن السؤال 25: «كلا، لا أتّهمهم، ولكنّني أفكِّر بقتلهم جميعاً»، مشدِّداً على فعل قتل، مما يجعلنا نشعر، هكذا، بتكرار حالة «قابيل وهابيل» التوراتية. ومن شأن حالة كهذه أن تدلَّ، لدى البكر، على مشاعر منطوية على الحقد والعنف الانتقالي.

خـلاصـة

صفوة القول إنَّ الاعتماد على الإبن البِكْر، وطلب بعض الواجبات منه، الاجتماعية والعائلية على حدٍّ سواء، يمكنهما أن يكونا أكثر من عناصر مكوّنة للامتيازات فهي نواةُ شخصيته، لأنها تمسّ حياته العاطفية، محور العلاقات الاجتماعية، هذه النواة تتغذى دوماً من تأثير الأهل، في المقام الأول، ويعيشها الفرد في مناخ تنافسي. الأمر الذي يجيز لنا القول: إن شخصية البكر وقفٌ على

---

(١) م ن. ، ص 29.

(٢) م ن. ، ص 37.

المتطلبات الأبوية، وعلى المناخ التنافسي مع الأخوة، وعلى كثافة جهوزية الفرد، وكذلك على الطابع الحيوي نسبيّاً لتكيف الفرد السليم، فبالنسبة إلى الإبن البِكْر، تكمنُ جذور الصِراع الدفاعي في العلاقات السلطوية؛ وعلاقة السلطة (القدرة) تؤثّر في السلوك.

على البِكْرِ، للحفاظ على حق بكريّته ومضامينها ولفرض طاعته، أن يخضع هو نفسه لعلاقات رحيمة، وتالياً لصراعات داخلية، وربما يمكن تفسير بنية شخصيّته بـ «استبطان العلاقات الشخصية المتبادلة، السابقة، وبإظهار العلاقات الشخصية اللاحقة»[1].

إن البكر، المنشطر بين المحبة والطاعة، يجد نفسه مضطرّاً للحدّ من متطلّباته وتالياً من متطلّبات الأهل، فهو تتنازعه الرغبتان المتناقضتان، وعندها تكون شخصيّة البِكْر مطبوعةً بطابع إثبات الذات، بوصفها مالكةَ قدرة، وتالياً بحبّ التقويم الذاتي والوجاهة، كما أنّه قد يجد نفسه مضطراً لفرض نفسه بالقوّة. وقد تكون شخصيته منطبعةً بالخصومة والعنف، من هنا سمة سلوك البكر التي يمكنها أن تكون الإزدواجية والتأرجح بين تحقيق الذات والامتثال للصورة ــ المثالية المطلوبة، الذي يطبعه بطابع دفاعي □

• • •

(١) Daniel LAGACHE, Pouvoir et Personne, N.R. , Psychanalytique, 1973, p. 76.

الفصل التاسع
السلطة

تمهيد

تعريفاً تحمل السلطة معنى «تصديق الذات والاحترام والطاعة»[١]؛ فهي تنطوي على قوة «فرض الذات على الحكم والإرادة والشعور لدى الآخر»[٢]؛ مما يدعو إلى لحظ علاقة تأثيرية بين مالكها ومُعانيها.

إنَّ اندراج الإبن البكر في هذا الجوّ الخاص، حيث تُعزى السلطة إليه، إنما يحكم سلوكه، ويعطيه شخصيّة خصوصيّة. وإن حياته العاطفية ــ العلائقيّة، المدعَّمة بالواجبات الوالدية والمحظيّة بممارسة هذه السلطة، «يمكن تصوّرها كأنّها قوّةٌ تعرض ذاتها بالإكراه أو المهارة»[٣]، وأنها يمكن أن يعيشها البكر كقدرة شخصيَّة فاعلة فيه وفي غيره، مما يمكن أن يضعه أمام وضعين: أولهما يمكنه تشجيع التقويم الذاتي، وثانيهما قد يضعه في موضع عجز وتبخيس للذات.

على قدْر ما ينجح البكْرُ في ممارسة سلطةٍ حازمةٍ وموزونة، يمكن لهذه

(١) A. LALANDE, Voc. tech. et crit, de la philosophie, op. cit., p. 103

(٢) م. ن.، ص 103.

(٣) Leopold MONOD, le problème de l'autorité, P. U. F., Paris 1960, pp. 53 — 55.

الأخيرة أن تساعده على امتلاك تفوّق شخصيّ، بموجبه يفرضُ نفسه وطاعته واحترامه؛ ويسود جوٌّ من الثقة المتبادلة بينه وبين الأخوة، وينشأ سلوكٌ تبعيّ.

وفي الحالة التي يُرغم فيها البكرُ على ممارسة سلطة دون أن يكون قادراً على تحمّل مسؤوليتها، فإنّه يعيشُها كحقّ، يؤدي حرمانه منه إلى شعوره بالقلق والخطر، فيضع البكرَ في وضع عزلة وحذر وقلق. وفي الوضعين، تفرض مكانةُ البكر توتّراً عليه بلا انقطاع، وهو أساس صيرورة شخصيته.

إن نتيجة تحليل الأسئلة المناسبة لدرس هذا البارامتر، وكذلك المقابلة بينها بموجب المتغيّرات الواردة آنفاً، إنما تسمح لنا بدراسة تأثير هذا البارامتر في شخصية البكر المتطورة، سنعرض في النص خلاصة الجداول(١) التي تتناول موضوعة «السلطة».

هناك ثلاثة مستويات تحليلية، أُجريت على أساس نتائج الاستطلاع، تفرض نفسها علينا في درس هذه الموضوعة:

1. السلطة المنسوبة إلى البكر والموقف الوالدي.
2. السلطة المنسوبة إلى البكر وموقف الأخوة.
3. السلطة والإبن البكر.

1. السلطة المنسوبة إلى البكر والموقف الوالديّ

وفي نظر الأهل، إن إناطة سلطة بالبكْر، تعني الانتظار منه ومطالبته بكفاءة الحصول بلا إكراه على طاعة الأخوة المتضامنين معه، فهذا يستلزم احتراماً يقدّمه الصغار بحرية. وهذه السلطة يمكنها أن تكون مقبولة على قدْر ما

(١) إن جداول التحليل الخطي والتركيبي، وكذلك جداول التحليل التركيبي لبارامتر بحسب المتغيّرات، وضعت في الملاحق، لتخفيف النص، وتسهيل الاستعمال، والجداول التي تتناول بارامتر «السلطة» تحيل إلى الملحق.

يملك البكُر من كفاءةٍ كلما كان عليه أن يمارسها. فإلى أي حد يستطيع البكرُ تحقيق الأماني الوالديّة؟ وما هي إنعكاساتها على شخصيّته؟

(أ) السلطة وموقف الآباء

يمثّل الجدول التالي خلاصة القيم الدالّة، وهي نتائج تحليل الأسئلة التي ترصد بارامتر «السلطة» المفوَّضة وموقف الآباء (القيم ٪):

جدول 44

السلطة	موقف الآباء	
التي يتولاها البكر	87	2
	13	
مصدر إعتزاز[١]	69	13

الواقع أنَّ 87 ٪ من الآباء يرون أن البكر يحقّق أمانيهم ويتصرَّف كأنه «كبير»، «الثاني بعد الأب»، وهذا ما أكّدته مختلف العوامل المعبَّر عنها بموضوعات تنتمي إلى بارامتر «السلطة»: «هل يقوم مقام الأب خلال غيابه؟»[٢]. وأن 94 ٪[٣] من الآباء، مثلاً، يرون أن سلطة البكر هي امتداد لسلطة الأب ناهيك بأن الجدول السابق يسمح بالتحليل التالي:

هناك 87 ٪ من البكريين يتولوّنها، مقابل 13 ٪ يبدو أنهم مسبوقون. فوق

(١) م. ن.، م ــ 3 / ش و. نلفت إلى أن الأرقام الموضوعة في الخانات □ تمثّل عدد توزع الأسئلة المتماثلة.

(٢) انظر الملحق I، س 8 / ج.

(٣) انظر الملحق II، م 3 س 8 / ج.

ذلك هناك 69 ٪ من الآباء ــ كما يدل على ذلك الجدول أعلاه، مقابل 31 ٪[١] ــ يعربون عن رضاهم عن ممارسة أبنائهم البكريين للسلطة.

كذلك، هناك معدّلان للمقارنة:

يرى 99 ٪ من الآباء أن علي الإبن البكر أن يمارس السلطة كحقٍ من حقوقه.

ويرى 69 ٪ أن البكر يمارسها؛ الأمر الذي يرضيهم.

في المقابل بقية الآباء 31 ٪ يرون أنَّ من الصعب على البكر ممارسة هذه السلطة. فهل هذا يعني أن الآباء يشعرون بالخطر على سلطتهم الشخصية؟ وما هو حال شخصية البكر الذي يتصرَّف مع السلطة باعتبارها امتيازاً؟

إن البكر الذي يتمسك بالامتيازات، ومنها السلطة، سينتهي إلى العيش على فكرة أنّه مرموق اجتماعياً، وأنَّه مقوَّم حين يتصرَّف «كبيراً» و «سلطوياً». وسلوكه «يمكنه أن يكون الطريقة الفاعلة التي تحقق الشخصية إندراجها المحتمل في العالم»[٢]. هكذا، سينكبُّ البكر على التماهي بالصورة التي كوَّنها الأبُ عنه، وقدرته على ممارسة هذه السلطة تكون مرتبطة، إلى حد كبير، بالإرادة الأبوية.

(ب) السلطة وموقف الأمهات.

ترى الأم أنَّ امتلاكها «صبياً» يعني أنها تمتلك هي نفسها «مالك سلطة»

---

(١) هذه القيمة هي جمع الفئات التي يُظهر فيها الآباء عدم رضاهم عن سلوك البكر بموجب السلطة التي ينسبونها إليه، انظر الملحق III، ص...؛ م 3 ــ ش و/ 2 ... 13.

(٢) D. LAGACHE, **Agressivité, Structure la presonnalité**, œuvre Tv, op. cit. p. 219

بعد زوجها؛ وهذا يعني بالنسبة إلى الأم أنها صارت مستقلة اجتماعياً عن العائلة الكبيرة»[١]. بكلام آخر. إن تفويض القدرة للبكر يعني إراحة الأم، فيما عزو السلطة إليه، يعني وضع سلطتها على المحك.

نظراً لعمر البكريين وشرطهم الاجتماعي كجماعة طلابية، يصعب علينا تقديم وقائع تكون فيها سلطة البكر، الممارسة، قادرة على إعاقة سلطة الأم، إلاّ أن بعض المواقف المرصودة من خلال تحليل الاستمارة المناسبة للأمهات، تسمح بذلك. الجدول التالي يمثّل القيم الدالة لأجوبة الأمهات (القيم بالنسبة المئوية):

جدول 44/2

السلطة	موقف الأمهات	
يتولاها البكر	90	2
	10	
مصدر اعتزاز	67	16

وعليه فإن السؤال[٢] الذي يبدو لنا جامعاً وشاملاً مجمل إدراكات الأم ومواقفها، يعطي معدّلاً دالاً: 90٪ من الأمهات ترى أن البكر يحظى بصفاتٍ جديرة برتبة ولادته، وترى الأمهات أن للإبن البكر إمتيازات تعبّر عنها البارامترات، الجاري تحليلها. ومن المفيد تعدادها على الرغم من التكرار

(١) نشير بذلك إلى أهل الزوج وأهل المرأة.

(٢) انظر الملحق I، س 10: «ابنك، هل حقق امنياتك؟».

لبعضها، المفصَّل تالياً:

س 8 [١]: (ج) يقوم مقام الأب.

(د) يتحمّل المسؤولية في غياب الأب.

(هـ) يطلب من الصغار احترامه.

(و) يحترمه الأهل.

س 9 [٢]: ـ موضع إعتزاز الأهل.

مما يسمح لنا بالاستنتاج أنَّ الأمهات يؤيدن ممارسة البكر للسلطة، وأنهن يسهمن في اكتسابه لها. موقف الأمهات هذا تؤكّده نتائج تحليل الموضوعات المذكورة آنفاً: القيم ٪:

جدول 45

سؤال	8 ج	8 د	8 هـ	8 ب
موقف مؤات	95	96	95	86
غير مؤات	5	4	5	14

الواقع أن الموضوعات الفرعية الثلاث الأولى في الجدول، تدل على الممارسات التي تشترطها الأمهات لكي تتعزز سلطة البكر. فيما يتراجع المعدل الأخير بالمقارنة مع المعدلات السابقة. كما نلاحظ أن 67 ٪ من الأمهات (راجع الجدول 44)، مقابل 33 ٪، يرون أن البكريين لا يتحملون هذه المسؤولية، مع التفصيل التالي هو أن 84 ٪ من الأمهات فقط[٣] يلتزمن بالقول إن ابنهم البكر

(١) انظر الملحق I، س 8.

(٢) م. ن، س 9.

(٣) انظر الملحق II، م 4 ـ س 9.

موضع إعتزازهن، على الرغم من أنه كان في صغره موضع اعتزاز الأم، وكان متوقعاً ذلك من قبل 92 ٪ من الأمهات(١).

إن موقف الأم تجاه السلطة المنسوبة إلى البكر، يتأرجح بين قطبين: فهي مؤيدة إن كان نفوذ البكر يشمل الأخوة، دون أن يعيق سلطة الأم، ولكن إذا تمكنت هذه السلطة من مطاولة سلطة الأم، فإن قيمة موقفها تتبدَّل. فالصورة التي يكوّنها البكر عن الأم، ستكون منشطرة، بحسب تعارضها أو انسياقها في علاقة إيجابية تارة، سلبية تارة، ولكنها مزدوجة أساساً. هكذا «يتشكل في الحياة الفردية المعاشة، مجمل المحفّزات اللاواعية والسلوكات»(٢).

بعد التماهي بصورة الأم التي تتحرك حركةً جدلية، ثنائية، في مواجهة موقفها من السلطة المفوَّضة للبكر، سيحدث انعكاس وسيطبع شخصيته المتطورة: «إن الخيبات والإحباطات لا يمكن فصلها عن علاقة الأم بالطفل»(٣).

وإن الحياة العاطفية ــ العلائقيّة للبكر ستكون مطبوعة بـ «الآثار التي سيجري لحظها في كل العلاقات الشيئية اللاحقة» (م. ن.، ص 196).

---

(١) م. ن.، س 2 أ: التمني بأن يكون الطفل الأول صبياً.

(٢) Victor SMIRNOF, **la Psychanalyse de l'enfant,** P.U.F. 1968, p. 197.

راجع فؤاد شاهين، تر: التحليل النفسي للولد، مجد، بيروت.

(٣) م. ن.

2. السلطة المنسوبة للبكر وموقف الأخوة

سيجري تصوّر هذا البارامتر على مستويين:

(أ) إدراك الأخوة لهذه السلطة المنسوبة للبكر، و

(ب) موقف الأخوة.

(أ) إدراك الأخوة

هناك ستة أسئلة أخذناها لهذه الغاية في الاعتبار. وأعطى التصنيف النتائج التالية:

جدول 46

(القيم ٪)

الأسئلة	ثواني البكر	ثانيات البكر	الصغار
2	92	83	88
3	84	79	86
4	88	100	73
7	86	68	89
14	93	54	68
5	88	100	91

في هذا الجدول معدلات مرتفعة، تعبّر هكذا عن كون الأخوة (ثواني، ثانيات البكر، الصغار) يرون أنَّ البكر يتصرَّف بسلطةٍ عائدةٍ إليه، باستثناء معدّلين: ناجمين عن أجوبة ثانيات البكر: إذا إن 54 ٪ منهن لا يرين أن من واجبهن إحترام البكر مثلما

يحترمن الأهل؛ في المقابل ترى ١٠٠ ٪ أنهنَّ يحترمنه بالمقارنة مع بقية الأخوة.

(ب) موقف الأخوة

إن مجابهة الأسئلة المناسبة يضعنا أمام موقف الأخوة بمواجهة سلطة البكر.

الجدول التالي هو خلاصة القيم الدالّة، وهي نتائج التحليل التركيبي للأسئلة التي تدور حول پارامتر «السلطة» المنسوبة إلى البكْر، وتسمح برصد موقف الأخوة (القيمة ٪):

جدول 47

السلطة	ثواني البكر	ثانيات البكر[١]	الصغار[٢]
القيم ٪	21	25	35
	64	46	33
		11	10

إن الـ 64 ٪ من ثواني الذين يحسّون بسلطة البكر على الأخوة، يرون أن من حقّه إتخاذ القرارات في غياب الأب، مقابل 36 ٪ ذوي مواقف مشتركة جداً حول هذا الموضوع، ومشار إليها بالرقم 21، وهو عدد الفئات التي تدلّ على الأسباب المختلفة التي تجعل ثواني البكر يرفضون سلطة البكر.

---

(١) م. ن.، م 2/5 ــ ش أ.

(٢) م. ن.، م 3/5 ــ ش أ. نلفت إلى أن الرقم الموضوع في الخانة □ يمثل عدد توزّع الأجوبة المتماثلة، رداً على الموضوعات عينها.

يُحِسُّ ثواني البكر، بنسبة 46 ٪، بسلطة البكر ويتقبّلونها، مقابل 54 ٪ و 25 فئة توزّعات، يعبّرون عن «انزعاجهم» ورفضهم لهذه السلطة، مقدّمين أسباباً شتى، منها مثلاً: «يبالغ مانعاً عني أشياء كثيرة»[1]. لكنْ رفض هذه السلطة، أليس وجهاً آخر من وجوه الاعتراف بسلطةٍ له؟

حسب الجدول السابق، هناك 33 ٪ من الصغار[2] يتقبلون سلطة البكر؛ لكنّ هذا المعدَّل وهو أدنى نسبياً من معدَّل ثواني البكر، ناجم عن عدم الرد على بعض الأسئلة التي تتجاوز تجربة أصغر الصغار المُختَبرين.

وسواء تقبّل الأخوة السلطة أم رفضوها، فإن البكر يجد نفسه في حالة توتر، جوّاني وبرّاني معاً، يضطلع بدور في نمو شخصيته؛ ويبدو هذا التوتر شديداً على قدْر ما يكون فارق العمر صغيراً بين البكر والصغير.

ولا يبدو دور الأخوة أقل أهميةً من دور الأهل، في هذاالوضع. فالمعدلات المختلفة المتحصّلة من أجوبة الصغار، في الاستطلاع الذي أجريناه حول هذا الموضوع، تبيّن الأهمية المناطة بسلطة البكر. وكائنةً ما تكون درجة القبول أو الاعتراض، فإن توتراً ينشأ، بنتيجة العلاقة السلطوية التي تميز سلوك البكر. «إن كثافة الحاجات تحدّد كثافة السلوك؛ مما يحمل الفرد إلى السعي

---

(١) نذكر بأنَّ البكريين المقصودين، هم بين 14 و 18 سنة؛ وعمر ثوانيهم يفترض أن يكون ما بين 12 و 17 سنة؛ وأن لهم حياة عاطفية لا يمكن أن يفهمها الأخ البكر في عمره هذه.

(٢) ندلّ بذلك على الطفل الثالث أو الرابع. . . من العائلة.

وراء المحفّزات التي تحدّ من قوتها»[1]. إن الحياة العاطفية العلائقيّة للبكر، الذي يعي السلطة التي بها يتمتع، ويعي مضامين العلاقة بالأخوة الناجمة عنها، سوف تتّسم بتكيّف تدامجي معيَّن مع محيطه، وتماهٍ بالصورة المثالية.

3. الصورة والإبن البكر

يرى البكْرُ أنَّ السلطة مرتبطة بالصورة الوالدية، فهو إذْ يعتبر نفسه «ثاني الأب» إنما يعني أنه صاحب سلطة ممنوحة من الأهل، سلطة عادلة. وإن كل علاقة سيقيمها البكر «ستستمد مواجعها من هذه الرابطة الأولية مع الأهل»[2]. لكنَّ الوضع العائلي سيكون، في الواقع، كله على المحك، الأمر الذي يؤكد قناعاتنا:

إن حياة البكر العلائقية، القائمة على السلطة، يمكنها أن تكون «تعبيراً عن إرادة قوّة ورغبة هيمنة»[3]. وحين نستند إلى وجود الآخر، وعلى القيم التي يعترف بها الآخر، والشخص نفسه، المناط بالسلطة، ستتمكن من الإحاطة بنوعية هذه العلاقة المحسوسة، المعاشة، والمعبَّر عنها لدى البكر.

يمكن فهم السلطة من زوايا مختلفة، حسب ما يُعطى لها من دلالة:

ـ يمنح المجتمع، والأهل في المقام الأول، سلطةً للبكر، وهو يمارسها كحق، يطلبه الأبُ منه، فيرى البكر أنَّ من واجبه الاضطلاع بدور «الأب». وقد يكون الأخوة المجموعة الاجتماعية الأولى، الموقع الذي يمارس فيه البكر

(١) Michel HETEAU, **Les conceptions cognitives de la personnalité,** P.U.F., 1985, p. 219.

(٢) V. SMIRNOFF, **la Psychanalyse de l'enfant,** op. cit., p. 262.

(٣) Raymonol CHAPPUIS, **La psychologie des relations Humaines,** que sais -je? No 2287, 1986, p. 69.

سلطته. وهذا الجانب يمكن أن يدلّ عليه باسم: سلطة منسوبة، أو تفويض اجتماعي.

إن ممارسة البكر لهذه القيمة يعبّر عن قدرته على استغلالها، حتى يفرض نفسه على الأخوة. وهذا ما يمكنّ الدلّ عليه باسم: السلطة كتفويض مؤكّد.

وعلى قدْر ما يتمكن البكرُ من توسيع سلطته، والتفوق على أخوته، يتقبَّل هذا العامل ويتحمّله. وعندها يمكن اعتبار السلطة تفويضاً مقبولاً.

وإن الصراع الذي يخوضه البكرُ لكي يفرض نفسه ويصون حقوقه، يثير لدى الأخوة اعتراضاً معيّناً. الأمر الذي يولّد حالة توتّر، تكون الغيرة محورها، وعندها يمكن أن توصف السلطة كأنها موقف أخوي أو تفويض أخوي. تلخّص معالم السلطة على النحو التالي:

(أ) التفويض الاجتماعي.
(ب) التفويض المؤكد
(ج) التفويض المقبول.
(د) أو الموقف الأخوي.

إن هذا الوعي، الذي يُظْهِره السلوك، وتعبِّر عنه وتعكسه الأجوبةُ عن الاستمارات المناسبة، ويتجسّد في قيم مرقومة، يسمح لنا بدرس تأثير هذا العامل في الحياة العلائقية، وفي تطور شخصيته.

(أ) التفويض الاجتماعي

يمثل الجدول التالي خلاصة القيم الدالّة، وهي نتائج التحليل التركيبي للإستمارة، المناسبة للبكريّين، ما بين 14 و 18 سنة، بصرف النظر عن الشرط الاجتماعي ـــ الاقتصادي الثقافي أو الجغرافي.

جدول 46

(القيم بالنسبة المئوية)

السلطة	إدراك البكريّين وموقفهم	
التفويض الاجتماعي[1]	44	15
	20	
	18	

وعليه، فإن 44 ٪ من البكريين يرون أنفسهم ذوي سلطة على الأخوة، وفقاً للمعايير التالية، يلجأ الأخوة إليهم بلا خوف، كما أنهم يحترمونهم، دون أن يكونوا قساةً عليهم؛ فهم يعتبرون بمنزلة «ثاني الأب».

وإن 20 ٪ يرون أنفسهم ذوي سلطة، مع فارقٍ هو أنَّ الأخوة ينعتونهم بالقسوة، نظراً لأنهم مرغمون على طاعتهم.

كما أن 18 ٪ يرون أن للبكريين سلطةً على الأخوة. وإذا كان الأخوة يخافونهم، فذلك لأنهم ربما يستعملون القوّة لجعلهم يطيعونهم.

أخيراً، لا تصل الفئات الست، التي تتطابق مع الـ 12 ٪ من البكريين، إلى ممارسة سلطتها على الأخوة.

(١) يُقاس التفريض الاجتماعي بالتحليل التركيبي للأسئلة التالية:
س 4: «يُقال أن الإبن البكر هو بمثابة أب لأخوته، هل هذا صحيح؟».
س 5 ب: «هل أخوته وأخواته يلجأون إليه في وقت الصعاب»؟
س 5 هـ: «هل أخوته يخافونه».
س 5 و: «هل ينعتونه بالقسوة؟».
س 5 ز: «هل يحترمونه؟».

يبدو لنا أنَّ البكْرَ تحفُّزه، في مسلكه، السلطةُ التي يفوضها المجتمعُ له، وقد يكون لهذا الوضع النفساني تأثير مباشر في شخصيته النامية، وتقوم علاقة إستتباع وتأثير متبادل بين صاحب السلطة والذي يقع فعلها عليه، وهذا التأثير سيكون كبيراً على قدر ما يعترف الآخر بهذه القيمة، كتفويض اجتماعي، وإن تقويم الذات الذي ينجم ممارستها، سيكونُ مقبولاً على قدْر ما يعترف به الآخرون.

وعلى غرار كل البارامترات الأخرى، التي أخذناها في الاعتبار، جرى درس السلطة بموجب المتغيرات، كما وردت في الباب الثاني من هذا الكتاب.

1. السلطة كتفويض اجتماعي والمتغيّر الاجتماعي الاقتصادي (القيم ٪).

جدول 47

فقراء		متوسطون		ميسورون		أغنياء	
	4		8	36	9		7
36		50		24		55,5	
31		16		21		11	

إن مقاربة القيم المتحصّلة والماثلة في هذا الجدول، مع الجدول السابق (46)، تسمح بالقول: إن مقارنة المعدّلات المتحققة داخل فئات المتغير بالذات، تجعلنا نستنتج بأنَّ البكريّين من أبناء الأغنياء هم الأكثر تمتعاً بهذه السلطة؛ وإن البكريين من أبناء المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي المتوسط هم الأقل ابتعاداً عن السابقين. بينما البكريون من أبناء الفقراء والميسورين،

يمثلون معدّلات قريبة جداً من بعضها، مع لحظ فارق منظور عن الفئتين السابقتين.

ولكن حين نقارن كلاً من فئات المتغيّر مع مجمل العيّنة، بصرف النظر عن أي ظرف اجتماعي، لا يكون في الإمكان تجاهل الفارق، مع أنه غير محدَّد، الأمر الذي يحملنا على الاستنتاج ــ إذا ابتعدت هذه الفئة أو تلك من فئات البكريين، ابتعاداً نسبياً عن العينة الكلية ــ بأن كل هذه الفئات تتأثر وتتحسس بالسلطة سلباً أو إيجاباً. وكائناً ما يكون مستوى الأهل الاجتماعي ــ الاقتصادي، يمكننا القول إن البكر يتحسَّس هذه السلطة ويتصرَّف بموجبها.

2. السلطة كتفويض اجتماعي والمتغيّر الثقافي

جدول 48

المستوى الثقافي (القيم ٪)

دراسات جامعية د/ 4	دراسات ثانوية د/ 3	متوسطة د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
6	8	6	8
42,8	45	44,4	43,3
28,5	15	25	26,6

كل قيم الجدول لا تقدم إلاّ علامات فارقة، وبما أنَّ أي فارق بينها غيرُ دالٍّ فإننا نستطيع القول إن مستوى الأهل الثقافي لا يدخل في حسبان السلطة المفوَّضة للبكر.

3. السلطة كتفويض اجتماعي والمتغيّر الجغرافي

مسقط الرأس.

جدول 49 (القيم ٪)

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
8	5	6	3	7
33,3	37,5	53,8	52	45,4
29	25	19,2	30,4	

إن مقارنة المعدّلات الواردة في هذا الجدول تبيّن أن البكريين المتحدّرين من لبنان الجنوبي هم الأقل تأثراً إيجابياً، بينما يقدّم المتحدّرون من لبنان الشمالي فوارق أكثر داخل المنطقة نفسها، إذْ يقدّمون ثلاثة آراء مختلفة حول السلطة. أما البكريون المتحدرون من جبل لبنان فيبدو أنّهم يتأثرون إيجابياً أكثر من المجموعات الأخرى. وعليه، يمكن لمتغيّر مكان الإقامة أن يسهم في مزيد من التوضيح حول التأثير الجغرافي.

ـ مكان الإقامة: مدن / ريف.

جدول 50

مدنيون	ريفيون
12	8
40,6	48,7
20	21,9

لئن كان الريفيون يرون، بحسب هذا الجدول، أن السلطة محسوسة أكثر، فذلك لأن أمامهم فرصاً أكثر من المدنيين لممارسة سلطتهم إيجابياً، دون أن يكونوا مرغمين على ذلك مثل الأخيرين هؤلاء، ولدى مقارنة الجدولين 44، 50،

نلاحظ أن المعدلات التي يقدمها الريفيون والمدنيّون على حدٍ سواء، لا تختلف دلالياً عن المعدّلات المتحصّلة عن العينة الكليّة.

وعليه، يمكننا الاستنتاج بأن العامل الجغرافي لا يؤثر في العامل السلطوي بتاتاً، ولكن يبدو أنَّ البكريين من سكان المدينة يقدّمون توزّعاً أكبر في الإجابات، مما يدلُّ على أنَّ عامل السلطة هو سبب للتشتت أكثر مما هو مصدر تقدير وتأكيد للذات، فالسلطة محسوسة لدى الريفيين الذين تتاح لهم فُرَص أكثر للمجابهة مع الصغار؛ مما يعني أن كل بكْر، كائنةً ما تكون إقامته، يتحسس هذه السلطة كأنها تفويض اجتماعي ولا يتوانى عن الصراع للحفاظ عليها.

(ب) السلطة كتفويض اجتماعي «مؤكد»

نعني بالسلطة المؤكّدة المجهود الإرادي الذي يبذله البكْرُ لممارسة هذه السلطة، حتى يفرض نفسه، مما يسمح بقياس التوتر الذي يمكنه أن يميِّز سلوكَ البكر.

جدول 51

تفويض اجتماعي مؤكد	إدراك البكر وموقفه	
القيم ٪	31 26	14

ليس عسيراً أن نلاحظ أنَّ البكر يجتهد لفرض سلطته، إذا إن 31 ٪ من البكريين يرون أنَّ سلطتهم مقبولة من الأخوة، وأنهم يمارسونها، بدورهم، بلا مشكلة، ونلاحظ من جهة ثانية، أن 26 ٪ يفرضون سلطتهم، لأن من حقهم، كما يقولون، السهر على سلوك الأخت، زدْ على ذلك أن التحليل الخطي للأسئلة التي تتناول هذه الموضوعة، تشير إلى ذلك:

جدول 52

الأسئلة(1)	5 أ	6 أ	6 ب
نعم	44	18	68
كلا	56	79	28
بلا جواب	0	3	4

يقول 79 ٪ من البكريين إن الأخت لا تتجاسر على التصرف من دون إرادة البكر، ويرى 68 ٪ أن من حقهم فرض سلطتهم، إلاَّ أن هذه السلطة مصدر صراع بين البكر والأخوة. وإن الفئات الأربعة عشر التي تنجم عن أسباب شتى من الممانعة، تفسّر السبب الذي يمنع البكر من فرض نفسه.

إن عامل السلطة يولِّد تعارضاً معيّناً بين الأخوة والبكر. ويكون هذا التعارض أكثر توليداً للتوتر، بقدر ما تمسّ حرية السلوك.

1. التفويض الاجتماعي المؤكد والمتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

جدول 53

التفويض الاجتماعي المؤكد	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
القيم ٪	7	8	11	8
	31	43	33,3	44,4
	21	23	18	

(1) الملحق I.

بموجب هذا الجدول وبالمقارنة مع الجدول السابق، نلاحظ أن البكريين من أبناء الأغنياء يسهل عليهم فرض إرادتهم، فيما يواجه أبناءُ الفقراء صعوبة في فرضها، لكن التشتت بين الأخوة والبكريين، الملحوظ في بقية النسبة المئوية من المعدلات، هو واقع مشترك بين كل الفئات في مختلف الدرجات، التي تظلُّ ذات دلالة. فالسلطة بالنسبة إلى البكر الذي ينزع دوماً إلى توكيد لكي يفرض نفسه، هي سبب لعدم الاطمئنان؛ كما أنها مصدر تقدير، كائناً ما يكون المستوى الاجتماعي ــ الاقتصادي.

2. المتغير الثقافي

جدول 54

السلطة المؤكدة	دراسات جامعة د/ 4	ثانوية د/ 3	متوسطة د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
القيم ٪	8	7	8	10
	21,4	23,3	38,8	30
	21,4	20	25	23,3

الواقع أن مستوى الأب التعليمي لا يبدو مؤثراً في الإبن البكر على صعيد ممارسة السلطة، نلاحظ، حسب هذا الجدول، أن البكريين من أبناء الأكثر تعلماً، يسعون إلى فرض أنفسهم وإلى الرمز للسلطة الأبوية، فيتولّونها على الرغم من المصاعب التي يمكنهم أن يصادفوها مع الأخوة.

3. التفويض الاجتماعي المؤكد والمتغير الجغرافي

مسقط الرأس

جدول 55

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
7	6	9	8	6
41,6	37,5	34,6	26	36,3
29	25	19,2	21,6	18
			21,6	18

إن مقارنة هذه المعدلات بمعدلات الجدول 51 السابق، تبيّن لنا أن البكريين المتحدرين من الجبل يبدو أنهم الأكثر توزعاً من حيث ممارسة هذه السلطة؛ ولكن في الإجمال، كل الفئات تتحسس إرادة تحمّل هذا التفويض الذي يكفل لها الجاه والتقدير.

ـ مكان الإقامة: مدني / ريفي

جدول 56

مدنيون	ريفيّون
10	10
28,8	39
25,4	21,9

وعليه فإن فئتي البكريين تعبّر بقيمة هذه المعدلات عن صراع بينهم وبين الأخوة، لكي يفرضوا سلطةً من حقهم؛ كما أن العدد الكبير من فئات الأجوبة، المشار إليه بالرقم الموضوع في الخانة [10]، يؤكد ما نقول، ناهيك بأنَّ لو كان

هناك فرق بين قيم معدلات الأجوبة، فمردّ ذلك إلى تغاير الأسباب التي تدفع البكريين إلى خوض هذا الصراع، مصدر النزاعات.

إن السلطة التي تخوِّل البكرُ القوّة والقدرة على ذاته وأخوته، إنما تُعَدّ بنظره ضرورة لوجوده ولتقويمه الذاتي، مما يفسِّر صراعه للحفاظ عليها، على الرغم من النزاعات التي تنشأ بينه وبين الأخوة.

(ج) السلطة كتفويض مقبول

بهذا الجانب من السلطة نستطيع درس درجة قبول هذا العامل المكوِّن للشخصيّة، والمترابط مع قيم ستميِّزها.

جدول 57

السلطة: إرث اجتماعي مقبول	إدراك البكر وموقفه	
القيم ٪	34	9
	21	
	17	

الواقع أن 34 ٪ من البكريين، ممن يرون أن التوصيات الوالدية «صعبة» التحقيق، يتقبلون القيام بهذه السلطة، حتى يفرضوا أنفسهم، حائلين بذلك دون قيام أحد الصغار وخصوصاً ثاني البكر، مقامهم، مما سيسمح بتحقيق الصورة المثالية المسقطة عليهم.

هناك 25 ٪ يواجهون صعوبات في الكفاح للحؤول دون التقدم عليهم.

ولا يرى 17 ٪ أن المتطلبات الأبوية قاسية، وفي الوقت نفسه لا يرون ضرورة لفرض أنفسهم لأن أياً من الصغار لا يسعى إلى الحلول محلهم، كما يعتقدون.

الأمر الذي يمكن تفسيره بكون هؤلاء البكريين مدعومين جداً من الأهل، ويكون الأخـوة خاضعين لهم، في المقابـل، يرفض بعض البكريين هذه السلطة، لأنهم يرون أن التوصيات الوالدية يصعب التقيّد بها؛ كما يرون أنهم مسبوقون بهذا أو ذاك من الصغار، مثل البكريين الماثلين في الجدول العام والبالغ معدلهم 3 ٪.

هكذا إذن فإن البـكـر، المنظـور إليه من هذا المنظار، يكيّف امتيازاته، مع مشاريعه التقديمية الخاصة بـه، «إن النشاط النفسي الذي يكوّن الشخصية التي تكمن في صياغة عنـاصر البيئة، يفضي إلى بناءٍ يتحقّق فيه الإنسان»[١]. بهذا المعنى، يمكن أن تكون هذه السلطة إحدى سمات شخصيّة البكر المتطوّرة.

السلطة كتفويض مقبول والمتغيّرات

1. المتغيّر الاجتماعي ــ الاقتصادي

جدول 58

السلطة المقبولة	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
القيم ٪	4	7	8	4
	36,8	43,3	24,2	38,8
	31,5	16,6	21,2	22,2
	26,3	16,6	15	22,2
		10	12	16,6
			12	

الواقع أن هذا الجدول يقدم مختلف الفئات التي تظهر مختلف المواقف، سنلفت إلى ملاحظتين مهمتين في رأينا:

(١) Joseph NUTTIN, **Structure de la personnalité**, op. cit., p. 238.

ـ داخل كل مجموعة بكريين، فقراء، متوسطين، ميسورين أو أغنياء، نلاحظ أن أرفع المعدلات عائدة إلى فرض سلطتهم، المُعبَّر عنها بالرَّد الإيجابي على السؤال 5 ج (الملحق I، 5 ج: «هل تعتقد بأن على البكر أن يفرض نفسه؟»). وسواء أكانت الشروط الوالدية صعبة، أم ممكنة، فإن البكريين يريدون فرض نفسهم وتوكيد ذاتهم، بالقوة أو بدونها.

ثانياً، المعدلات المتحصّلة متناسبةٌ مع تشتت الخيارات، وهي تدلّ بذلك على اهتمام البكريين بهذا العامل، ورغبتهم في المحافظة الغيورة على حقهم كبكريّين.

2. المتغيّر الثقافي

جدول 59

د 4	د 3	د 2	د 1
6	6	8	8
35,7	35	33,3	33,3
21,4	25	27,7	23,3
14,2	15	13,8	23,3
14,2	15		

إن تآلف المعدلات لدى المجموعات الأربع، المعروضة في هذا الجدول، يحمل على الاعتقاد بأن مستوى الأهل الثقافي لا يدخل في تصوّر البكر للسلطة، في المقابل، كائناً ما يكون مستوى تعليم الآباء، فإن البكريين ميّالون إلى ممارسة سلطةٍ ولو منشودة، ومدعومة من الأهل، هذه السلطة تندرج في الصورة المثالية؛ وتستلزم تحقيقاً صادقاً للذات، على الرغم من كل الصعاب.

3. المتغيّر الجغرافي

ـ مسقط الرأس

جدول 60

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
7	6	8	6	6
37,5	37,5	42,3	30,4	27,2
25	25	26,9	26	27,2
12,5	12,5	11,5	21,7	18
12,5	12,5			

كما أنّنا نلاحظ، بموجب هذا الجدول، أن البكريين يقبلون السلطة. فهم مندرجون في علاقة تمارَسُ فيها السلطة كحقٍ، وينزع كل البكريين إلى تحمل هذه المسؤولية، كائناً ما يكون أصلهم الجغرافي.

مكان الإقامة

جدول 61

مدنيون	ريفيون
8	8
35,5	31,7
22	19,5
16,9	17
13,5	12

إنّ المتغيّر «الإقامة» مثل المتغيّر السابق، لا يؤثر في قبول السلطة، فالبكريّون، أكانوا مدنيين أم ريفيين، يتوقون إلى تحقيق الذات مع القيام بدورهم.

إجمالاً يمكننا الختم بما يلي: كائناً ما يكون الشرط الاجتماعي للأهل، تكون حياة البكر العاطفية ـ العلائقية مطبوعة بطابع النجاح أو الفشل في ممارسة السلطة التي يعزوها لنفسه.

(د) موقع البكر تجاه الأخوة

ماذا يمكن أن يكون موقع البكر تجاه الأخوة، وهو يعيش السلطة بوصفها تفويضاً اجتماعياً، ويتقبّلها على قدْر ما تكون مصدر قوة وتقدير للذات ووجاهة؟ وكيف سيعيش الصورة التي تُسقطها السلطة عليه؟

جدول 62

سلطة محسودة	موقف البكر وإدراكه
القيم ٪	9
	46
	24

كما أننا نكرّر جدول التحليل الخطي للأسئلة المكوِّنة للجدول السابق، نظراً لأن معدل الأجوبة عن سؤال واحد تكرّر حصْراً الدلالة الخام المُضمَّنة في التساؤل.

جدول 63

الأسئلة (المحلق I	3	5 ب	5 ز	9
نعم	35	93	97	19
كلا	63	7	3	81
بلا جواب	2	0	0	0

إن معدّل الأجوبة المتحصّلة من التحليل الخطي، تسمح باكتناه إدراك البكريّين لنوعية الحياة العلائقيّة، بموجب الصورة التي يكوّنها الأخوة عنه.

وعليه، فإن 97 ٪ من البكريين يرون أن الأخوة يحترمونهم، ويرى 93 ٪ أنهم كسبوا ثقتهم، فيما 81 ٪ لا يحسّون بالتنافس.

إن تقاطع الأسئلة يعطينا:

46 ٪ من البكريين، ممن يُقيمون إدراكهم على هذه المعايير ذاتها، يرون أنَّ الأخوة يسلكون سلوكاً إتباعياً بالنسبة إليهم؛ فهذه العلاقة الموسومة بأنها «موثوقة»، تسهّل على البكريّين ممارسة سلطة دون صدمة دالَّة ظاهرة.

24 ٪ يسعون، بدعم من الأهل، إلى فرض سلطتهم، على الرغم من معارضةٍ أخوية يعيها البكريّون.

في هاتين الحالتين، نلاحظ أن البكرَ يضطلع بدورين معاً، فهو تابع «للصورة ــ المثالية» التي يُسقطها الأهلُ عليه، لكنَّه يريد أن يكون الأخوة تابعين له بنوعٍ ما.

أما المجموعة الباقية من البكريين المُختَبَرين والذين يشكّلون الـ 30 ٪[1]،

(١) هذه النسبة المئوية هي مجموع المعدلات الجزئية التي لا تظهر في الحالة الأولى ولا الثانية، والتي تعود إلى مختلف الأجوبة التي تطبع رفض السلطة بسبب معيَّن. =

فإنها تسعى إلى تخطي المشكلات المندرجة في علاقتهم الأخوية، هذه العلا
بين الإبن البكر والأخوة تبدو مرتبطةً بالبكر من جهة، وبالأخوة من جهة ثانية:

- يمكن للعلاقة أن تكون ناجمة عن عجز البكر عن تحمل الشرو
الأبوية؛ كما يمكنها أن تكون متمانعة مع تحقيق مواضيعه الشخصية.
- هذه العلاقة يمكنها أن تكون معاقة بنجاح واحدٍ من الصغار الأمر الذ
يمكنه حرمان البكر وإحباطه.

هكذا، يمكن للسلطة أن تكون عاملاً مقوِّماً لشخصيّته، على قدر ما تسي
الشروط الأبوية جنباً إلى جنب مع قدراته، كما يمكنها أنْ تُعيق، وحتى أن تكفّ
حياته العلائقيّة، ويمكن للسلطة أن تكون عاملاً يقود إلى تبخيس الذات. فوة
ذلك، نعلم أن «المصدر الأساسي للنزاع الإنساني بمجمله يكمنُ في تنوّ
وتكثّف خطوط التحقق الممكنة بالنسبة إلى الشخصيّة»(١).

فهل ستكون المتغيّرات المعتمدة مخفّفةً لحدّةِ هذا البارامتر؟

1. المتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

يمثّل الجدول التالي القيم الدالّة، وهي نتائج التحليل التركيبي للأسئلة.

جدول 64

فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
4	7	8	6
63	46,6	30,3	55,5
26,3	30	27,2	22,2
		15	
		15	

(١) I. NUTTIN, la structure de la personnalité, P.U.F., 1975, P. 242.

وعليه فإن 63 ٪ من البكريين، من أبناء الأكثر عوزاً، يتصرَّفون تجاه الأخوة تصرفاً سلطوياً متشدّداً، وأنَّ 55,5 ٪ من أبناء الأغنياء يتبعون النظام العلائقي عينه، وفي الفئتين، يجري التحسس بالسلطة، أكثر من التحسس بها لدى أبناء الفئات المتوسطة أو الميسورة، إلاَّ أن التباين القائم بين المعدلات غير متناسب مع الغنى، ويفترض به أن ينجم عن عامل آخر، غير المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي.

2. المتغيِّر الثقافي

جدول 65

(القيم ٪)

مستوى جامعي	ثانوي	متوسط	قراءة وكتابة
6	6	8	6
42,8	50	41,6	50
21,4	25	33,3	23,3

لدى مقارنة معدلات هذا الجدول ببعضها البعض أو بمعدلات الجدول 62، نلاحظ أنَّ البكريين المنتمين إلى كل الفئات أجابوا إجاباتٍ متماثلة بنسب متقاربة جداً، ولا تتباعد من بعضها بطريقة مهمة.

مما يحملنا على القول إن السلطة تطبع سلوك البكريين، بصرف النظر عن مستوى أهلهم التعليمي.

3. المتغيِّر الجغرافي

ـ مسقط الرأس

جدول 66

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
4	4	7	6	6
37,5	62,5	46	52	27,2
25	18,7	26,9	26	27,2
12,5	12,5			18
12,5				

إن القراءة البسيطة لهذا الجدول تبيّن لنا التالي: أن 62,5 ٪ من البكريّين من لبنان الشمالي يبدو أنهم يمارسون السلطة المفوّضة إليهم، بمشكلات أقل من البكريين الآتين من المناطق الأخرى، أما البكريّون الذين يلونهم في الأهمية من حيث المعدلات المتحققة، فيعبرون عن قيمة متناقصة نسبياً للمصاعب التي يصادفونها مع الأخوة:

52 ٪ من بكريـي الجبل.

46 ٪ من بكريـي بيروت (ساحل الجبل).

37 ٪ من بكريـي لبنان الجنوبـي.

27,2 ٪ من بكريـي البقاع.

ثمّة معدّلان آخران، ناجمان عن نموذجين للأجوبة[١]، يستحقان التحليل بغية تقدير أفضل لتأثير العامل الجغرافي في سلوك البِكْر السلطوي.

(١) إنها أجوبة الأسئلة التالية (الملحق I).

3. «هل هذه التوصيات صعبة عليك؟».

5 ب. «هل أخوته وأخواته يلجأون إليه في وقت الصعاب؟».

5 ز. «هل الصغار يحترمونه؟».

9. «هل أحد أخوتك يحاول أن ينتزع منك الأولوية؟».

الجدول التالي يمثّل بالتفصيل النماذج الثلاثة للإجابات عن الأسئلة السابقة. والمعدَّل الناجمة عنها تسمح بتقدير أفضل لعلاقة هذا البارامتر بحسب المتغيّر.

جدول 67 (القيم ٪)

الأسئلة:	3	5 ب	5 ز	9	جنوب	شمال	بيروت	جبل	البقاع
النماذج[1]	0	1	1	0 ←	37,5	62	46	52	27,2
	1	1	1	0 ←	25	18,7	26,9	26	18
	0	1	1	1 ←	12,5	12,5	7,6	8,6	27,2

لئن عبَّر النموذج الأول عن جو الثقة الذي يستعمل فيه البكريون سلطتهم، فإن النموذجين الآخرين يسوِّغان المعدلات المتحققة ويسمحان بتوضيح دوافعها.

وعليه، فمن جهةٍ يبيّن النموذج الثاني كيف يمارس البكريّون سلطتهم؛ ومن جهة ثانية، تكشف المصاعبُ المصادفة والمُكمَّمة بالمعدَّلات، عن الشروط الوالدية، ويتراوح الفرق بين المعدلات بين منطقة وأخرى، كما يمكن أن نلاحظ ذلك في هذا الجدول.

إن حياة البكر العاطفية العلائقية، المحكومة بقوانين التوازن، تظلُّ عنصراً أساسياً يدخلُ في بناء الشخصية، فشخصيته المميَّزة بقوة التحفيزات الذاتية، قد تدخل في علاقة وثيقة مع اعتقاد البكْر في «أناه» الذي يكون مقاوماً للتغيّر ما يعتبر نفسه بأنه الطفلْ المميَّز، الذي تعزى إليه السلطة.

(١) في الأجوبة في هذه النماذج:
(0) يدلّ على الجواب السلبي (كلا).
(1) يدل على الجواب الإيجابي (نعم).
(.) تدل على عدم الجواب.

وهذا ما يفسّر جزئياً خصيصة البِكْر بين الأخوة. فهذه السلطة التي تجعله مركزياً، بوصفه مُقدَّماً من الآخر ومن نفسه، هي أحد المعالم الذي يجعل البكْرَ شخصيةً خاصة.

خلاصة

انطلاقاً من اللحظة التي تُعَدُّ فيها الحياة العاطفية على علاقة ناشطة بحياة الطفل العلائقية المتطوّرة، بصرف النظر عن التصوُّر المعتمد: تصور لي سن الذي يعتبرها «كليّة الأنا»(١) أو تصور دالپور الذي يراها «تنظيماً ديناميكياً للجوانب المعرفية، العاطفية، الجُهْدية، . . .، للفرد»(٢)، فإن هذه الحياة العاطفية تكون جزءاً لا يتجزأ من الشخصية.

فدراسة الشخصية تستلزم درس مزاياها من خلال عواملها التكوينية، ويترتّب على ذلك أنَّ دراسة «السلطة» قد لا تكون دراسة هذا العامل بذاته، بل بوصفه على صلة وطيدة بالحياة العاطفية ــ العلائقيّة».

إن دراسة «السلطة» كبارامتر أتاحت لنا الفرصة لتحديد علاقة استتباعية: من جهة بين البكر وصورة الأهل عنه، ومن جهة ثانية، في العلاقة الأخوية، بين صورة الطفل عن ذاته، وصورة الأخوة عنه: «إن تصرفاتنا تجاه الآخرين مستوحاة إلى حدٍ كبير من طريقة وجودهم بالنسبة إلينا، أي من خلال الصورة المعرفية والعاطفية التي نكوّنها عن مشاعرهم ومواقفهم وآرائهم تجاهنا»(٣). وتالياً، سمحت لنا دراسة هذا البارامتر بأن نستخلص المزايا السلطوية الخاصة بشخصيّة البكر.

---

(١) Le Senne، ورد عند:

AMADO, L'affectivité de l'enfant, op. cit, p. 10.

(٢) SHELDON، مستلهماً دالبور، الوارد عند:

AMADO, IBID.

(٣) J. NUTTIN, la structure de la personnalité,

وعليه فإن 87 ٪ من الآباء (راجع الجدول 44)، و 90 ٪ من الأمهات (راجع الجدول 2/44) يؤيدون السلطة التي يمارسها البكر، فالسلطة هي أكثر من أمنية عادية، يمنحها الأهل لبكرهم، ويساندونه للقيام بها، وهم يقومون بذلك منذ انتظار مولده حتى العمر الذي سيغدو فيه نفوذُه، محسوساً من قبل الأخوة الصغار، دون إشارة إلى كل العنايات العاطفية والأماني والشروط العائلية، المُسْقَطة عليه.

إن مساراً بطيئاً لبناءِ أناه يسري دوماً داخل الأسرة كنظام والديّ مقوِّم. فهذا النمط التربوي يطبع البكر الذي يتمثل «الصورة ـ المثالية» بـ «قولبةٍ يمكنها أن تكون متلازمة نسبياً مع إدراكاته الذاتية الملموسة»(١). الأمر الذي يقود البكر ليكون شخصاً مميزاً.

والحال، فإن كثافة بنية الشخصية تظهر في تشديد الفرد على التوازن التحفيزي، وعلى الآليّات النفسية التي تواكب نموّه. فهو منذ صغره، كما رصدنا ذلك من خلال اختبار رسم العائلة (راجع الفصل السادس)، يعبّر عن تفوقه على الأخوة، سواءٌ بجعل الشخص الذي يمثله، يحتلّ المكانة الأولى بعد الأب (انظر الملحق V, 2، ج 23). هذه القناعة تتعزّز بنظرة الأخوة إليه، بحيثُ يقوِّم البكْرُ، كما يدلُّ على ذلك هذا الرسم أو ذاك. وفي حال غيرة شديدة بين البكر و «الأخ الصغير»، تظهر آلية دفاعية ملحوظة في التعتيم على الدخيل (م. ن، ج 32)؛ هذا الإعتام النفسي الجزئي أو الكلي يعبِّر عن حدَّة الغيرة أو الحسد.

كما أن 79 ٪ من البكريين (م. ن.، ج 33) ما بين 9 — 13 سنة، يرون

(١) ورد عند: Rogers

Michel HUTEAU, les conceptions cognitives de la personnalité, P.U.F., 1985, p. 221.

أنفسهم متفوّقين على الصغار، ويتصرّفون بموجب ذلك، كما شرحنا سابقاً (الفصل السابع). ناهيك بأن العلاقة التصارعية، الناجمة عن الطابع «السلطوي» للبكْر، تظهرُ لدى 50 ٪ من البكريين (الجدول 33)؛ فهم غيورون على حقّهم، ويرون الصغار كمنافسين لهم؛ حتى إن 27 ٪ يذهبون إلى حد التعامل معهم بعنف.

صفوة القول إن السلطة، بمواجهة الصورة المثالية، جرى تصوّرها بطريقتين، حسبما يتمكّن البكر من تحمّلها أو من رفضها.

في الحالة الأولى، تكون مصدراً لطمأنة الذات، على قدْر ما تتجاوب قدراته على ما تتطلب السلطة من مستلزمات؛ فالسلطة تقود إلى التحقق الذاتي الأكمل والأصدق، لتغدو كينونة المرءِ العميقة.

وفي حالة رفض البكر «السلطة» إما لنقص في القدرة، وإما لأنَّ هذه السلطة تسير بعكس تحقيق مصالح شخصية أخرى، فإن الصراع الناجم عنها، يكون مرتبطاً بملكةِ الاختيار والرفض، وإن الأنا الذي يحسّ بهذا الصراع يقرّر عمله بوعي، ويخضع للأنا الأعلى، خوفاً من فقدان جاهه.

هكذا يخضع البِكْرُ لمثال الأنا بدافع الحب الوالديّ، وعندها يمثّل هذا المثال، بنوعٍ ما، «موضوع الحبّ ولأجل الحبّ الذي يتمّ التخلي بواسطته عن الإشباع النزويّ»(١). وبهذه الطريقة التي يريد بها البكرُ «تحقيق المطالب الأبوية أو الهرب منها، يستوعب مواقف الأهل التي تنخزنُ في أناه»(٢). وربما تكون حياته العاطفية ــ العلائقيّة مطبوعة بطابع المطالب الأبوية.

(١) Anne — Marie ROCHEBLAVE — SPENLE, **Psychologie du Conflit**, P. U. F. éd. Universitaires, 1970, p. 88.

(٢) م. ن، ص 84.

كذلك، قد تكون السلطة التي يعيشها البكر بوعي، عاملَ قوَّةٍ ومصادر تعارض وتنازع مع الأخوة. والبكر، المدفوع بهذه القوة، يمارس هذه السلطة كواحدٍ من الحوافز العميقة التي تُدْخِل الفرد و «تجعله» يعيش في عالم الآخر الشخصي»[1]. وقد تغدو السلطة ذلك الغطاء الذي يجعله على صلةٍ مباشرة مع الآخر، محبّذاً «إندراجاً حقيقياً في عالم الآخر». وهكذا ينكبُّ البكْرُ على التماهي بالصورة ــ المثالية المعكوسة عليه □

● ● ●

(١) Joseph NUTTIN, **Structure de la personnalité**, op. cit., p. 225.

الفصل العاشر

المسؤوليّة

تمهيد

يمكن أن ترتدي المسؤولية عدّة دلالات وموجبات، حسب النظر إليها في المجال المدني، الحقوقي، الأخلاقي أو النفساني. ومهما يكن التعريف بالمسؤولية، في هذا المجال أو ذاك، فإن تفسيراً يُستفادُ من ذلك[1]: وهو أن كون الإنسان مسؤولاً، يفترض ثلاثة شروط:

- إن يمتلك وضوحه الكامل، وهذا شأن خاص بكل فرد سويّ أو صحيح عقلياً، وتجاوز سنّ الطفولة.

- التصرّف بحرية؛ ودون الدخول في تفاصيل الحرية، سنقول: يكون الشخص مسؤولاً عندما يتصرَّف بلا تهديد ولا إكراه، وبلا حتمية مطلقة، اجتماعية ـ طبيعية.

- أن يكون مخلصاً لموضوع المسؤولية بمقتضى غائيّتها.

وبنحو حصْري، نعتمد التعريف البسيكولوجي للمسؤولية، المرتبط

(1) A. LALANDE, Voc. techn. et crit. de la philosophie, op. cit., pp. 926-928.

بالمعنى الأخلاقي: «إنها تكافل الشخص الإنساني مع أفعاله»[١]. فالمسؤولية هي العامل الأبرز بين البارامترات المدروسة. وعليه، فهل تفويض السلطة إلى البكر يسمح بالكلام على إكراه أو حرية؟

إن كل الأفعال مرتبطة بعلاقة مع الآخر؛ والعلاقة «تدخِل الشخص في حقلٍ دالٍّ، تتشابك في داخله الحياة العاطفية والعقل تشابكاً حميماً»[٢]؛ وهذه العلاقة تجعل الشخص يكتشف أناه. وأمام تراكم التجارب التي تستلزم المسؤولية، يكون الشخص مدفوعاً إلى «أكمل صياغة للذات، ويسعى وراء التباين الذاتي المميَّز جداً، ليصل إلى مفهوم للذات مُشخصَن حقاً، وإلى الإقتناع بهويّة»[٣]. وإن أقلّ تحقق، إذا كان له انعكاس على «الأنا»، يكون له انعكاس على «الآخر» أيضاً، وبالعكس.

فإلى أي حد تستطيع المسؤولية، بوجهيْها، الإسهامَ في تحقيق الذات، خاصةً وأن البكرَ يمارسها منذ صغره؟ وهل يتمكن من عيشِ هذا الجانب من المسؤولية؟

إستناداً إلى دراستنا الإختبارية، نلفت إلى أنَّ تحليل الإستمارات المناسبة وفقاً للبارامترات والمتغيرات، موضوع في **الملحق**، نظراً لكثرة الجداول التي تمثّلها.

لذا سنعرضُ على التوالي الجداول المفسِّرة لكل بارامتر. وهي ستمثّل خلاصة التحليل التركيبي للقيم الدالّة، وهي نتائج الأجوبة المتماثلة، عن

---

(١) م. ن.، بلونديل، ص 927.

(٢) Raymod CHAPPUIS, **La psychologie des relations humaines,** op. cit., p. 6.

(٣) René L'ECUVER, **Le concept de soi,** op. cit., p. 199.

الموضوعات التي تتناول أحدَ البارامترات، على حدة، أو من زاوية أحد معالمها، أو بمقتضى المتغيّرات.

زدْ على ذلك أننا سنتبع المنهج نفسه، كما في الفصلين السابقين، لدرس «المسؤولية» المنافسة بالبكر، بوصفها أحد المعالم الذي يميّز شخصيته المتطورة.

1. المسؤولية المُنَاطة بالبكر والأهل

عموماً يُنظر في المجتمع إلى الطفل بوصفه كائناً صغيراً، يستحق الحماية والرعاية. وتندُر المجتمعات التي تنزع إلى البحث عن البنى التي تسهّل وتنمّي المبادرة إلى المسؤولية.

في حالة الإبن البكر، في مجتمعنا، تُثار المسألة على صعيد آخر: الإبن البكر يتصرَّف وحده، منذ صغره، كأنه مسؤول. إنها مسؤولية ترتدي شكلاً وراثياً، حيث المبادرة لا تتبع أية بنية منطقية، فالأهل ينيطون البكر بالمسؤولية، لأنه هو «الكبير»، ذلك الذي سيكون مسؤولاً بعد الأب. الأمر الذي يحملنا على درس هذه المسؤولية، كما يلي:

(أ) المسؤولية والأب

يمثّل الجدول التالي موقف الأب وإدراكه، وفقاً للمسؤولية المناطة بالبكر.

جدول 69

(يمثل القيم الدالة)

(القيـم ٪)

مسؤولية معترف بها أو منسوبة	81	10
مسؤولية أخوية أو مفروضة	88	6
مسؤولية عائلية أو مقبولة	94	4

وعليه، فإنَّ 81 ٪ من الآباء يرون أن على البكر أن يكون مسؤولاً، لأنه هو «الكبير» في العائلة، المسؤول الأول بعد الأب، وفوق ذلك، 90 ٪ من الآباء يخصّونه ببعض علامات الاحترام، داعمين البكرَ في مهمة مسؤوليته؛ مثل «عدم تأنيبه أبداً أمام الصغار».

هناك 88 ٪ من الآباء يطلبون من البكر ممارسة سلطته على الصغار. الأمر الذي يقوده إلى الإحاطة بأعماله وأعمال الصغار أيضاً؛ ويقوده كذلك إلى فرض نفسه، وفرض أفكاره على الأخوة، وتعزيز معنى المسؤولية في نفسه. وسيلجأ الأخوةُ إليه، واضعين ثقتهم في «الأخ الكبير»، إذ إن هذا الأخير يمكنه الاضطلاع بدور «الرابط» بينهم وبين الأب.

ويتمنّى 94 ٪ من الآباء أن يمارس البكر مسؤوليته في المجتمع، فيقوم مقامهم في مناسباتٍ اجتماعية، مثلاً.

وهكذا تكون المسؤولية المفوَّضة من الأب، نوعاً من الامتياز الذي يقع على كاهل البكْر. فعليه أن يحيط بسلوك الأخوة من جهة، وأن يتصرّف بحرية، بلا إكراه، من جهة ثانية.

إن المسؤولية التي يعزوها الأبُ لبكره، تضع هذا الأخير في وضعٍ ذي مفعولين: فهو مسؤول عن الأخوة، وفي الوقت نفسه، عليه إعلام الأهل بذلك. وإن البكر يتصرَّف بحرية، فيما هو مرتبط بالصورة ـ المثالية المُسقطة عليه.

(ب) المسؤولية والأم

على منوال الأب، تطلب الأم من إبنها الأول أن يكون مسؤولاً.

جدول 70 [١]

إدراك الأم وموقفها

(القيم ٪)

مسؤولية معترف بها	78	12
مسؤولية أخوية	84	7
مسؤولية عائلية	93	3

وعليه، فإن 78 ٪ من الأمهات ترى أن مسؤولية البكر تعني أن عليه المشاركة في المهمة العائلية، وأن يخفّف عن الأم، فيتحمل بطريقةٍ ما بعض مسؤولياتها الشخصية تجاه الصغار. وتوضح 84 ٪ منهن أنَّ البكر يجب أن يكون محترماً، حتى يطيعه الصغار. فالأم تجد فيه تأكيداً لقدرتها الذاتية. وتعتبر 93 ٪ أنَّ من واجب البكر أن يكون سندَ العائلة، فهو الذي سيقوم مقامَ الأب في غيابه.

(١) جدول توليفي للقيم الدالة.

بمواجهة هذه الوظيفة، الممنوحة من الأهل، يمكننا التساؤل عما يمكن أن يكون عليه وضع البكر بالنسبة إلى الأب والأم؟ وأية حالة ذهنيّة يكوّن البكْرُ عن نفسه؟

صحيح أنَّ إشراكَ البكر في المسؤولية العائلية، يعني رفعه إلى المرتبة الوالدية، وتعديل النظام العلائقي بين الأهل وبينه: فالرابطة العاطفية ترتدي رداءً متطوراً، يتراوح بين «إرضاء» الأهل بتحقيق ما يطلبون، وتنفيذ أمر الأم للحفاظ على حبّها، وبين فرض أفكاره الخاصة. أمام كل نجاح ـ اجتماعي أو عائلي ـ يحرزه البكْرُ، يمكن أن يعتبره الأبُ كأنه نجاح أحرزه هو نفسه عبر الآخر، ويمكن أن يكون بكرُه ذلك الذي يسانده الأبُ حتى يتمّم ما لم تقم به الأم في حياتها الشخصية.

ترى الأم أن المسؤولية التي يمارسها البكرُ، يمكنها أن تمدَّها بالقوة التي حُرِمت منها في صباها، من جهة. ومن جهة ثانية، بوصفها أم هذا الإبن، ترى فيه ذلك الذي يفرض أفكاره. ويجعل الصغارَ طوع بنانها، زدْ على ذلك أنَّ ممارسة البكر للسلطة يمكن أن تراها الأمُ كأنها إنتقاص من مسؤوليتها الشخصيّة.

وهكذا نستطيع إذن التأكيد أنَّ الأهل يفوّضون جزءاً مهمّاً من المسؤولية إلى البكر. مما يعني إسقاط واجباتٍ عليه، تجعله يتصرَّف وفقاً لإرادة الأهل. وإن استبطان هذه الإرادة يدفعه إلى وعي ذاته: «تتوقّف بداية وعي الذات على وعي الغير»(١). إن شخصيّة البكْر النامية ستكون وقفاً على سلوك مُرادٍ من قبله ويتحمل مسؤوليته، «إذ إن كونَ سلوكي يدخل، مع ذاتي، في العالم الشخصي الذي أصادفه، إنما يؤثّر في هذا السلوك تأثيراً عميقاً»(٢). وفي مواجهة الأخوة،

(١) René SPITZ, **Le Non et le Oui,** P.U.F., Paris, 1976, p. 98.

(٢) Joseph NUTTIN, **La structure de la personnalité,** op. cit., p. 224.

سيكون البِكْرُ مضطراً للتصرّف كـ«مسؤول». وإن الميل إلى إرضاءِ إرادة الوالدين ستوقظ تمثّلات واستذكارات مفعمة بعواطف يمكنها أن تكون قاسية. الأمر الذي من شأنه أن يولّد لدى البِكْر هذا الازدواج بين طلب سلوك معيّن من الأخوة، وبين مطلبه في أن يكون مُطاعاً ومحبوباً، مما يثير المسألة التالية:

كيف يردُّ الأخوة على أخيهم البكر الذي يتصرَّف كمسؤول؟

2. المسؤولية والأخوة

إن السلطة المفوَّضة للبكر تحمل آثار القوة الوالديّة والإرادة الأُمومية، كما لاحظنا ذلك. وفي الوقت نفسه، تنقلُ قلقاً معيناً، خصوصاً من جهة الأم التي تخشى أن ترى مسؤوليتها في خطر.

فماذا يمكن أن يكون إدراك الصغار وموقفهم من بِكْرهم؟ وماذا يمكن أن يكون تأثير ذلك في شخصيته المتنامية؟

(أ) إدراك الأخوة

جدول 71 [١]

(القيم ٪)

ثواني البكر	72	12
ثانيات البكر	64 10	15
الصغـار	40 13 10	16

(١) قيم دالة للجداول العامة.

وعليه، فإنَّ 72 ٪ من ثواني البكر يرون مسؤوليةً مناطةً بالبِكْر. فهو يقوم مقام الأهل في بعض الواجبات؛ ويعتمد الأهل على البكْر الذي يسلك مع الأخوة مسلكاً مسؤولاً. وإنّ 64 ٪ من ثانيات البكر ترى أنَّه يتصرَّف بروح المسؤول. وفيما يلاحظ 40 ٪ من الصغار أن البكر يتصرّف بمسؤولية، «لا يدري» 13 ٪ منهم إن كان الأهل يعتمدون عليه. ويرى 10 ٪ أنَّ الجميع مسؤولون، أي الأب والأم والبكر. الأمر الذي يؤكد إناطة البكر بمسؤولية.

(ب) موقف الأخوة

لتوضيح رأي الصغار بهذا العامل، كان عليهم الردّ على ثلاث صفات يمكن وصفُ البكر بها. فكانت النتائج المتحصّلة هي التالية:

جدول 72

(القيم ٪)

هل البكر:		ثواني البكر	ثانيات البكر	الصغار
قاسٍ	نعم	14	72	83
	كلا	86	17	13
عادل	نعم	100	61	81
	كلا	0	22	13
أناني	نعم	8	54	74
	كلا	92	26	15

نلفتُ إلى أنَّ بقية النسب المئوية غير الواردة في الجدول هي «بلا جواب».

وعليه يرى أصغرُ الأخوة أن البكر قاسٍ وأناني، لكنَّه عادل. وهذا ما يمكنه أن يكون من نتاج أثر الدور الذي يضطلع به البكر كمسؤول عنهم. إذ في المقابل، كونه مسؤولاً يعني تحقيق سلطة معينة: «إن إمتلاك القدرة يعني القبول بشكل معين من المسؤولية؛ لكنّه يعني أيضاً تحمل مسؤولية أولئك الذين تُمارَس السلطة عليهم»[1]. عندها يمكن للعلاقة أن تولّد قلقاً قد يجري التنفيس عنه غالباً في شكل عدواني؛ فالمسؤول مالك القدرة أو السلطة يمكن وصفه بالقاسي والأناني، كما يمكنه التصرّف بقسوة وأنانية.

ترى ثانياتُ البكر أنّه عادل، ولكنَّه قاس، فتقول 54٪ منهن إنه أناني. فهل يكون مردُّ ذلك إلى العقلية الأبوية؟ الواقع أن المسموح للصبي هو غير المسموح للفتاة؛ ويتراوح عمر ثانيات البكر المُختَبرات ما بين 12 و 17 سنة (راجع جدول 72)، وتالياً ما زلن متأثراتٍ بالنفوذ الأبوي؛ وإذا كنَّ يرينَ البكرَ قاسياً وأنانياً، فربَّما لأنهنَّ ينظرنَ إليه بوصفه «الأخ المسؤول». بينما تختلف حالة ثواني البكر عن المجموعتين السابقتين:

الواقع أن 86 ٪ من ثواني البكر يرون أن البكر ليس قاسياً، مع أنهم يجدونه أنانياً. يبدو أن البكر يقوم بتسويةٍ معيّنة مع ثاني البكر. أن يكون رحيماً مع هذا الأخير، يمكنه أن ينطوي على خوفه من مواجهة معارضة شديدة، خصوصاً وأن لثاني البكر فرصة أكبر في إنجاح هذه المعارضة، نظراً للفارق العمْري بينهما بالمقارنة مع بقية الأخوة.

من شأن هذه الاستجابة أن تساعد البكر على تكوين قدرته على تأكيد ذاته وإقامة توازن بين كونه مسؤولاً وكونه يعيش حياته. في هذه العملية، تتدخل الحياة العاطفيّة، ويمكنها أنْ تحفّزها أو تحبطها. وإن دعم الأهل ذو فعالية

(١) Anne-Marie, ROCHEBLAVE-SPENLE, Le pouvoir **démasqué**, op. cit., p. 146.

كبرى، إذ إن المسؤولية التي ينيطونه بها، ستكون مضاعفة بحياة عاطفية تتدخل في السلوك وتوجّهه نحو توكيد الذات: «تتضاعف المشاعر الفردية المتبادلة، بمشاعرَ عنايتُها مُثُلٌ جماعية، وهذا إرصانٌ موازٍ للشخصيّة»(١). إنَّ الاضطلاع بدورٍ وغايةٍ في الحياة العلائقية، يمكنه أن يكون عاملاً فعّالاً في تشكيل الشخصية. فمن شأن المسؤولية التي يمارسها البكرُ، أن تعبّيء كل طاقاته، وأن تدفعه إلى الحدّ الأقصى لقهر كل صعوبة.

إن البكر، كهدف قيمي، سينزع باستمرار إلى التوطّد في دوره كمسؤول و «قوي»، والحفاظ على كامل قيمة «أناه» المنسوب إليه.

وإن التثبيت القيمي «يبدو غير قابل للانفصال عن أصول وعي الذات لدى الطفل»(٢)؛ ولكي يضبط إيقاعَ حياته، سيبذل البكر جهدَه للتكيّف مع الوضع العائلي؛ وهذه التكيّفات التي تكون واحدة في العائلة، آخرَ المطاف، «تنتظمُ لتحييد كل تهديد خارجي، ولصون وحدة **الأنا** وقيمته الاجتماعية، ولتحييد القلق الداخلي»(٣). صفوة القول إنَّ البكر يجد نفسه مندرجاً، باستمرار، في علاقة مبارزة، مما يدفعنا إلى طرح الأسئلة التالية:

إلى أي حدٍ يتمكّن من إنماء طاقاته الكامنة، وتوكيد ذاته بوصفه «مسؤولاً»، وتحقيق «الصورة المثالية» المُسقطة عليه؟

وهل يتصرّف «كمسؤول» منذ صغره؟ وهل هذا يمنح جانباً خاصاً لشخصيته الآخذة في النمو؟

(١) Jean PIAGET, **Les relations entre l'affectivité et l'intelligence dans le développement mental de l'enfant,** op. cit., p. 13.

(٢) R. PERRON, **Modèles d'enfants, enfants modèles,** P.U.F., 1971. p. 30.

(٣) A. MUCCHIELLI, **Les réactions de défense dans les relations inter-personnelles,** E.S.F., 2e éd., p. 19.

3. المسؤولية والبِكْر

ليس إمتلاك القدرة والتسلط سوى عناصر من بارامتر «المسؤولية». فالمسؤولـية، فـي وضـع الإبـن البـكر، تعني تطبيق ما يراه من واجبه ومن حقه.

إن البكر الذي يتعيَّن عليه التصرّف «كمسؤول» داخل الجماعة العائليّة، سيدخل بالضرورة في نزاعٍ مع الآخرين. هذه الصراعات التي تتعلق بإدراك البكر وموقفه الذي يتّخذه للقيام بها، يمكنها أن تكون جوّانيّة أو برّانيّة، حسب أهميّات العوامل المعرفية ــ العاطفية التي تتدخل وتتشابك. وهكذا جرت دراسة المسؤولية المناطة بالبكر، من ثلاثة جوانب:

(أ) المسؤولية كتفويض اجتماعي منسوب،

(ب) المسؤولية المفروضة،

(ج) المسؤولية المقبولة.

وجرى درسُ كلٍ من هذه الجوانب الثلاثة بمقتضى المتغيّرات المُعتَمدة، وسمح لنا تكميم الأجوبة المتماثلة بدرس سلوك البكر في هذا الوضع.

(أ) المسؤولية المنسوبة

في الإستمارة المناسبة، جرى درس المسؤولية بوصفها تفويضاً اجتماعياً. الجدول التالي يمثّل إدراكَ البِكْريين المُستجوَبين لموقف الأخوة تجاههم.

جدول 73

(القيم ٪)

إدراك البكر للمسؤولية	الأسئلة		
التي يمارسها على الأخوة	5 ز	7 أ	7ج
	97	97	90

وعليه، فإن 97 ٪ من البكريين يرون أن الأخوة يحترمونهم؛ كما أن 97 ٪ منهم يرون أنَّ من واجبهم أن يكونوا مسؤولين عن أخوتهم الصغار؛ وأن 90 ٪ يعتبرون أنفسهم متفهّمين.

إن الشعور بالمسؤولية، كما يعيشه البكرُ، قد يكون الترجمة لاستجابة الأخوة السلوكية. هذه الاستجابة جرى قياسها بالدراسة التركيبية للأجوبة المتماثلة عن الأسئلة الثلاثة السابقة. زدْ على ذلك أن القيمة المتحصلة مستقلةٌ عن كل المتغيّرات المعتبرة: القيم ٪.

جدول 74

المسؤولية تفويض اجتماعي، مناط بالبكر	إدراك البكر وموقفه	
	85	6

وعليه، فإنَّ 85 ٪ من البكريين تمكّنوا فعلياً من ممارسة هذه المسؤولية. مما ينطوي على أنهم يلتزمون بمسار علاقات متبادلة: فالبكرُ المسؤول، يلقى في آنٍ مساندة الأهل والأخوة. وإن إندراجه في جماعته العائليّة، كمسؤول، يترجم هذا الاستيعاء للعلاقة المتبادلة بين الأشخاص.

حين يمتثل البكْرُ لدور «المسؤول» الذي يرتقبه الأهلُ منه، إنما تكون استجاباته ملقَّحة بدعمهم له. الأمر الذي استلزم درس هذا الجانب من المسؤولية، وفقاً للمتغيّرات المرتبطة بوضع آباء البكريين المُختَبَرين.

*** المسؤولية المنسوبة للبكر والمتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي**

إن تحليل هذا البارامتر بموجب هذا المتغيّر، يعطي فئاتٍ شتى من الأجوبة المتماثلة. الجدول المدرَج أدناه، في المتن، لا يقدّم سوى القيم الدّالّة، والأمر نفسه بالنسبة إلى كل بارامتر، مدروس بموجب كلٍ من المتغيّرات، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

جدول 75

(القيم ٪)

مسؤولية منسوبة	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
	84	86	81	88,8

إن مقابلة المعدّلات المتحصّلة في هذا الجدول، مع المعدّل المشار إليه في الجدول السابق، تبيّن أنَّ الأهل يضطلعون بدور المساندة لإبنهم البكر. فتفويض المسؤولية إلى هذا الطفل لا ترتبط بالمستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي

للأهل. بكلام آخر، نقول إنَّ قدرة معيّنة تُناط بالبكر، وتعزّز لديه إمكان التصرّف كـ «مسؤول»، بصرف النظر عن مستوى الأهل الاجتماعي ـ الاقتصادي.

ـ السلطة المنسوبة ومتغيّر المستوى الثقافي

جدول 76

(القيم ٪)

مسؤولية منسوبة	مستوى جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
	85,7	80	80,5	93,3

والحال، فإن 93,3 ٪ من البكريين، أبناء الأهل الأقل تعلماً، يحسّون بهذا المطلب الاجتماعي أكثر من سواهم. كما أن البكريين من أبناء المستوى الثقافي د/ 2، د/ 3، د/ 4، لهم قناعة ذات أهمية دالّة. فلا يبدو أنَّ مستوى الأهل الثقافي يؤثر تأثيراً سلبياً في ديناميكية البكر في دوره كمسؤول. وبصرف النظر عن مستوى الأهل الثقافي، ثمة مسؤولية تُناط بالبكر، مع التنويه بأنَّ إسقاط الأهل الأقل تعلماً، هو الأقوى. وهكذا، يمكن للمسؤولية المناطة بالبكر، أن تكون مطلباً والدياً. وإن قيام الإبن الأول بهذه المسؤولية سيُشْعِر الأبَ بارتقاءٍ في السلَّم الاجتماعي، ويمكن لعقدة «غير المتعلّم» أن تُزال بالمعاوضة.

* المسؤولية المنسوبة والمتغيّر الجغرافي

ـ مسقط الرأس

جدول 77

(القيم ٪)

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
75 20,8	100	76,9	95,6	81,8

وعليه، فإنَّ 75 ٪ من البكريّين، المتحدرين من لبنـان الجنوبـي، هم الأقل تحسساً بهذه المسؤولية كتفويض اجتماعي، ما دام 20,8 ٪ لا يتمكّنون من أن يكونوا متفهّمين. وربما يعود هذا إلى معارضة شديدة من جانب الصغار. بينما 100 ٪ من البكريين المتحدرين من لبنان الشمالي، يعتبرون أن المسؤولية إمتياز والديّ لهم.

□ مكان الإقامة: مدن ــ أرياف.

جدول 78

مدنيون	ريفيّون
84,7	85,6

كثيراً ما يشدِّدُ المدنيون والريفيّون على مسؤوليةٍ في حياتهم العلائقية. ولا يبدو أن العامل الجغرافي عامل مؤثّر بالنسبة إلى المسؤولية. فكل البكريين، بصرف النظر عن سُكناهم، يمارسون مسؤوليةً بقوّةٍ نسبيّة، معتبرينها إرثاً والدياً.

على سبيل استنتاج جزئي، نستطيع إعلانَ ما يلي:

أنْ يعيش المرء ويكبر وهو مقتنع فعلياً بأنه مسؤول، سيطبع بلا ريب الحياةَ المسلكية، وسيضطلع بدور أساسي في بناء العلاقة العاطفية ـ المعرفية. إن سلوك البكر، المدعوم عموماً من الأهل بوصفه مصدرَ اعتزازهم واستمرارهم، سيكون محفّزاً آنئذٍ، ليس بهذا العامل التقويمي وحسب، بل أيضاً بغريزة القوّة والهيمنة. إن استحسان الأهل للإبن البكر سيُوقظ، بين الأخوة، وضعاً أساسه التنافس حيث يخشى عليه من مجابهة الفشل والعزلة العاطفية والتحدي، مما يفضي إلى إثارة السؤال: هل يعتبر البِكْرُ هذه المسؤولية كأنها مفروضة؟ وماذا تكون عواقبها؟

(ب) المسؤولية المفروضة

إن البكر حينما يمارس السلطة المنسوبة إليه، إنما يتعرَّض لمسألة أساسية هي الخوف من الفشل، والتي ستغدو مركزيةً في حياته كبِكْرٍ. وإن رَجْعَ إمكانِ عجزه عن أداءِ دوره كمسؤول، يمكن أن يراه البكرُ كأنه دور «مفروض». الأمر الذي سيجري رصدُه من خلال الأجوبة المكمَّمة عن الاستمارة المناسبة، عبْرَ معدَّلات الجدول التالي:

جدول 79

(القيم ٪)

مسؤولية مفروضة على البكر	إدراك البكر وموقفه	
	36	15
	20	
	10	
	10	
	9	

وعليه، فإنَّ 36 ٪ من البكريين وأعون للمطالب الوالدية، مع إدراكهم أن من الصعب تحقيقها. كما أنهم يعتبرون أنَّ بعض المشاكل العلائقية مع الصغار، مردّها إلى دورهم كمسؤولين. ولكنْ دون أنْ يرفضوا هذه المهْمة، ينزعون إلى القيام بهذه المهمة، معتبرينها إمتيازاً.

ــ كما أنَّ 10٪ يرون أن المطالب الوالدية مستحيلة، وأن الصغار يلجأون مباشرةً إلى الأهل، دون أي اعتبار لبكريّيهم.

ــ زدْ على ذلك أن 9 ٪ يجدون أنه لا يمكن تحمُّل مطالبَ الأهل. كما يرون مشكلة علائقية مع الصغار، وهي مشكلة عائدة إلى المسؤولية المُفوَّضة.

إن الموقف الصراعي لهذه الفئات الثلاث من البكريّين، يبدو منسوباً إلى معارضة الأخوة لأخوتهم البكريين. بينما المسؤولية المُناطة بهم، لا تبدو لهم أنها مفروضة.

كما نلاحظ في الجدول السابق، معدَّلين دالّين، إثنين، يسمحان بالتحليل التالي:

ــ يجد 20 ٪ من البكريين أن من الصعب تحمّل مسؤولية مطالب الأهل، كما يرون أن المشكلة العلائقية مع الصغار، تعود جوهرياً إلى المسؤولية التي تبدو «مفروضةً» عليهم.

ــ كذلك، يجد 10 ٪ أن الطلبات الوالدية غير قابلة للتحقيق. لكن ما يسبّب لهم مشكلات في مهمتهم كمسؤولين، لا تصدرُ دوماً عن العلاقة بالأخوة. يبين الاستطلاع أن البكريين يجدون مشكلتهم في تحقيق رغباتهم الشخصيّة.

تدرك هاتان الفئتان (م. ن.) أن المسؤولية واجب يقع عليهما، فيما يجد العشرون بالمئة أنها قد تحول دون بعض المشاريع الخاصة، الشخصية، وتعيق تحقيق مخطط عملهم، وكذلك مسؤوليتهم، في نظر 20 ٪ تُعتبر مفروضة.

وعلى غرار البارامترات الأخرى، درسنا المسؤولية المفروضة وفقاً للمتغيّرات الواردة آنفاً.

ـ المسؤولية المفروضة والمتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

جدول 80

(القيم ٪)

المسؤولية المفروضة	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
	47,3	26,6	30,3	50
	26,6	20	21,2	22
	10,5	16,6	15	11
	10,5	13		

حسب هذا الجدول، يتوافق البكريّون الذين يدركون أن المسؤولية المنسوبة إليهم «مفروضة»، مع المعدلات التالية (هذه الأجوبة نموذجها: الإجابات 1-0-1-0 عن الأسئلة المتعلقة بهذا الجدول):

26,6 ٪ من فئة الفقراء،

21,2 ٪ من الميسورين،

16,6 ٪ من المتوسطين،

11 ٪ من الأغنياء.

وحسب هذه المعدلات، يبدو أن الأغنى هم الأقل تحسساً بهذه المسؤولسة كفَرْض. وفي نظر أبناء الفقراء، المسؤولية تبدو معيقة لمخطط البكريين المستقبلي.

ـ المسؤولية المفروضة والمتغيّر الثقافي

جدول 81

مستوى جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
42,8	45	27,7	50
21,4	15	16,6	20
14,2	10	13,8	
	10	13,8	
	,5	11	

المعدَّلات المتحصّلة التي تعبّر عن إدراك مسؤولية مفروضة، هي التالية:

20 ٪ من بكريـي الآباء الأقل تعلّماً،

21 ٪ من بكريـي الآباء الجامعيين.

يبدو أنّ المستوى الثقافي، بذاته، لا يؤثر في إدراك البكريين، وفقاً لهذا الجانب من البارامتر. لكن هناك معدَّلاً لا بد من لحظه: إن 5 ٪ من البكريّين، ممن وصل أهلهم إلى المستوى الثانوي، يجدون أنَّ المسؤولية مفروضة. مما يعني أنَّ الأكثرية الساحقة من بكريـي هذه الفئة يجدون أن المسؤولية ليست عائقاً.

ربما يكون من المفيد التذكير بأنَّ البكريين المُستَجوبين هم من الصفوف المتوسطة والثانوية. ولو كان الأهل أكثر دعماً لبكريّيهم، فهل هذا يجعل مهمتهم كمسؤولين أقلّ وزراً؟ قد يكون السبب نفسانياً؛ وغالباً ما يمكن اعتباره مسؤولاً عن استمرار تراث عائلته.

والحال، فإنَّ إسقاط الأب، بالنسبة إلى رغبة التعلّم التي لم يتمكن هو نفسه من تحقيقها، لا يحمل المعنى الفرويدي: «الإزاحة إلى الخارج ما يرفض المرء الاعتراف به في ذاته أو بأنه ذاته»(1). فهذا مطلب جوّاني، مُسقَط على الإبن البكر الذي يُديم العائلة. في هذه الحالة، قد يكون التعلم أحدَ جوانب «الصورة المثالية» المطلوبة من البكْر. وطالما أن البكريين بلغوا درجة التعلم التي بلغها آباؤهم، يبدو أنهم يتحفزون بنوع خاص لمتابعة دراساتهم. وإن التوسع الاجتماعي للبكر يمكن أن يُثار، حينئذٍ، بفعل النفوذ الوالدي. وتكون غير مفروضة المسؤولية التي يرعاها الأب ويساندها ويصونها.

ـ المسؤولية المفروضة والمتغيّر الجغرافي

جدول 81

متغير مسقط الرأس

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
24	62,5	34,6	43,4	27,2
0_1_0_1 20	12,5	0_1_0_1 26,9	21,4	27,2
12	0_1 6,2		0_1_0_1	18
12	0_1		17,3	0_1_0_1 9

(1) LAPLANCHE et PONTALIS, Vocabulaire de la psychanalyse, op. cit., p. 349.

تُدرك المسؤولية كأنها مفروضة، بحسب المعدّلات المتعلّقة بأصول البكريّين.

وعليه، فإن بكريـي لبنان الشمالي هم الأقـل تحسساً بهذه المسؤولية كأنّها «مفروضة»؛ وهذا ما يتطابق مع المعدل المتحصّل في الجدول 77، ويؤكّده.

كما أن البكريين المتحدّرين من البقاع يجدون أن المسؤولية ليست عائقاً. وتبرير ذلك: «أن كل الصبيان يدعمهم الأهل، مع اهتمام خاص بالبكر». الأمر الذي من شأنه أن يجعل من الصعب على بكريـي هذه المنطقة، ممارسة المسؤولية على الصغار، دون أن يروها مفروضة عليهم.

ـــ مكان الإقامة

جدول 82

مدنيّون	ريفيّون
35,5	30,6
1_0_1_0 16,0	1_0_1_0 20 ,4
13,5	10,2
11,8	

يحسُّ 16,9 ٪ من المدنيين و 20,4 ٪ من الريفيين أن المسؤولية يمكنها أن تكون مانعاً لحريتهم. لكن العدد الأكبر من هاتين الفئتين من البكريين يتصوَّرون أن المسؤولية امتياز.

استناداً إلى تحليل هذا البارامتر، يبدو أن إسقاط الرغبات التي لم يستطع الآباء أنفسهم تحقيقها، يجري إدراكه والشعور به كأنه حافز لنجاح البكْر.

في بعض المواقف، تبدو مسؤولية البكر كأنها مفروضة؛ لكنها تبقى، عموماً، عاملاً يعزّز لديه الحياة العلائقية ويساعده على الإلتزام بحياته المستقبلية.

(ج) المسؤولية المقبولة

كيف يعيشُ البكرُ المسؤولية ومضامينها، مدفوعاً بالأماني والامتيازات الوالدية التي يعيها؟ إن حصيلة دراسة الاستمارة الموجهة إلى البكريين، ما بين 14 ــ 18 سنة، أعطت المعدّلات التالية:

جدول 83

خلاصة القيم الدّالّة (القيم ٪)

مسؤولية مقبولة	موقف البكر	
	51	15
	26	

وعليه، فإنّ 51 ٪ من البكريين يحسّون هذه المسؤولية كأنها حُظوة. فكل شيء يبدو متضافراً لأجل نجاحهم. فهم يشعرون بأنهم الأولاد المميَّزون: وأن المطالب الوالدية غير «قاسية»؛ ويعتبرون أنفسهم. متفهّمين للصغار الذين يلجأون إليهم وقت الصعاب، كما يرون أنهم أنضج من الأخوة.

أخيراً، هم «سعداء بكونهم بكريين». الأمر الذي سيمكنه الإنطواء على «حوافز تكون عموماً لا واعية، وآلياتٍ دفاعية متشابكة ومعقّدة»(١)، صارت بالنسبة إلى البكر معايير سلوكيّة. مما سيجعلهم يعتمدون مسالك دفاعية شتّى، لكي يصونوا حقهم ويتقيّدوا بدورهم البِكْريّ.

(١) Alex MUCCHIELLI, Les motivations, P.U.F., Que sais-je? No 1949, Paris, 1981, p. 31.

ـ كما أنَّ 26٪ من البكريين يشعرون بسعادتهم بكونهم بكريين، كما يرون أنهم متفقون مع الصغار، على الرغم من المصاعب التي يصادفونها في تحقيق هذه المطالب الوالدية، مما ينطوي على إرادة تحمل مسؤولياتهم، على الرغم من المشاكل التي يمكنهم مصادفتها.

ـ إن تحمّل مسؤولية أمرٌ صعب، مما سيجعل الـ 23٪ الباقين من البكريين، يتردّدون وحتى يرفضون هذه المسؤولية: يرى البعض أنَّ ليس من واجبهم التفهم؛ ويرى آخرون أن الحماية ليست في متناولهم. مما يجعل 11٪ يقولون إنهم ليسوا سعداء بكونهم بكريّين.

هل تؤثّر المتغيّرات المُعتبرة في إدراك البكريين لهذه القيمة؟

ـ المتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

جدول 84

(القيم ٪)

فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
57,8	50	33,3	77,7
21	33,3	30,3	11
		12,1	

والحال، فإنَّ الأغنى هم الذين يعتبرون أنفسهم الأكثر حظوة بكونهم مسؤولين.

لكنَّ الميسورين أعطوا أضعف المعدّلات بالمقارنة مع الفقراء والمتوسطين. الأمر الذي لم يعد يسمح بالتشكيك بمستوى الأهل الاجتماعي ـ الاقتصادي بوصفه عاملاً مؤثراً في قبول المسؤولية أو رفضها.

ـ المتغيّر الثاني

جدول 85

(القيم ٪)

مستوى جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
50	60	41,6	56,6
21	25	30,5	23,3

لا يبدو أن المستوى الثقافي للأهل يشكل عاملاً مخفّفاً للمسؤولية المنسوبة إلى البكر، والمنظور إليها كأنها حظوة.

ـ المتغيّر الجغرافي: مسقط الرأس

جدول 86

(القيم ٪)

لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبـل	البقـاع
33,3	68,7	42,3	65,2	54,5
33,3	18,7	20	26	
12,5				

وعليه، فإن البكريين المتحدّرين من لبنان الشمالي يبدون الأكثر إشكالاً في النظر إلى المسؤولية كحظوة.

ـ مكان الإقامة

جدول 87

مدنيّون	ريفيّون
52,5	48,7
22	31,7

يبدو أن المدنيّين والريفيين يعتبرون المسؤوليةَ امتيازاً، مع استحسانٍ أكثر من جهة الأهل، سكان المدينة: إن 52,5 ٪ من البكريين المدنيين، مقابل 48,7 ٪ أدلوا بتصريحات أكثر دلالةً بهذا الصدد. وعليه، يمكن القول:

بصرف النظر عن وضع الأهل، المدروس بموجب المتغيّرات المعتمدة، لاحظنا أن عدداً كبيراً من البكريين يعتبر المسؤولية تفويضاً إجتماعياً مقوّماً.

والخلاصة أن البكريين واعون لمسؤوليةٍ مفوَّضة، ومقبولة من الأغلبيّة، وتبدو فوق ذلك مشجِّعة لشعور عميق، هو عدم الاطمئنان. وإن عدم الاطمئنان لدى البكريين الذين يرون المسؤولية مفروضةً، يُترجم بصدٍّ معيَّن، وتهرّب من الواجب. يُنكر البكرُ دورَه كبكْرٍ ويجد أن المتطلبات الوالديّة صعبة، فيعتبرها عقبةً أمام سلوكه.

وترى هذه الفئة من البكريين أن المسؤولية تهديد لأمنهم، فينزعون إلى الدفاع عن ذاتهم برفض دورهم. كما أنهم يردّون بأفعال عدوانية. وهذا شأن خاص بالدفاع الشخصي عن الذات.

أما في حال اعتبار المسؤولية كتفويض مقوِّم اجتماعياً، فإن القبول بها

يمكنه أن يولّد شعوراً بتقدير الذات. إذ إن البكْرَ يعيش في جو عاطفي يُعَدُّ فيه الكبير، سند العائلة، ثاني الأب، ولكنَّه ينزع أيضاً إلى القيام بدوره كمسؤول، بحيث يكون الاطمئنانُ والتقويم الذاتي في خطرٍ دائم، وبصعوبة، سيتقبّل فشلاً من شأنه أن يكون كارثياً عليه؛ حتى إن نجاح الآخر من شأنه أن يولّد لديه تجمُّد قدراته.

خلاصة

والحال، فإن البكْرَ يجد نفسه أمام وضعين:

ـ **في حال الفشل**، يمكن أن يتّسم البكْرُ بقدوة اضطرابات. ويمكنه أن يتقبل الفشل، من جهة، بتحويله علاقةً سوائيّة مع المسؤولين عنه. الأمر الذي يُفسّر بشعور مُموَّه بالفشل. ومن جهة ثانية، ينزع البكْرُ إلى البحث عن وضع سيتمكّن فيه من تحقيق نجاح. مما ينطوي، لديه، على شعور بالمعاوضة.

كما أنَّ الفشل يمكنه أن يدفعه للتصرّف بعنف ضد المعتدي، فينزع البكرُ آنئذٍ إلى تنظيم سلوكٍ متكيّف مع الوضع المفروض، وتغدو المسؤولية في نظره القوّة لانطلاقةٍ جديدة. فالتأقلم مع الوضع يضع بتصرّفه القدرة المفوَّضة والسلطة المنسوبة، حتى يكافح ضد الشعور بالفشل حيث «يبدأ يشككُّ بذاته، ويحسّ بأنه محروم»[١]. هذه المسؤولية، المضاعفة بالقدرة وبالمسؤولية، تساعده على العمل، ليس فقط بمقتضى نزواته الخاصة وحسب، بل أيضاً بموجب نزوات الآخر. ويمكن أن تُثار مسلكيّته بمحتوى التحفيز، فيتصرَّف كمسؤول لحل مشكلة الآخر، وكذلك، لتوكيد قوّته. «ينبني الأنا معتمدةً على الصراع»[٢]. والبكرُ يستعملُ الفشل كسبيل جديد نحو إعادة تقويم الذات.

(١) Jean LACROIX, L'échec, P.U.F., Paris, 1969, p. 86.

(٢) Heinz HARTMAN, La psychologie du moi, P.U.F., 1968, p. 8.

ـ في حال النّجاح، يمكن اعتبار المسؤولية بوصفها مضْهراً للتحقق والتقويم الذاتي. ويمكن أن تتّسم شخصيّةُ البكر بسمة تأكيد الذات، وتحقيق تنوّع القوى التي تملكها شخصيتها بالقوّة. ويمكن أن توضع القدرة والسلطة في تصرّف المسؤولية التي ستتحقّق بقدْر ما يساعد تطوّر هذه التفاعلات على وحدة مسلكه، وبقدْر ما تكون التفاعلات متوافقة مع المطالب الوالدية؛ «إنَّ ضغط عوامل البيئة على التباين بين الأفراد، يمكنه أن يكون كبيراً نسبياً، على قدْر هامش الحياة وتغاير ظروفها في المجتمع المدروس»[1]. ويمكن أن تكون المسؤولية الناجحة تحقيقاً لجانبٍ على علاقةٍ بالصورة الوالدية.

دون أنْ ندَّعي أن البكر يمكنه أن يكونَ الرجل المثالي، رجل المشروع، فهو الأفضل موقعاً لتحقيق الصورة المثالية التي ينشدها الأهل، وللحفاظ على هويّته وتأكيدها. إنها هويّة متأثّرة بالصورة التي يكوّنها الأهل عنه، نعني الأب والأم والأخوة الصغار، وفقاً لتصوّر لاكان: «في الأهل، الأنا آخر»[2]، فهو صورة يسقطها الغير، ويتحملها الذات.

إن استبطان العلاقة هو استبطان لعلاقة البكر بالبيئة. وحين تأتي هذه العلاقة لتوطيد تأكيد الذات وتقويمها، أو تكون معرَّضة للفشل، فتجرّ البكْرَ إلى تبخيس نفسه، بحيث يجد نفسه معنياً بالفكرة التي تُكوَّنُ عنه. الأمر الذي يقوّي ويشكّل لديه، أناً مطبوعاً بالعمليّات الدفاعية المشحونة جداً بالعواطف. إن تحقيق تفوّقه على الأصغر منه «سيؤدي بالضرورة وحتماً إلى صراع وخصومة»[3]، كما يوطّد شعوراً بالتكيّف، مع إبقاء «مسافة تسمح في آنٍ بصون

(١) M. REUCHLIN, **La psychologie différentielle,** op. cit., p. 190.

(٢) Jean LACAN, **L'Agressivité en psychanalyse,** in R.F.P., 1948 XII, p. 386.

(٣) R. DREIKURS, **La psychologie adlérienne,** Bloud et Gay, Paris, 1971, p. 118.

هويّته، . . . ، والشعور بالأمان والاستقلال الكافي»(١).

وقد تكون المسؤولية مصدراً ديناميكاً لسلوكات البكْر، فهي تحقِّقُ اندماجه الخاص مع الأخوة، مثلما تسهم في تكييف وتوليف حياته العلائقية التبادلية. كما أنها تكون عاملاً فاعلاً في تحقيق الذات، دون الإنكار «أن الشخصيّة الإنسانيّة هي بناءٌ ينزع إلى الوحدة، لكنها ليست متأكدة من بلوغها»(٢) □

● ● ●

(١) Alex MUCCHIELLI, **Les réactions de défense,** op. cit., p. 77.

(٢) **Janet**، ورد عند:

N. HUTEAU, **Les conceptions cognitives,** op. cit., pp. 298-299.

الفصل الحادي عشر
القُدوة

تمهيد

□ أنتَ النموذج، المَثَل الصالح، كبير أخوتك؛ بهذه الألفاظ تكتمل أقوال الأهل، عندما تكون مطالبهم صعبة القبول أو التحقيق من قبل البِكْر. الأمرُ الذي ينطوي على مجموعة نعوتٍ، سمَّيناها «القدوة».

في المقام الأول، يكمن أحدُ أهداف البكر في تلبية طلبات الأم والأب، على قدْر ما يكبر، وترتدي الوسيلة المستعملة أشكالاً شتى؛ إلاّ أنَّ الكلَّ ينصبُّ على مخطط ــ مرشد (دليل) هو تحقيق «الصورة ــ المثالية». إنطلاقاً، يجري توسّل البكر بحبّ الأم، وبالتقدير والإحترام الأبوي وشتى الامتيازات التي تُمنح له، فيدخل في منظومة القيم الوالديّة. وعلى الرغم من الصعاب التي يواجهها، ومن المجابهة المستديمة، فإنه يحاول تجاوزها أو رفضها. مما يولِّدُ وعياً، مترجماً بحياته العاطفية ــ العلائقية.

بما أن الإستمارة هي سبيل المقاربة المستعملة لأجل البكريين بين 14 و 18 سنة، فإن إدراكَ الذات سيُدرس في فحص الإسقاط الذاتي والتماهي، من خلال دراسة الترابط بين الأسئلة.

إن القدوة، على غرار البارامترات الأخرى، مدروسة بموجب المحدِّدات أو المتغيِّرات المعتمدة، بعد توضيح البِكْر في إطاره العائلي.

في مرحلة أولى، سنعرضُ الصورة التي يكوِّنها ويتمنَّاها الأهل للبكر، وتلك التي يكوّنها عنه الأخوة. ومن ثَمَّ، سندرس الإدراك الذاتي للبكر وموقفه، من خلال حياته العاطفية ـ العلائقيّة. وعلى الرغم من كل التباينات الممكنة، الواعية أو اللاواعية، التي يمكنها أن تنجمَ عن الأجوبة، سيجري إعلان صورة الذات كما يدركها أو كما يتمنّاها.

صحيح أن تفاوتاً يمكن وجوده بين ما هو عليه وما يعلنه، لكنَّ المؤكَّد هو أنَّ صورة الذات المتحققة أو السائرة على طريق التحقق، هي التي يتمنّى البكرُ إمتلاكها.

1. القدوةُ والأهل

الأهل هم فاعلون بالقوّة «للصورة ـ المثالية». فعلى الرغم من كل مشكلة تُصادَف مع البكر، يظلّون هم حامل القيم.

إن الصورة التي يكوّنها الأهل عن البكر، في ظل تأثيراتهم، يجري إدراكها كأنها مفعمة بالقيم، فهو الإبن الذي تقع الواجبات على كاهله، ويُرى أنه «الكبير»، صاحب الامتيازات الكثيرة، ومنها القدرة والسلطة والمسؤولية؛ وهو يُعَدُّ مزوّداً بقوةٍ وقادراً على تأكيد حاجاته ورغباته الخاصة.

فإلى أي حد يمكنه الإقتدار على التوفيق بين «النموذج الصالح للأخوة» ونموذج المسؤول بعد الأهل، بنحوٍ ما؟ هذا ما سندرسه من زاوية الإدراك الوالدي.

إن الطلب من شخصٍ ما أن يكون المثل الصالح، إنما يدفعه إلى التصرّف

بطريقة مناسبة لذلك. «يعتمد وعي صورة الذات على نظام القيم الذي تقدّمه الصورة ــ المثالية، والذي تنهض عليه طريقة وجوده في العالم»[١]. وهكذا، تحت تأثير الأب، سيقوم الإبن البكر بتحمل مسؤولية الرغبة الأبوية. وستغدو القدوة واجباً عليه؛ ومع وعيه لمرتبة ولادته، يكتسب هويَّتِهِ المفعمة بقيمٍ، منها القدوة: «ينطوي وعي الذات دوماً على وعي ردّ الفعل الذي سيكون للآخرين تجاهه، إلى جانب شخصه الخاص»[٢]. سيوصف سلوك البكر بالقدوة بقدْر ما يتطلب الأب ذلك. صحيح أن تلبية المطالب ليس أمراً سهلاً، وعند الإمكان، ينجم عن ذلك بعض الصراعات. مما سيمدُّ البكرَ بشعورٍ يتأرجح، داخلياً، بين قطبين: تحقيق الذات، ومثال الأنا، المتجسدين من جهة بالأب الذي يمثل صورة السلطة والرجولة، ومن جهة ثانية بالبكر نفسه، الذي تعصفُ به طاقاته الخاصة، والذي ينزع إلى تحقيق ذاته. وهذا ما سيُترجم بحياته العلائقية، كما سنرى لاحقاً.

(أ) القدوة وإدراك الأب

نرى أنَّه أحد الأسئلة المهمة جداً، المطروحة على الأهل، لأنَّه يدخل الأهل مباشرةً في جوهر المسألة: «هل يجب على البكر أن يكون المثل الصالح للصغار؟» (**الملحق** I، س 8 ــ أ). للردّ على هذا السؤال، نفترضُ أن الأهل يقومون بجردةٍ سريعة، مستندين إلى المطالب التي يرغبون فى أن يحققها البكريّون، كما يستندون إلى قدرة البكريين على أدائها، وأخيراً يستندون إلى واقع حياة البكريين، المترجم بالعلاقة الطيّبة مع الأخوة.

إن تحليل هذا السؤال أعطى النتيجة التالية:

---

(١) Raymond CHAPPUIS, **Les relations humaines,** op. cit., p. 48.

(٢) René SPITZ, **Le non et le Oui,** op. cit., p. 92.

جدول 88

إدراك الآباء	السؤال 8 أ
القيم ٪	99

وعليه، فإن 99 ٪ من الآباء يرون أنَّ على البكر أن يسلك سلوكاً نموذجياً. مما يفسّر من جهة ثانية الـ 90 ٪[١] من الآباء الذين يكنّون الاحترام للبكر، وأن 85 ٪ يعتزّون بسلوكه.

(ب) القُدوة والأم

لاحظنا في عدة مناسبات، أن الأمهات ترى في بكرها خَلَفاً يعيد إليها الشّرفَ المطلوب، ويرفعهن إلى درجة رفيعة من إعادة التقويم الاجتماعي. إن أمنياتهن الكثيرة، ومنها السلطة، القدرة، والمسؤولية وسواها، تنصبُّ كما نظنّ، في رغبة واحدة، مترجمة بالجهد الرامي إلى أن تجعل من بكرها «النموذج والمثل الصالح» للأخوة وبيئتهم؛ الأمر الذي سيجعلهن فخوراتٍ به.

ودون رجوع إلى تفاصيل مطالب الأم، سندرس إدراك الأمهات للقدوة المنشودة والمطلوبة من البكر، عبر السؤال التالي 8 أ: «هل يجب عليه أنْ يكون المثل الصالح للصغار؟».

(١) انظرْ الملحق II، س 8 ب: «هل الأهل يحترمونه أكثر من الصغار؟»

جدول 89

قدوة البكر	إدراك الأم س 8 أ
القيم ٪	99

والحال، فإنَّ 99 ٪ من الأمهات يرغبن في أن يكون البكرُ المثلَ الصالح للأخوة، فالأم هي الشخص الأول الذي سيمكنه نقل هذه الأمنية الأولية من خلال الصورة ــ المثالية.

إن مطلبَ القدوة سيوقظ لدى الطفل صراعاً واعياً، إذ لا يمكننا السلوك بموجب نموذج معين، إذا كنا لا نريده. «هكذا سيكون الصراع والوعي مترابطين، ويرتسمان في الشخص، بوصفهما تاريخه، حماساً للذات وإندراجاً في الكل»[١]. الأمر الذي سيضع البكرَ أمام سلوكٍ وجودي.

إلى أي حد سيتمكّن من إلتزام الإسقاطات الأمومية وتحقيق الصورة ــ المثاليّة؟

البكر، المدفوع بدافع الحب الأمومي، وبالثقة المتبادلة بين الأم وبينه، كيف سيشارك في معايير القدوة الأموميّة؟

ينزع كل فرد إلى العبادة الشخصيّة، والبكرُ، إذْ يستفيد من امتيازاته، سيستعمل كل إمكاناته والقناعات الأمومية. وسيتماهى بهذا المثال، ويسمح لأناه الأعلى بأن يتحقّق، وفقاً للمبدإ الفرويدي: «تصدر مختلف وظائف الأنا

(١) A.-M. ROCHEBLAVE-SPENLE, **Psychologie du conflit**, op. cit., p. 26.

الأعلى عن استبطان شخصٍ خارجي، وتماهٍ به»[١]. وسيعزو البكْرُ إلى أناه الأعلى الوظائف الانعكاسية والأماني الأموميّة التي تتطابق مع «الموقف الذي يمكننا إتخاذه، لو كنا ننظر إلى أنفسنا مثلما ينظرُ إلينا الشخصُ الخارجي»[٢]. وبنحو خاص، هل سيلتزم البكرُ القدوةَ وفقاً لمنظومة القيم الأمومية؟

٢. القدوةُ والأخوة

لوحظت مواقف الأخوة من قدوة البكر، وفقاً لإدراكهم السلوك الحسن للبكْر وللمطالب التي تفرضها البيئة. أعطى تحليل الأسئلة الموجهة إلى الأخوة، المعدَّلات التالية:

جدول 90

(القيم ٪)

قدوة البكر تحليل خطي	موقف ثواني البكر تحليل تركيبي	
هل البكر:		
10 ــ أ: قاس؟	نعم 14	
	كلا 86	
10 ــ ب: عادل؟	نعم 100	84 ←
	كلا 0	
10 ــ ج: أناني؟	نعم 8	
	كلا 92	

(١) م. ن.، ص 67.

(٢) جورج هـ. ميد، ورد عند روشبلاف، م. ن.، ص 67

وعليه، فإن 84 ٪ من ثواني البكر يعتبرون الأخ البكر هو في آنٍ: كريم، غير قاس وعادل. وإن سلوك البكر يُعَدُّ «مثالياً»، مما يلزمنا على التسليم بأن ثاني البكر يراه بمنزلة الولد النموذجي. الأمر الذي جعل 88 ٪ من ثواني البكر، يقولون إنهم يحترمون الأخ البكر أكثر من الصغار (رداً على السؤال 15 من الملحق II: هل تحترم بكركَ أكثر من أخوتك الصغار؟» الجواب 88 ٪).

جدول 90

(القيم ٪)

قدوة البكر تحليل خطي	موقف ثواني البكر تحليل تركيبي		
هل البكر: 10 ــ أ: قاس؟	نعم	72	22
	كلا	17	20
	لا جواب	11	13
10 ــ ب: عادل؟	نعم	61	
	كلا	22 ←	
	لا جواب	17	11
10 ــ ج: أناني؟	نعم	54	8
	كلا	26	
	لا جواب	20	

بنوع ما، يختلف موقفُ ثواني البكر عن ثانياته. إذ يرى 20 ٪ منهن أنَّ البكر أناني، قاس، لكنّه عادل. يراه 13 ٪ عادلاً، غير أناني، لكنه قاس، ويعتبره 11 ٪ عادلاً، غير أناني، لكنهن يتردّدن في القول إنه قاس. في المقابل، يحترمه 100 ٪ (الملحق II، س 15 = 100 ٪، م 2/5).

جدول 92

(القيم ٪)

قدوة البكر تحليل خطي	موقف الصغار تحليل مركَّب				
هل البكر:	نعم	83		54	14
10 ـ أ: قاس؟	كلا	13			
	لا جواب	4			
10 ـ ب: عادل؟	كلا	81	←	9	
	نعم	13		7	
	لا جواب	6		5	
10 ـ ج: أناني؟	نعم	74		4	
	كلا	15		4	
	لا جواب	11		4	

وعليه، فإن 54 ٪ يرون البكر أنانياً، قاسياً، لكنّه عادل. ويرى 9 ٪ أنَّه عادل، غير أناني، ولكنّه قاس. ويعتبره 7 ٪ قاسياً، لكنّه عادل، دون التمكن من الحكم على أنَّه أناني. في المقابل، يحترمه 91 ٪ (الملحق II، س 15) أكثر من الأخوة والأخوات الآخرين. ومهما تكن نعوتُ الأخوة للبكر، فمن شأن التماهي بالبكْر أن يكون مقياساً للقدوة التي يرونها فيه. جرى توجيه السؤال التالي إلى الأخوة: «هل كنت تفضّل أن تكون البكر؟» (الملحق I، س 16)، فكانت النتائج التالية:

جدول 93

(القيم ٪)

س 16	ثواني البكر	ثانياته	الصغار
نماذج الأجوبة:			
ـ نعم	15	25	79
ـ كلا	55	60	9
ـ لا جواب	0	15	12

والحال، فإن 45 ٪ من ثواني البكر، مقابل 55 ٪، كانوا يفضّلون أن يكونوا البكرّيين. هذا يمكنُ تفسيره برغبةٍ في التماهي بالبكر، وهو «الكبير»، «ثاني الأب»، «المقدَّر...»، الذي «يحقّ له كل شيء». ويمكن أن يعود الرفضُ إلى التنافس القائم بدرجةٍ أشدَّ من الصغار، نظراً للفارق العمري بين البكريين وثوانيهم. ولكن، أليس هذا وجهاً آخر لإرادة المرء في أن يكون كبيراً، حتى يكتسب الحبَّ الوالدي والأخوي؟

تبتعد ثانياتُ البكر عن التماهي بالأخ البكْر، بسبب الجنس. ونلفتُ إلى أن الأخوات يحترمنه بوصفه بكراً، صاحب إمتيازات، بينما يقتربُ الصغار منه أكثر، وينزعون إلى التماهي به: تمنّى 79 ٪ منهم أن يكونوا بكريّين.

ينظر الأخوةُ إلى قدوة البكْر من زاويتين: فمن جهة، القدوة واجب على البكر؛ وأمام كل مخالفة أو عجز من طرفه، يدخل الصغارُ في تنافس معه، وينزعون إلى خلعه. ومن جهة ثانية، القدوة سمة من سمات شخصيته. يميل الصغار إلى التماهي بـ «قوّته الكلية».

ماذا يمكنُ أن تكون استجابة البكر (رد فعله) بمواجهة الأخوة المنافسين له والأخوة المعجبين به؟ في نظره، يمكن للقدوة أن تكون مصدراً لحافزين. بذل الجهد حتى لا يفشل، والحفاظ على موقعه من جهة؛ ومن جهة ثانية، تحقيق ذاته بالتكيف والتزام القيم التي تؤمن بها البيئة العائلية. الأمر الذي يفسح في المجال أمام ظهور آلية دفاعٍ وصراع. ويمكن أن يغدو البكرُ مهدَّداً حتى في التقويم. فيتمكن عبر التأثير الوالدي، من تحقيق ذاته؛ وهو يعلم أنَّ أحد أسس الحياة الاجتماعية هو جَبْهُ الكائنات التي تدأبُ على تحقيق حوافزها(١). إن قدوة البكر ستجعله مختلفاً عن الأخوة، وصورةَ طفلٍ مميّز.

3. القدوة والبكْر

يُتوقَّع من البكر أنْ يمتثل للصورة المثاليّة. وتكون القدوة هي تحقيق وتحيين هذه الصورة المُسقطة عليه. وإن طلب القدوة من البكر هو بذاته حافز هيمنة وتقويم. ويبدو أن تحقيق ذلك يجري في مناخ نفوذ وتفوّق، مما يثير دوماً لدى البكْر بعض المحابطات للحصول على إشباعات: «كل تحيين للصورة يفترضُ إعادة تكوين تنطوي على جانبٍ من تجديد الإستباق أو الإستباق بالمعنى الدقيق»(٢).

البكرُ، كيف يعيشُ القدوة في جوّ أخطار وعدم إطمئنان، هو مصدر نزاعات وقلق؟ إن أحد الأسئلة المطروحة، سيضع البِكْرَ أمام القدوة المطلوبة: «هل يعتقد أنَّ على البكر أن يكون مثالاً لأخوته؟».

---

(١) Alex MUCCHIELLI, **Les motivations**, op. cit., p. 123.

(٢) Jean PIAGET, **L'Image mentale chez l'enfant**, P.U.F., 1966, p. 417.

جدول 94

القدوة كما يراها البكر	س: 5/ أ (الملحق I
القيم ٪	96
	4

وعليه، فإنَّ 96 ٪ من البكريين يرون القدوة مطلباً وواجباً. ومن المؤكَّد أنَّ كسبها استلزم سلسلةَ مسالك، محفِّزة وموجِّهة منذ طفولة الفرد.

في تقنيّة عملنا، جرى رصد هذه الكيفية السلوكية لدى البكريين الشبّان، من خلال الأسئلة المختارة لهذه الغاية: نعني الأسئلة الستة الأولى (1-6، الملحق I) الموجهة إلى البكريين ما بين 9 و 13 سنة، والتي تثير ذكريات الطفولة الأولى، حيث يتجابه سلوكُ البكر مع سلوك الصغار. هذ السلوك جرى تقديره بالسؤال (2، الملحق): «لا تفعل هذا، لا تفعل ذلك... سيقلِّدُكَ أخوتك»، الذي كانت نتائجه كما يلي: القدوة لدى البكر ≶ 13 سنة.

جدول 95

(القيم ٪)

إدراك: س 2 أ	نعم 98
	كلا 2
موقف: س 2 ب	يفرح 50
	يزعج 48

وعليه، فإنَّ 98 ٪ من البكريين يرون هذه القدوة كمطلب. ولكنَّ هذا المنع الذي يفرح الكبار أو يزعجهم، فإن سببه الواعي أو غير الواعي، المعبَّر عنه، هو التنافس على الحبّ الأموميّ. وإن 94 ٪ من البكريين، ما بين 14 ـ 18 سنة، يواصلون رؤية هذه القوّة على أنها واجب. وربما يمكن للدوافع أن ترتدي رداءَ تعبيرٍ أرفع: التقدير، القوي، الكبير من جهة، والخوف من الخلع من جهة ثانية هو دافع يجعله يتخطّى كل ممانعة، بهدف «إرضاء» البديل الأمومي أو المشيئة الوالدية. «ينهض تقديرُ الذات من هذا التكيّف الخلّاق للمعاني التي تتخذ تدريجياً حجمَ القيم الجوهرية ووزنها»(١)، أي الصورة المثالية.

هل للمتغيّرات المعتمدة تأثيرٌ في هذه القيمة؟

4. القدوة والمتغيّرات

(أ) المتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي

جدول 96

موقف البكريين	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
القيم ٪	100	100	87,8 12,1	100

يرى مئة بالمئة من البكريين، من أبناء الفقراء والمتوسطين أو الأغنياء، أن القدوةَ واجب؛ فيما 12,5 ٪ من بكريي الميسورين لا يرونها واجباً، مقابل 87,8 ٪ يرونها واجباً، وعليه، فإن المتغيّر الاجتماعي ـ الاقتصادي لا يبدو ذا دورٍ خاص مؤثّر في القدوة المطلوبة من البكر.

(١) R. CHAPPUIS, La psychologie des Relations humaines, op. cit., p. 51.

(ب) القدوة والمستوى الثقافي

جدول 97

موقف البكريين	مستوى جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
القيمة ٪	100	95	94,4	96,6

لا يبدو مستوى الآباء الثقافي مؤثراً في البكر؛ إذ إن القدوة تبدو مطلوبةً من الأهل بصرف النظر عن هذا المستوى.

(ج) القدوة والمتغيّر الجغرافي

ـ مسقط الرأس

جدول 98

موقف البكريين	لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	ساحل (ساحل لبنان)	الجبل	البقاع
القيم ٪	87,5 12,5	100	96,1	100	100

والحال، فإن القدوة تُعَدُّ واجباً، هنا أيضاً، بصرف النظر عن مسقط رأس الأهل.

ـ مكان الإقامة

جدول 99

موقف البكريين	مدنيون	ريفيون
القيم ٪	94,9	97,5

عليه، فإنَّ مكان الإقامة لا يدخل هو أيضاً، في إدراك القدوة. ويبدو أنها لا تُطرح في مستوى المتغيرات المعتمدة والمعلّلة؛ فهي تتعدّى هذه المفاهيم وربما ترجع إلى القيم المنتمية إلى الطبيعة البشرية، التي ينزع إليها الإنسان في سبيل الكمال. وتختلف حالةُ البكر عن الحالات الأخرى، بكون الأهل يدعمون هذا الولد ويتطلبون منه «المثال»، بصرف النظر عن مستواهم الثقافي، الإقتصادي أو الجغرافي، وتبدو القدوةُ في آنٍ واجباً مُراداً للبكر، ووسيلة له وضرورة، نظراً لمرتبة ولادته، حتى يحقق الصورة ــ المثالية التي تقع عليه □

خــلاصــة

بأية طريقة يجري تطور شخصيّة البِكْرِ وفقاً للقدوة المطلوبة؟ وكيف تتحقق هويّته؟ هل يتمكّن من تحقيق الصورة المثالية والتماهي بها؟ باختصار، ما هي الصورة التي يكوّنها البكْرُ عن نفسه؟

إن الشخص الإنساني يكون «أولاً وأساساً، موضوعياً قيمياً. فلا يمكن وجوده، أي بناء ذاته واستمراره، إلاَّ بوصفه حاملاً للقيم»(١). وبصفته هذه، ينقاد البكرُ لتوظيف القيم، فيصنع نفسه ويكتسب بعضَ الحقائق التي تغدو مخططاتِ سلوك.

وهكذا، يعيش البكر، طيلة طفولته الأولى، على القدوة لا بوصفها قيمةً بذاتها، بل كجواب عن المطالب الوالديّة؛ وهو يقوم بها لمصلحة فوريّة:

(١) R. PERRON, Modèles d'enfants, enfants modèles, op. cit., p. 19.

مصلحة إرضاء الأهل حتى لا يفقد حبَّهم. فالقدوة لم تصبح بعد طريقة سلوكية في نظره.

إنما يكونُ البكرُ محمولاً على أن يعيشها، لا غير. وهي تغدو ضرورةً، يومَ يصبحُ واعياً دورَه البكريَّ وما يفرض عليه من امتيازات. وخوفه من الخلع عن عرشه، يسهم في اختياره القدوة. كما أن المسار الغريزي نحو التقدير الذاتي، والقوّة والهيمنة، تحمله كلها على السلوك كطفل نموذجي. فهو يشارك في مجمل القيم الوالديّة التي «تبدو مسيَّرةً لحياته، ومانحةً له قيمته. وهذا ما يحدّد نموذج الإنسان الحقيقي الذي ينكبّ على تحقيقه»(١). الأمر الذي سيمنح البكرَ موقفاً خاصاً بمقتضى القدوة.

فلا يكفي المرء أن يريد حتى يستطيع؛ وإذا كان البكرُ ميّالاً إلى التماهي بالصورة ــ المثالية، ففي أي مقدار يُكتب له النجاح؟

إن اقتراح وفرض بعض النماذج السلوكية على البِكْر، إنما يدخلان حياته العاطفية ــ العلائقية في وضع يشعر فيه أنه مندرج في نظام القيم. وعلى قدر ما يعي دورَه، يجد نفسه مُسيَّراً ومدعواً إلى تحقيق الإسقاطات الوالديّة، وإلى التماهي بالصورة ــ المثالية. على غرار حلقة مفرغة، يندغمُ التمثّل الذاتي الفعَّال بالصور الوالدية. وهذه الصور تحمله على تركيز حياته العلائقية حول محور نظام القيم، نظراً لأنه هو البِكْرُ، وإن ما يصدر عنه من تماهٍ، يبني صورة الذات: فما يكون محترماً، يكون مرغوباً فيه ومنشوداً؛ إذ إن المرغوب محبوب. وعندئذٍ يخاطر البكرُ في الابتعاد عن الأعراف الاجتماعية، ولكنَّ موقف الأخوة ألا يكونُ القوّة التنافسية التي تُعيد البكرَ إلى قدوته؟

يكبرُ البِكْرُ وسط تأرجح معيَّن بين الصورة ــ المثالية وتحقيق أناً تكون فيه الرغباتُ الخاصة ذات حضور فعّال. هذا الكل سيجري إدراكه وعيشه طبقاً

---

(١) م. ن.، ص 229.

للمطالب التي تحرّك سلوكه، والتي تغدو حوافزَ حياته العلائقيّة. «إن بنية الطابع والشخصية هما مثل ألفاظٍ تصفُ التفاعلات النموذجية للفرد رداً على سياق شخصي تبادلي خاص»[1]. هذه العلاقات تمرُّ من خلال إكتمال الأنا؛ وبدورها «تولّد، في مسار دائري، داخل الأنا بناءً متصاعدَ الكثافة، يكتسب فعاليته بفضل اندماجه التدرّجي»[2]. والبكر، الواقع بين القوّتين، سينمّي شخصيّةً، تكونُ نتاجَ الاستجابة الواعية لقيمته الخاصة، والاستجابة الواعية التي يردّ بها الآخرون عليه.

يوماً بعد يوم، ينمّي البكرُ شخصيّةً موطّدةً بتفاعل الذات والبيئة، وهكذا، تولّد صورةُ ذاتٍ مقوّمة وبيئةٌ متطلّبة، غيريّةً معيّنةً لديه. لكن العلاقة الإنسانية ألا تفترضُ غيريّةً ما؟ إنها في دلالتها العميقة «شرط الوعي الذاتي ووعي الغير»[3]، وقد تكون شرط تماهيه.

فهو من حيث مرتبة ولادته، عليه أن يكون «المثال الصالح، القدوة» للأخوة، حسب المطالب العائلية. عندئذٍ، ينزع البكرُ إلى تحقيق الصورة ــ المثالية المُسقَطة عليه. ويفرض نفسه هذا المسار الاجتماعي على البكر، ويحمله إلى التماهي بالأشخاص المحبوبين، بدائل الصورة ــ المثالية، فصورة الذات، على الرغم من اغتذائها الدائم من تكرار الأحكام العائلية، تتكوّن وفقاً للصورة المثالية على قدْر ما تكون القدوةُ متوافقةً مع إمكانات البكر، وبقدر ما تكون المطالب أقل ابتعاداً عن إمكاناته.

وكائنةً ما تكون درجةُ تماهي البكر بالصورة المثالية المكتسبة، تبدو القدوةُ فَرْضاً مكوِّناً لشخصيّة البكْرِ المتطوّرة □

---

(١) D. JACKSON, **L'étude de la famille,** art. cité par WEAKLAND, sur l'interprétation, p. 23.

(٢) R. SPITZ, **Le Non et le Oui,** op. cit., p. 92.

(٣) R. CHAPPUIS, **La psychologie des relations humaines,** op. cit., p. 7.

الفصل الثاني عشر

النـــضـــج

تمـهـيـد

نتصوَّرُ النضج لدى الإبن البكر كأنَّه حصيلة لتوازن عوامل هي في أساس نمو الحياة العلائقية.

نفترض أنَّ التحولات والنمو البيولوجي والفكري تحصيل حاصل على امتداد المراحل أو الأطوار التي نأخذها عن بياجيه (Piaget). هذه الأطوار المختلفة ليست سكونيَّة. يشرح بياجيه بنيتها وتوازنها من طور إلى آخر. فالبنى التي تتوازن في طور محدد من نمو الفرد لا تؤدي إلى تجميد المسار، بل تندمج في الطور التالي، وتغدو البنى أكثر فأكثر وقفاً على فعالية الفرد الاستيعابية، يرى بياجيه: «أن هذه الآلية تفضي إلى مسار توازني»[١]. وهذه الفوارق، المرتبطة بالشروط الوراثيّة وظروف البيئة، تميِّز الفردَ بطريقة مهمة على قدْر ما يكون العامل المؤثّر مميِّزاً لكلٍ من المراحل، ومانحاً له شيئاً من الاستقرار: «من طور إلى طور، يبيّنُ التكوين النفسي للطفل، من خلال كثافة العوامل والوظائف، ومن خلال تنوّع وتعارض الأزمات التي تعتوره، لوناً من الوحدة التضامنية،

---

(١) M. REUCHLIN, **Psychologie,** op. cit. pp. 226 — 227.

سواءٌ داخل كلٍ منها، أم بينها كلها»[١].

1. النضج والأهل

في مجرى دراسة البارامترات الأربعة السابقة، تناولنا المطالب الوالديّة، وكذلك ضغطها وانعكاسها على شخصية البكر المتنامية. كما أشرنا إلى وعي البكر.

هنا، نكتفي بتحليل جواب الأهل عن السؤالين (7 ــ أ: «هل البكرُ أنضج من الصغار؟»؛ و 7 ــ ج: «هل يتجاوب أكثر من أخوته مع مقررات والديه؟» ــ **الملحق I**). ونفترض أنهما ينطويان على مزايا النضج والشخصية لدى البكر. بإزاءِ مطالب الأهل، وبالمقارنة مع الصغار.

جدول 100

يمثّل القيم الدالة على إدراك الأهل للنضج عند البكر:

نضج البكر	إدراك الوالدين	
القيم ٪	الآباء	الأمهات
	95	95

وعليه، فإن 95 ٪ من الأمهات يرين أنّ البكر أنضجُ من الصغار. وللإدلاءِ بتقدير كهذا، يلاحظُ الأهل، على الأرجح، سلوكاً ومسلكاً يؤشران على استمرار وانسجام مرموقين.

في مواجهة الأهل ومطالبهم: «أن يكون ثاني الأب، سند الأم، ركن البيت. . .» (راجع المدخل)، لا يمكن للبكر ألاّ يكون حساساً، بل على العكس لاحظنا أنّ هذه المطالب تؤثّر تأثيراً مستديماً في البكر، لسببين: نظراً

(١) H. WALLON, L'évolution psychologique de l'enfant, Armand Colin, 1981, p. 200.

لأنها تظهر أولاً مع ولادة ثاني البِكْر وتستمر على امتداد تطويره؛ وثانياً، لأنَّها مصدر نزوات؛ فلا يستطيع البكرُ أن يرفض طلباً، لا لكي لا يخسر الحبَّ الوالديّ وحسب، بل أيضاً حتى لا يخلع عن عرشه، الأمر الذي يؤدي إلى التفكير بأنْ هذه المطالب تنقل مسلكاً مقبولاً ومسؤولاً، يسلكه البكريون، على الرغم من إمكان تغيّر الهدف، بحسب القوى الداخلية أو الخارجية عن الذات. وتبدو التفاعلات بين البِكْر ومحيطه أنها تمنح للبكر نضجاً معيناً، يبدأ منذ صغره، ويغدو مكتسباً قبل السن المطلوب: «الكائن البشري هو، منذ ولادته حتى سن الرشد، موضوع ضغوط اجتماعية، . . .، هذه الضغوط تتوقف على المستوى الاستيعابي والتكيّف اللذين يضبطان هذه الاكتسابات»[١]. هذه الآليات، أليست علامة نضج؟

لنرَ الآن، ما هو نصيب الأخوة في الإسهام في اكتساب البكر للنضج؟

2. النضج والأخوة

يشكل الأخوة بيئةً تدورُ فيها المبادلات التوازنية التي ينجم النضج عنها، وحتى نفهم النضج لدى البكر بطريقة أفضل، سنأخذ في الاعتبار آثار سلوكه في الأخوة من جهة، إذ إن الصورة الاجتماعية التي يكوّنها عنه الأخوة، تدعوه إلى التماهي بها، وإلى تحقيق المواصفات المفترضة .فيه، وفي جهة ثانية، أن الأخوة كعامل صراع وحرمان، هم مرجع لنمو النضج. فإدراكُ البكر للنضج هو حكم ذاتي يصدره الأخوة عليه، والإدراك بنظره، نوع من الاشتراط الفاعل بواسطة عوامل داخلية وخارجية. إن أحد الأسئلة المطروحة على الأخوة: «هل بكرك أنضج من أخوته الصغار؟» (الملحق I، س 5)، يجسّد ويقوّم موقف الأخوة منه:

(١) J. PIAGET, la Psychologie de l'Intelligence, op. cit., p. 168.

جدول 101

نضج البكر		إدراك الأخوة	
	ثواني البكر	ثانيات البكر	الصغار
القيم ٪	88	79	87

وعليه، فإن المعدلات المتحصّلة تبيّن أن الأخوة يرون البكرَ ناضجاً. وأن هذا الحكم الذي يصورُه الأخوة قد يكون متأثراً بأسئلة أخرى، تدور حول المسؤولية والاحترام، مع ربط هذه النعوت بالصورة الوالدية، ومقارنتها بالصغار:

نعتمد الأسئلة الثلاث، الأكثر اقتراباً من هذا الحكم: س 4: «هل يعتمد الأهل أكثر على البكر؟»؛ س 7: «هل البكر يعتبر نفسه أباً لأخوته الصغار؟»؛ س 15: «هل تحترم أخاك البكر أكثر مما تحترم أخوتك الصغار؟» هذا الجدول يمثّل قيم التحليل الخطي (٪):

جدول 102

أسئلة	ثواني البكر	ثانيات البكر	الصغار
4	88	100	73
7	86	69	89
15	88	100	91

والحال، فإن ثانيات البكر تصدر على البِكْر حكماً مختلفاً عن حكم الأخوة، وهن يلاحظن قسوةً معيّنة في أخيهم الكبير. ويقلن إنهن يشعرن أنَّه يراقب سلوكهن. الأمر الذي يفسّر معدَّلات أجوبتهن غير المتناسقة: — 100 100 — 69. في كل الأحوال، ليس النضج مجهولاً، لكنَّه نضج مشوبٌ بالقسوة.

ويرى الأخوةُ أنَّ للبكر نضجاً قائماً على الاحترام والمسؤولية اللذين يدعمانهما الأهلُ لديه. مما يحمل على الإعتقاد بأن المطالب العائلية تجعل سلوكَ البكرِ متكيّفاً مع العلاقة الفردية المتبادلة، وتمنحه انسجاماً معيّناً وتواصلاً يطبعان شخصيّة الفرد بقدْر ما يلتزم، بوعي أو بلا وعي، هذا المضمون المُضفى عليه.

إلى أي حد يمكن الكلام على نضج البِكْر؟ وما هي أسبابه ومسوّغاته؟

إن القدرة الاستيعابية هي «حاجة حيوية»(١). وحتى نتحدَّث عن نضج البكر، سنرجع إلى الوحدة الديناميكية والمُستَهدفة التي يصدر عنها كل سلوك، نظراً لأن «الخطة التي يتطور بموجبها كل كائن، نتوقَّف على الاستعدادات التي يستمدّها من تكوينه الأوليّ»(٢).

لاحظنا على امتداد هذه الدراسة فعاليّة المطالب العائلية أو تأثيرها في النمو العاطفي ــ العلائقي للبكر. فهو يتصرَّف منذ صغره وكأنه «كبير». ويرى أنَّه جزء من المجموعة «الوالدية» والصورة نفسها التي يتصورها تواصل تطورها في الاتجاه عينه للتقويم المعتمد: لقد سبق للبكر، ما بين 9 — 13 سنة، أن اكتسب شخصيَّة توطّدت تحت تأثير المطالب الوالدية.

فكيف سيدرك البكر نفسه هذا النضج في العمر الواقع ما بين 14 و 18 سنة؟

(١) H. WALLON, **L'évolution psychologique de l'enfant,** op. cit. p. 108.

(٢) م. ن.، ص 33.

3. النضج والبكريّون

نذكّر بأنَّ دراسة النضج لدى البكرْ تجري في المجال العاطفي ــ المعرفي، وأن المقصود، تالياً، هو تحليل النضج العاطفي ــ المعرفي في حياته العلائقيّة.

ــ ثمة فئة أولى من أسئلة ثلاثة، ذات صلة بالمطالب الوالدية، تسمح برصد هذا النضج:

س 12: «هل توصيات الأهل صعبة؟».

س 13: «هل استطعت تحقيق ما ينتظره الأهل منك؟».

س 14: «هل مطالب الأهل قاسية أو مستحيلة التحقيق؟».

الجدول التالي يمثّل القيم الدالة لتحليل هذه الأسئلة المُركَّب.

جدول 103 (القيم ٪)

امتيازات ممنوحة للبكر	موقف البكريين	
الأسئلة	تحليل خطي	تحليل تركيبي
	20	
12	79	
	90	62
13	10	
	18	
14	80	

وعليه، فإنَّ 79 ٪ من البكريين، مقابل 20 ٪ يرون، أن مطالب الأهل قاسية. كما أن 80 ٪ مقابل 18 يرونها مستحيلة، فيما يحقق هذه المطالب 90 ٪ الانطباع الأول الذي ينجم عنها، وهو تناقض في الأجوبة، والحال، لقد رأينا

أنَّ البكريين، الواعين لصعوبة تحقيق هذه المطالب، يحققون إرادة الأهل لكي يحافظوا على رتبة الولادة وما ينجم عنها من الامتيازات. إن إصدار أحكام تقويمية على مسألة، يعني وعيها، وإذا كان البكريّون يصدرون حكماً على مطالب الأهل، أكان هذا الحكم مؤاتياً أم معارضاً، فإنهم يظهرون وعياً؛ «يشكل الوعي ذاته مسلكاً، متفاعلاً مع كل المسالك الأخرى»[١]. إن السلوك الذي يتخطى المستوى الغريزي، والذي يكون واعياً ومتروياً، لا يمكن صدوره إلاَّ عن شخص سبق له أن بلغَ نضجاً معيَّناً، ومن النافل أن نلفت إلى أنَّ هذا المثل يمكنه أن يتكرَّر في أسئلةٍ أخرى.

نشير إلى أحد العوامل العاطفية ــ المعرفية، الذي يقدّم مؤشراً للنضج، والذي يدخل في بنية شخصية الطفل المتطوّرة: الإستقلال. جرت دراسة هذا البارامتر: انطلاقاً من الأسئلة الموجهة إلى البكريين المستجوبين، ما بين 9 و 13 سنة:

س 4 ــ أ: «الكبير بياكل لحالو؛ أما الصغير أنا بطعمو».

س 4 ــ ب: «يفرحني»؛ «ويزعجني».

الجدول التالي يمثّل القيمة الدالة للتحليل التركيبي (القيمة ٪):

جدول 103

استقلال	موقف البكر
القيم ٪	79

(١) J. PIAGET, cité par M.REUCHLIN, Psychologie, op. cit., p. 23.

وعليه، فإنَّ 79 ٪ من البكريين لا يشعرون بالانزعاج أمام المطالبة بتصرفهم من دون تدخل الأم: «الكبير بياكل لوحده؛ أنا بطعم الصغير». ونظراً لأنَّ هذا المطلب لم يكن مزعجاً، فإنه يعني أن البكْرَ الواعي لاستقلالية شخصية معينة، إنما يشعر بالاستقلال في سلوكه، كما أن 85 ٪ يظهرون رضاهم عندما تعتبرهم الأم «عاقلين».

أسئلة (الملحق I).

6 ــ أ: «أعطي الكلل لخيك؛ اترك هذه اللعبة لخيك أو لأختك؛ أنت صرت كبير وأفهم منهم».

6 ــ ب: «يفرحني»؛ «يزعجني».

أما القيمة الدالة التي تنجم عن التحليل التركيبي، فهي التالية:

جدول 104

نضيج	موقف البكر
القيم ٪	85

يفضّل 85 ٪ من البكريين «إعطاء الكِلل» للأصغر منهم، لأنهم راغبون في أن يعتبروا بمنزلة «الكبار» و «العاقلين».

إن هذه المطالب التي تكمن من جهة في الطلب إلى البكر بحرمان معين، ومن جهة ثانية تكمن في أشباع ورضى، ستحمل البكْرَ على مراكمة التجارب العاطفية ــ الاجتماعية، الموسومة بالثنائية أو الإزدواجية. وإن هذه العناصر المتكرّرة يومياً ستكون جزءاً منه، وستسهم في بناء شخصيته. هذه الشخصية تنفصل عن الأهل وتسير نحو استقلالها وحكمها الذاتي.

ـ فوق ذلك، هناك فئة ثانية من ثلاثة أسئلة تتناول مباشرةً بارامتر «النضج»، وتسمح لنا بالحصول على الآراء الواضحة.

أسئلة: 5 ـ د: «هل هو أنضج من أخوته؟».

7 ـ ج: «إنه يعطف عليهم».

15: «هل يقولون عنك أنك أنضج من أخوتك؟».

التحاليل الخطية والتركيبية لهذه الأسئلة أعطت النتائج التي قورنت بدورها، وفقاً للمتغيّرات المعتمدة: جدول يمثّل هذا التحليل:

جدول 103

(القيم ٪)

نضج البكر	إدراك البكر وموقفه	
أسئلة	تحليل خطي	تحليل تركيبي
5/ د	93	
7/ ج	90	79
15	92	

الواقع أن 93 ٪ من الأشخاص المُستجوَبين يرون، عموماً، أن للبكريين نضجاً لا يُرى عادةً لدى الصغار من العمر نفسه. وأن 90 ٪ يعتبرون أنفسهم متفهّمين لأخوتهم الصغار، فيما يقول 92 ٪ إنهم أنضج من بقية الأخوة.

أما التحليل التركيبي فقد أعطى المعدَّل التالي: يعتبر 79 ٪ من البكريين أنهم متفهّمون تجاه الأخوة، وأنهم يتصرّفون بنضج.

يمكن لهذه الأسئلة أن تكون دالّة، بوصفها توكيداً لحقيقةٍ واقعة، إذ من الواضح أن الأنا المُعلن، على الأقل، يمكنه أن يكون الأنا المنشود، والجهد

المبذول لاعتبار المرء ناضجاً، يحفّز سلوكه ويوجهه، ويمنحه تماسكاً وانسجاماً في السلوك: «النموّ تواصل بلا قطع، انطلاقاً من الاستعداد لإنماء الحياة، والاستعداد هو في أساس النمو»(١). وهكذا فإن البكرَ الذي كبر، مدفوعاً بامتيازات رتبة ولادته، يتعيّن عليه أن ينمو استناداً إلى الصورة ــ المثاليّة. وبالضرورة، سيكون النضج أحد جوانب هذه الصورة.

إن مقاربة صورة الذات بالصورة المثالية، تحمل الولد على الاجتهاد لتحقيق المطالب والإسقاط الوالدية، وأن النضج يمكن أن يكون نتيجةً لذلك.

نلفت إلى أن فئة البكريين الثانية، أولئك الذين ليس عندهم هذا الاقتناع، وهم من 11 إلى 14 ٪ (هذه القيم متحصّلة من الفرق بين التحليل الخطي والتحليل التركيبي، الواردين في الجدول السابق)، لا يمكن تجاهلها، إذْ إنَّ الفرقَ العمري يمكنه أن يكون سبب فوارق المعدّلات، لذا يمكنُ القول: كائناً ما يكون سبب هذا الإدراك، فإن تغيير امتيازات البكر وعلاقاته العائلية، لا تلزمه بالتخلي كلياً عن حقوقه. فهو يواصل الاستناد، في الوقت نفسه، إلى العلاقة بالبنية الواقعية وبمستوى الأماني الوالدية. وما ينجم عن ذلك من صراع، لا يمكنه إلاَّ أن يكون أكثر حدَّةً، ويمكنه تشغيل آليّة دفاعية، ضد الخوف من خلعه؛ وقد ينزع بحكم ذلك، إلى علاقة مساواتية مع الصغار.

والآن نتساءل عما إذا كان هناك علاقة بين النضج والمتغيّرات المعتمدة. هذه المتغيّرات هل تشجّع هذا النضج، أم على العكس، تحدُّ منه؟

---

(١) جوزيف أنطون، التنمية ونضج الإنسان، مقال منشور في مجلة «الرّاية»، العدد 225، بيروت 1987، ص 39.

4. النضج والمتغيّرات

(أ) النضج والمتغير الاجتماعي ــ الاقتصادي :

جدول يمثّل القيم الدالة، الناتجة عن التحليل الخطّي :

جدول 104 : إدراك البكر

نضج	فقراء	متوسطون	ميسورون	أغنياء
قيم ٪	73,3	83,3	81,8	72,2

عموماً، يبدو أن المتغيّر الاجتماعي ــ الاقتصادي ليس عاملاً محدِّداً للنضج. لكننا نلاحظ أن الأكثر حظوةً هم البكريّون الذين ينتمون إلى المستوى الاجتماعي ــ الاقتصادي «المتوسط» و «الميسور».

(ب) النضج والمستوى الثقافي

جدول يمثل القيم الدالة للتحليل التركيبي :

جدول 105

نضج	مستوى جامعي د/ 4	ثانوي د/ 3	متوسط د/ 2	قراءة وكتابة د/ 1
قيم ٪	71,4	80	75	86,6

عموماً، لا يبدو مستوى الأهل التعليمي معاكساً لنضج البكريين؛ غير أننا نلاحظ أن الأكثر حظاً هم أبناء الأهل الأقل تعلماً.

(ج) النضج والمتغيّر الجغرافي

مسقط الرأس : جدول يمثّل القيم الدالة للتحليل التركيبي :

جدول 106

نضج	لبنان الجنوبي	لبنان الشمالي	بيروت (ساحل الجبل)	الجبل	البقاع
قيم ٪	75	87	73	78,2	90,9

وعليه، فإنَّ المعدلات المتحصّلة في هذا الجدول، تبيّن أن البكريين المتحدّرين من البقاع هم الأكثر دعماً من قبل الأهل، والأكثر حظوةً، هل المناخ هو الذي يؤاتي لنمو نضج مبكِّر لدى الفرد، يظهر عند الإبن البكر ويعطيه قسوةً معينة في الطبع؟

مكان الإقامة: جدول يمثل القيم الدالة للتحليل التركيبي:

جدول 107

النضج	مدنيون	ريفيون
القيم ٪	74,5	85,3

لا يبدو أن متغيّر «مكان الإقامة» يمكنه أن يكون عاملاً محدِّداً فسواء أكان البكريّون قرويين أم مدنيين، فإنهم يرون أنفسهم ناضجين نضوجاً مبكّراً، غير أنّ هذا النضج أشدّ بروزاً لدى الريفيّن إذ لا يبدو النضجُ مرتبطاً بأيّ من هذه المتغيّرات، فهو بكل بساطة يحظى بتشجيع أحدها. لذا يمكن القول: بصرف النظر عن ظروف الأهل الاجتماعية، يبدو البكْرُ بالغاً نضجاً مبكِّراً جداً، ناجماً عن رتبة ولادته.

خلاصة

يشكل تأثير الأهل ومطالبهم مساراً دائماً للتوسل الذي يتعرّض له البكر. فهو يجد نفسه منقاداً للتكيّف معها. والتكيّف هو مسار مستديم، يضرب جذوره في البنية النفسانية، وهو يشترط شتى التجليات التي تعكس محاولات الأنا للتحليق فوق التوترات والقضاء عليها، هذا التكيف هو نوع من «تسوية اجتماعية تلعب دوراً في إطار التنظيمات المبكّرة»(١). وما ينجم عن ذلك من مواقف الطفل «تحدِّد عناصر القيم الذاتية»(٢). والطفل «سيجد نفسه «موضوعاً في خدمة تشكيلات مثاليّة»(٣).

بنحو خاص، إن البكر الذي «يجب عليه عيش الصراع بين نزواته القديمة ونماذج السلوك المفروض»(٤)، سيسير بالضرورة نحو توازن سيكون» بمنزلة انتظام ذاتي، حيث يردّ بمعاوضاتٍ فاعلة عن الاضطرابات الخارجية»(٥). هذا الانتظام الذاتي ليس بشيءٍ آخر سوى استقلال عن الأهل. يبدو أن الذات المعتبرة، الفاعلة في تشكيل الوحدة والاستقلالية، تُسهم في نضج معين، أشدّ بروزاً لدى البكر.

ربما يكون النضج أحد معالم شخصية البكْر، فهو يسهم في تشكيلها، ويطبعها بطابع خاص، مرتسم في نموّها، ولا شك أن الآفاق الوالدية تضغط على مستقبل البكْر المعتبر هو «الأكبر» منذ ولادته □

● ● ●

(١) Heinz HARTMANN, La psychologie du moi, op. cit., p. 68.

(٢) م. ن.، ص 67.

(٣) م. ن.، ص 65.

(٤) Michel CARNATION, La transformation Permanente, P.U.F., 1979,

(٥) Jean. PIAGET, cité par M.REUCHLIN, Psychologie, op. cit., p. 531.

ختام عام

□ يتجلّى كل فرد في مسكله، ويمكن اعتبار كل مسلك بمثابة نوع من وحدة عميقة. فهي تتعلق أساساً بالروابط البيو ــ نفسية ــ اجتماعية التي تبدأ مع الولادة ولا تتوقّف عن النمو.

كذلك فإن الفرد يتصرَّف في كل مقام بحسب إدراكه؛ وهذا الإدراك يخضع لمصدرين: فهو يدرك نفسه ويدركه الآخر، المُدْرَك بدوره. وعليه، فإن درس الفرد يعني درس مزاياه الخاصة به عبر تطوره، آخذين في الاعتبار تحوّلاته الديناميكية ذات الصلة الحميمة بظروف الحياة، والمتطابقة معها، خصوصاً عندما تطبع هذه الظروف وتسجّلُ وحدةً في المطالب.

في المجتمع اللبناني، يُعتبر الإبن البكْرُ «مختلفاً عن الأخوة». فالأهل يمنحونه إمتيازات خاصة منذ نعومة أظافره. وسينجم عنها بعضُ المزايا، وسيمكنها وسمَ شخصيّته المتطورة.

لقد أردنا درس سمات الإبن البِكْر الذي بدا لنا أنَّه صورة طفلٍ مُميَّز. هذه الدراسة جرت إنطلاقاً من حياة البِكْر في الموقع الاجتماعي ــ العائلي، ووفقاً لموقف اللبناني وإدراكه الاجتماعي ــ الطائفي، مع ارتكازنا على الجانب المعرفي ــ العاطفي، محور الروابط لدى الطفل.

وجرى استخلاص بعض الاعتبارات المنسوبة إلى البِكْر، إنطلاقاً من الحياة اليومية ومن الكتب الدينية:

ـ يرى الأهل أن البِكْر هو:

* بركة الله.
* ركن البيت.
* ثاني الأب.
* فخر الأهل.

ـ ويراه الأخوة:

* الأخ الكبير المحترم.
* الذي يحق له كل شيء، بعد الأب.
* المسؤول بعد الأب...

ـ وهو يعتبر نفسه:

* نقطة ارتكاز الأهل.
* هبة الله.
* صاحب الامتيازات.
* المسؤول بعد الأب...

استناداً إلى هذه الاعتبارات، وضعنا سلسلة إستمارات (أسئلة) وجّهناها إلى العائلات، بعدما حددنا الجماعة المدروسة، ووضعنا العينات الملبية لشروط محدَّدة تماماً.

يدور مجمل الاستمارات حول خمسة بارامترات (وسائط، ثوابت)، جرت مقابلتها لاحقاً بخمسة متغيّرات معتمدة وفقاً لبيئة استطلاعنا. وفوق ذلك، رأينا من الضروري إجراء اختبار إسقاطي للشخصية، لاستخلاص مزايا البِكْر، لدى أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 3 و 8 سنوات، لا يمكنهم الردَّ خطياً.

أُجريت التحاليل، وفي ضوء مراجع مباشرة رأيناها حصيفة ومناسبة، استطعنا الاستنتاج على النحو التالي:

إن الإبن البِكْر، الواعي للامتيازات التي يتمتع بها ويعيشها، إنما يعكس نزوعاً إلى التقويم الذاتي، تؤكده التجليات الخارجية لتفوقه على الأخوة. وهذا ما أكَّدته الإجاباتُ الإيجابية في استطلاعنا. كما أن الإجابات السلبية تؤكد الفكرة القائلة إن بعض البكريين ميّالون إلى التبخيس الذاتي، بسبب تضافر بعض العوامل البيو ــ نفسية ــ اجتماعية.

والحال، فإن نتائج الاستطلاع سمحت لنا بالتشديد على ما يلي:

1. إن الإبن البِكْر إذ يشعر منذ نعومة أظافره أنه محبوب ومقوَّم، إنما يعدُّ نفسه بمنزلة الطفل الجدير بالعاطفة والاحترام. فهو منذ صغره، يشعر بتفوّقه شعوراً غامضاً، مع أنه لا يستطيع الإدراك تماماً.

2. إن موقف الإبن البِكْر من الأهل، ينزع إلى التعاون الذي يمكنه أن ينجم عن الأفراح والمباهج التي يستمدّها من محيطه العائلي وما يمنحه من إمتيازات.

3. إن سلوك البِكْر تجاه الأم هو، في آنٍ، مُفعم بالتبجيل والإشفاق. فهو يشعر أنها تحبّه بنحو خاص. والأم حين تتوسَّله وتسانده، بحسب صورة الرجولة التي تمثّل الرجل المثالي، إنما تجعل البِكْر أمام اتجاهين: حبّه لها وتماهيه بالصورة ــ المثالية التي تعزّز لديه الشعور بـ «القدرة الكلية» الذَّكَرية.

4. في مواجهة السلطة الوالديّة، بدا لنا الإبن البِكْرُ مندمجاً في إرادة ذويه. فهو يُظهر طاعة مشوبةً ببعض العوامل المعرفية ــ العاطفية التي تمسُّ مجال التعاون مع الأب، فيتبنى موقفاً مشابهاً له، ويتصرَّف بمسؤولية ونضج وهيمنة. ومن المسموح لنا أن نشير، عَرَضياً، إلى أن تقويم البِكْر، الناجم عن

هذا التناسل، وتماهيه بالصورة المثالية، من شأنهما تعزيز «الواقع الوجودي للأبوية المطلقة»[١] وأن يدعم الإيمان بـ «الكلام التناسلي المتبادل بين الأب والإبن»[٢]. في هذه الرؤية للإنسان، الكلية والشمولية، تكون نظرية قتل الأب الفرويدية «قد افتقرت إلى بعد أساسي من الأبوية: هو بعد التناسل»[٣].

5. يواصل البِكْر ديمومة التقاليد العائلية. إلاَّ أن موقفه من السلطة الوالدية يتعرَّض أحياناً لنوع من الإكراه.

6. إن درجة اندراج البِكْر في الحياة الاجتماعية تبدأ في سن مبكّرة، وتسير جنباً إلى جنب مع درجة النضج الملحوظة في سلوكه. فهو سرعان ما يؤكد نفسه ولا يني يتطور كبِكْر، بتواصل وثبات.

7. بفضل هذا النضج المبكّر لدى البِكْر، الذي اكتشفناه في استطلاعنا، لاحظنا أنَّه قادر على اكتناه الواقع قبل العمر اللازم. وهذا النضج يتجلّى خصوصاً من خلال تطلعاته ومشروعه المستقبلي، المتجسدة في الاختيار المهني. والحال، فإن طبيعة المهنة التي يتمنَّاها البِكْرُ، تنطوي على رغبة وجاهةٍ وإعجاب. مما يسمح بالقول إن صدى الاعتبارات والامتيازات المناطة، بالإبن البِكْر، يُسهم في تنظيم وتثبيت الصورة الذاتية، المصاغة مسبقاً، والمرتبطة ارتباطاً حميماً بتمثيل الذات في المجتمع، كما أن الاختيار المهني يكشف الحاجات العميقة المترسخة في شخصيّة الفرد.

وبصرف النظر عن مستوى الأهل الاجتماعي ــ الاقتصادي، تبيَّن أنَّ البِكْر يتَّسم بالسمات الخاصة المشار إليها آنفاً، ولكن مع تمايزين:

---

(١) H. WINFRID, P. HERMAN, A. VERGOTE, La psychanalyse, science de l'homme, Dessart, Bruxelles, 1970, p. 254.

(٢) م. ت.

(٣) م. ن. ، ص 253.

ـ مسؤولية ظهرت بحدَّة أكبر لدى البكريين من أبناء ذوي الدرجة التعليمية الواحدة.

ـ نضج أكبر لدى البكريين المتحدِّرين من البقاع.

أخيراً، من زاوية فرضيتنا العامة: «البكْر وَجْهٌ مميَّز»، الجانبُ العاطفي هو الجانب الأعقل والأميز في الشخص. وعليه، فإن مزايا البِكْر أُمكن استخلاصها من هذه الزاوية بنحو خاص، مما أتاح لنا الفرصة لمقاربة انعكاس هذه العوامل وتأثيرها في حالته النفسية في خلال تطوره.

فمنذ الولادة، تتكوَّن النفسية العاطفية وتتحوَّل بحسب التجارب المُعاشة في العائلة. ويهم إدراك الأهل وموقفهم الخاص من ابنهم البِكْر، في التشكيل العلائقي لأولادهم، ولكنهما يؤثران بفاعلية أكبر في حياة البِكْر؛ الأمر الذي يحمله على أن يكون الجواب الأنسب عن مشروعهم الوالدي.

وبقدر ما ينمو عمر الطفل وتتأكد حاجته إلى الاستقلالية، «تتعارض رغبة التقدم مع النكوص، كما تتعارض رغبة الاستقلالية مع حاجة التبعية»(1)، هذه الرغبات، المرتبطة مباشرةً بفاعلية الفرد داخل المحيط، تدفع البِكْرَ إلى التصرف على أنه كبير، قوي، فيستعمل «الخطط ـ المرشدة، النماذج المحددة، وهذا يمنحه التناغم المميَّز لحياته، وإيقاع طابعه الشخصي»(2)، ففي الحياة اليومية، يتكوَّن تنظيم المواقف والحوادث من خلال القيام بدور مهم في المبادلات.

وإن «أنا» البِكْر، وهو أنا يحدِّده فرويد «بوظائفه التكيفية وبوظائفه التوازنية الداخلية على حدٍ سواء»(3)، يحمله في فتراتٍ على معاناة عواطف شديدة، فهو «محكوم بقوانين الانتظام الذاتي على سفحي التوازن الداخلي

(1) Gérard MENDEL, La Révolte contre le père, R.B.P. , 1978, NO 197, p. 50.

(2) R. DREIKUS, La psychologie adlérienne, Bland et Gay, Paris, 1971, p. 73.

(3) R. PERRON, Genèse de la personne, P.U.F. , 1985, p. 92.

والتكيف الخارجي»[1]، يحسُّ بقمع في مواجهة الصغار الذين يعتبرهم والذين يعتبرون كأنهم أدنى منه. الأمر الذي يثير إعترافات عنيفة.

في نهاية بحثنا، تمكّنا من القول إن البِكْر يكبر وهو يعمل، مع حقوق يفاخر بها: له السلطة والقدرة على الأخوة الذين يعتبرهم ويعتبرونه مسؤولاً عنهم. وهو المزوَّد بعوامل كهذه من عوامل بناء الشخصية، ينمو بنضج معين، بحكم ممارستها وهو يتصرف كأنه «كبير» و «مسؤول». وسلوكه محكوم دوماً بتأثير الحكم العائلي؛ فهو يدور دوماً حول محور القدوة كضرورة للمطالب الداخلية في المقام الأول، وكجواب عن الصورة ــ المثالية التي يكوّنها المحيط عنه.

والبِكْر، لكي يتكيَّف مع هذه الصورة ــ المثالية، يجد نفسه محكوماً بقوانين داخلية ــ خارجية، تشجِّع فيه موقف هيمنة وقدرة كلية.

وباستمرار يغذِّي التقويم والتبخيس وإعادة التقويم، حياته العاطفية ــ المعرفية، ويشكِّل محرِّكاً لحياته. فيما التكيّف مع السلوك المطلوب يدعوه إلى تحقيق هذه الامتيازات، وتالياً، فإن اعتماد الموقع المطلوب، يجعله يستبطن الصورة التي يكوّنها عنه الآخرون، وتلك التي يكوّنها عن نفسه. إن الروابط العاطفية ــ الاجتماعية، المركَّزة على هذه الصورة ــ المثالية، وخصوصاً على ما ينجم عنها من جانب عاطفي ــ معرفي، تجد نفسها مشحونةً بطاقةٍ شخصية. وتزداد اشتداداً بقدر استبطانها. وهكذا، يعيش البِكْرُ تماهياته كأنها تنظيم ذاتي، رداً على المعاوضات الشخصية والعمل الخارجي.

إن وعي البِكْر لصورته الذاتية، المعتمد على نظام القيم، الذي تقدِّمه العائلة وتجسِّده الصورة المثالية، يتشكل بنحو خاص، بوصفه تكيفاً مع

---

(١) م. ن. ، ص 139.

المطالب الوالدية، وينجم عن هذا التكيف تقدير للذات. ومن هنا ظهور مؤثرات، ناجمة عن تفاعل البَكْر مع محيطه.

وهكذا يكون الإزدواج والتردُّد بين تحقيق أحلامه والإمتثال للصورة ـ المثالية هما السمة المميَّزة للبِكْر وسلوكه. كما أنَّ جانباً دفاعياً يميِّز سلوكه، ويمدّه من جهة بعلامة عداوة، ومن جهة ثانية بقدرة على الفهم والمسؤولية، ومن هنا سلوك «القائد»، الملحوظ عموماً، الذي يجعله شخصاً مميّزاً □

• • •

الملحق I

1. أسئلة موجهة للإبن البكر

(العمر من ٩ حتى ١٣ سنة)

الهدف: رأي عام.

نتمنى أن تعبِّر عن أفكارك الخاصة بكل تجرّد عن الإعتبارات الشخصية، وذلك خدمة للثقافة والعلم.

حاول أن تجاوب بصراحة.

شكراً لمساهمتك.

الاســـــم: ....

الـعـمـــر : ....

الـصــف : ....

رقم الهاتف : ....

الأسئلـــة

يوجِّه الأهل أحياناً لأولادهم بعضاً من الأقوال. فإذا كان ذلك يحصل معك فهل كنت تفرح أو تنزعج؟

ضع علامة [×] في المربع المناسب.

١ ــ إجلس بعيداً عني. أترك خيك الأصغر يقعد حدي. أنت صرت كبير.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٢ ــ لا تعمل هذا... بيتعلم منك أخوتك الأصغر منك.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٣ ـ عيب تعمل هيك أو هذا الشيء. أنت كبير. أما خيك فهو صغير.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٤ ـ الكبير بياكل لحالو، أما الصغير أنا بطعمو.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٥ ـ هذا الثوب زغر عليك اعطيه لخيك. بكرا أنا بجبلك أحسن منه.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٦ ـ أعطي الكلل لخيك. أترك هذه اللعبة لخيك أو لأختك. أنت صرت كبير وأفهم منهم.

نعـم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٧ ــ هل حقق الأهل أقوالهم واشتروا ما وعدوك به؟.

نعــم ☐

كـلا ☐

يفرحني ☐

يزعجني ☐

٨ ــ هل يلجأ إليك أخوتك في بعض الصعاب؟

نعــم ☐

كـلا ☐

٩ ــ هل يخافونك؟

نعــم ☐

كـلا ☐

١٠ ـ . إذا تشاجر الأولاد مع بعضهم هل تدافع عن الأصغر منك؟

نعــم ☐

كـلا ☐

١١ ــ هل يصدف لك أن تدافع عن بعض الأولاد الأكبر منك؟

نعــم ☐

كـلا ☐

١٢ ــ في أي مناسبة تحتاج لأخوتك الأصغر منك؟
أذكر بعض الأمثلة لذلك.

....

....

....

١٣ ــ هل أخوتك الأصغر منك أشطر منك بالمدرسة؟

نعم ☐

كلا ☐

١٤ ــ هل والداك يهتمان بهم وبدروسهم أكثر من اهتمامهما بك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٥ ــ هل والدك يداري أخوتك أكثر مما يفعله لك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٦ ــ ووالدتك هل تفعل هذا؟

نعم ☐

كلا ☐

١٧ ـ هل تفضل ابنها البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

١٨ ـ كيف تلاحظ ذلك؟

هل هذا يعود إلى:

(أ) الثقة التي تضعها به؟ ☐

(ب) الخدمات التي تطلبها منه؟ ☐

(ج) الاهتمامات التي تحيطه بها؟ ☐

١٩ ـ هل والدك يعتبرك أكثر من أخوتك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٢٠ ـ كيف تلاحظ ذلك؟

أعطِ بعض الأمثلة:

(أ) أن والدي يتكل علي. ☐

(ب) يأخذ برأيـي. ☐

(ج) يطلعني على بعض مشاكله. ☐

(د) أنه لا يوبخني بحضور الغير. ☐

(هـ) أنه يثق بـي. ☐

٢١ ـ إن الأب يحب أن يكون إبنه البكر أحسن من كل إخوته.
هل هذا صحيح؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٢ ـ اذكر بعض أقوال أبيك التي تبرهن عن اعتباره ومحبته لك.

....

....

....

٢٣ ـ الأم تمدح ابنها البكر وهي تقشع حالها فيه. هل هذا صحيح؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٤ ـ هل أخوتك «يسمعون» منك الكلمة ويطيعونك؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٥ ـ هل تشتكيهم لوالديك إذا لم يطيعوك؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٦ ـ هل والدتك تتكل عليك بمسؤولية إخوتك والمنزل؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٧ ـ هل أنت سعيد بكونك الإبن الأكبر؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٨ ـ هل تود لو كنت الولد الأصغر في البيت؟

نعم ☐

كلا ☐

٢٩ ـ هل أخوتك يحسدونك لكونك الولد البكر؟

نعم ☐

كلا ☐

• • •

2. أسئلة موجهة للإبن البكر

(العمر من ١٤ حتى ١٨ سنة)

الهدف: رأي عـام.

نتمنى أن تعبِّر عن أفكارك الخاصة بكل تجرّد عن الإعتبارات الشخصية، وذلك خدمة للثقافة والعلم.

حاول أن تجاوب بصراحة.

شكراً لمساهمتك.

الاســـــم: ....

الـعـمــــر : ....

الــصـــف : ....

رقم الهاتف : ....

الأسئلـة

ضع علامة [×] في المربع المناسب.

١ ــ على الولد البكر واجبات خاصة منها:

(أ) الولد البكر يمثل والديه في المناسبات الاجتماعية.

نعم □

كلا □

(ب) الولد البكر يصحب والديه في المناسبات الاجتماعية.

نعم □

كلا □

٢ ــ الوالد يوجه لابنه البكر بعض التوصيات منها:

(أ) أنت رجّال البيت اتكالي عليك.

نعم □

كلا □

(ب) أنت كبير البيت عليك اتكالي.

نعم □

كلا □

(ج) أنت المسؤول من بعدي.

نعم ☐

كلا ☐

٣ ـ هل هذه التوصيات صعبة عليك؟

نعم ☐

كلا ☐

٤ ـ يقال أن الابن البكر هو بمثابة أب لأخوته، هل هذا صحيح؟

نعم ☐

كلا ☐

٥ ـ (أ) هل من واجب الإبن الأكبر أن يكون المثل الصالح لأخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(ب) هل أخوته وأخواته يلجأون إليه في وقت الصعاب؟

نعم ☐

كلا ☐

(ج) هل له أن يفرض سلطته؟

نعم ☐

كلا ☐

(د) هل هو أنضج من أخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(هـ) هل أخوته يخافونه؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(و) هل ينعتونه بالقسوة؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(ز) هل يحترمونه؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٦ ـ (أ) هل تجرؤ أختك أن تتصرف على هواها أثناء وجودك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(ب) هل لك حقوق على أخوتك وأخواتك بما أنك البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٧ ـ ما هي واجباتك نحو أخوتك؟

(أ) هل من واجبات الإبن الأكبر حماية أخوته؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(ب) إن الإبن الأكبر قاس مع أخوته!

نعـم ☐

كـلا ☐

(ج) إنه يعطف عليهم.

نعـم ☐

كـلا ☐

(د) هل يتحمل هو المسؤولية؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٨ ـ هل أنت سعيد بما أنك الإبن البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٩ ـ هل أحد أخوتك يحاول أن ينتزع منك الأولوية؟

نعـم ☐

كـلا ☐

١٠ ـ كل إنسان عنده صعوبات. هل صعوباتك متأتية بما أنك البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

١١ ـ الأهل يودون أن تتحقق أحلامهم.

فأي مهنة يودونها لك؟ أن تصبح:

طبيباً ☐

قاضياً ☐

محامياً ☐

مهندساً ☐

أو غير ذلك، ما هي؟ ☐

لا نصيحة ☐

١٢ ــ هل متطلبات الأهل معقولة؟

نعم ☐

كلا ☐

١٣ ــ هل تستطيع تحقيق ما يطلبونه منك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٤ ــ هل متطلبات الأهل قاسية وغير معقولة؟

نعم ☐

كلا ☐

١٥ ــ هل يقولون عنك أنك أنضج من أخوتك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٦ ــ يكنون الأب عندنا بإسم إبنه، مثلاً إذا كان اسم الصبي البكر
هاني فينادون الأب بـ «أبو هاني» والأم بـ «أم هاني».
هل تعجّبت من هذا؟

نعم ☐

كلا ☐

١٧ ــ هل هذا افتخار لك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٨ ـ هل تساءلت عن هذه التسمية؟

نعم ☐
كلا ☐

١٩ ـ هل هناك من معاملة خاصة للإبن البكر؟

نعم ☐
كلا ☐

٢٠ ـ هل أنت محظوظ بما أنك البكر؟

نعم ☐
كلا ☐

٢١ ـ برِّر جوابك هذا ببضعة أسطر؟

. . . .

. . . .

. . . .

● ● ●

3. أسئلة موجهة للأهل: الأب والأم

الموضوع: رأي عـام.

نرجو من الأهل الكرام أن يأخذوا هذه الأسئلة بعين الاعتبار. إن الإجابات على هذه الأسئلة تأتي بالنفع للمجتمع والتربية.

شكراً سلفاً لمؤازرتكم.

الاســـــم : ....

الـعـمــــر : ....

الـمـهـنــة : ....

رقم الهاتف : ....

الأسئلة

ضع علامة [×] في المربع المناسب.

١ ـ بعد كم سنة من زواجك كان لك الولد الأول؟

(أ) خلال السنة الأولى تقريباً؟ ☐

(ب) السنة الثانية؟ ☐

(ج) بعد أكثر من سنتين؟ ☐

٢ ـ هل كنت تتمنى لو كان طفلك الأول:

(أ) صبي؟ ☐

(ب) ابنة؟ ☐

(ج) لا فرق؟ ☐

٣ ـ كم كان عمر ولدك البكر عندما بدأت بالتفكير بمستقبله؟

(أ) منذ ولادته؟ ☐

(ب) منذ ذهابه إلى المدرسة؟ ☐

(ج) بعد الشهادة الإعدادية الأولى؟ ☐

(د) بعد هذه المراحل ☐

٤ ــ هل ينعم الإبن البكر بتربية وانتباه خاص:

(أ) من قبل والديه؟ نعم ☐ كلا ☐

(ب) يرغب الأهل أن يحققوا من خلاله ما لم يستطيعوا أن يحققوه في حياتهم نعم ☐ كلا ☐

(ج) لدى ولادة الصبي الأول هل يشعر الأهل بالإطمئنان للمستقبل؟ نعم ☐ كلا ☐

(د) بالنسبة لك، هل الصبي الأول يحقق امتداد العائلة؟ نعم ☐ كلا ☐

٥ ــ ما هي المهنة التي تتمناها لابنك البكر؟

ــ أن يصير طبيباً؟ ☐
ــ مهندساً؟ ☐
ــ قائداً؟ ☐
ــ قاضياً؟ ☐
ــ محامياً؟ ☐
ــ مهنة والده؟ ☐
ــ تاجراً؟ ☐
ــ فرمشانياً؟ ☐
ــ مدير أعمال؟ ☐
ــ غير مهنة: إذكرها؟ ☐
ــ لا مهنة معينة؟ ☐

٦ ـ هل يتطلب الأهل من الصبي البكر مسؤولية أكثر من أخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

٧ ـ (أ) هل الصبي البكر أكثر نضجاً من أخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(ب) هل يحترم والديه أكثر مما يفعله أخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(ج) هل يتجاوب أكثر من أخوته مع مقررات والديه؟

نعم ☐

كلا ☐

(د) هل يعتبر نفسه مسؤولاً عن أخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

٨ ـ على الصبي البكر واجبات منها:

(أ) عليه أن يكون المثل لأخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(ب) الأهل يعتبرونه أكثر من اعتبارهم لأخوته؟

نعم ☐

كلا ☐

(ج) هل يعتبر نفسه كأب في غياب الوالد؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(د) عند بلوغه سن الرشد هل يُطلب منه أخذ مسؤولية والدته وأخوته في غياب الوالد؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(هـ) هل أخوته يكنّون له الإعتبار؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(و) هل يمثل والديه في المناسبات الإجتماعية؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٩ ــ هل يفخر الأهل بإبنهم البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

١٠ ــ هل حقّق إبنك البكر متطلباتك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

● ● ●

4. أسئلة موجهة للأخوة

(ثاني البكر، ثانية البكر، الولد الثالث أو الرابع.. من العائلة)

الموضوع: رأي عـام.

نهدف بهذه الأسئلة أخذ المعلومات المتعلِّقة بالصبي البكر وما هو تفكير الأخوة.

الرجاء إعطاء الجواب الصادق الذي تراه صواباً حسب رأيك.

الاســـــم: ....

الـعـمــــر : ....

الـصـــف : ....

رقم الهاتف : ....

الأسئلـــة

ضع علامة [×] في المربع المناسب.

١ ـ هل صحيح أن الأهل يعززون الصبـي البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٢ ـ هل يعتبرونه «رجّال البيت»؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٣ ـ هل يدعونه ينعم بحرّية أكثر من أخوته؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٤ ـ هل الأهل يتكلون أكثر على الإبن البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٥ ــ هل أخوك البكر أنضج من سائر أخوتك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٦ ــ هل أخوك البكر يتحسس المسؤولية أكثر من سائر أخوته؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٧ ــ هل يعتبر نفسه بمثابة «أب» لأخوته؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٨ ــ مع من تشعر بالوفق والإرتياح:

(أ) مع والدك؟ ☐

(ب) مع والدتك؟ ☐

(ج) مع أخيك البكر؟ ☐

(د) مع أحد أخوتك؟ ☐

٩ ــ هل أخوك البكر له ذات العقلية:

(أ) كوالدك؟ ☐

(ب) كوالدتك؟ ☐

(ج) لا يشبههما بعقليته؟ ☐

١٠ ــ هل بنظرك أخوك البكر يتحلى بأحد هذه الصفات؟

(أ) قاسي؟ ☐

(ب) حقّاوي؟ ☐

(ج) أناني؟ ☐

(د) كريم؟ ☐

١١ ــ هل يحترم آراءك الخاصة؟

نعم ☐

كلا ☐

١٢ ــ هل إن الوالد يحترم إبنه الأكبر بنوع مميَّز؟

نعم ☐

كلا ☐

١٣ ــ والوالدة كذلك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٤ ــ هل تحترم أخاك الأكبر مثلما تحترم والديك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٥ ــ هل تحترم أخاك البكر أكثر من احترامك لسائر أخوتك؟

نعم ☐

كلا ☐

١٦ ـ هل تودّ لو كنت أنت الإبن البكر؟

نعـم ☐

كـلا ☐

١٧ ـ عبِّرْ بيضعة أسطر عن تمنِّيك لو كنت أنت الإبن البكر؟

....

....

....

• • •

5. أسئلة موجهة للإبنة البكر

(العمر من ١٢ حتى ١٨ سنة)

الهدف: رأي عـام.

نتمنى أن تعبِّري عـن أفكـارك الخـاصـة بكـل تجـرّد عـن الإعتبـارات الشخصية، وذلك خدمة للثقافة والعلم.

حاولي أن تجاوبـي بصراحة.

شكراً لمساهمتك.

الاســـم: ....

الـعـمـــر: ....

الـصـــف: ....

رقم الهاتف: ....

الأسئلـــة

ضعي علامة [×] في المربعات المناسبة.

١ ـ من يُعتبر البكر في بيتكم:

أنت؟

نعـم □

كـلا □

أخوك؟

نعـم □

كـلا □

دون جواب.

٢ ـ هل والدك يأخذ بعين الإعتبار:

(أ) رأيك؟

نعـم □

كـلا □

(ب) رأي أخيك؟

نعـم □

كـلا □

(ج) غالباً ما يقول الأهل: الصبـي «إلنا» أما البنت «للغير»؟

هل هذا رأيك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

دون جواب.

٣ ــ هل والدتك تأخذ بعين الإعتبار:

(أ) رأيك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(ب) رأي أخيك؟

نعـم ☐

كـلا ☐

(ج) هل تشعرين بأنك من صلب العائلة ولك كل الحقوق مثل «الصبـي»؟

نعـم ☐

كـلا ☐

٤ ــ ما هي الحقوق أو الصلاحيات التي تتميَّز بها:

(أ) الفتاة البكر؟

....

....

(ب) الصبـي البكر؟

....

....

الملحق II

نتائج التحليلات الخطية للاستثمارات المعالجة حاسوبياً

جدول رقم (١)

البكر أصغر من ١٤ سنة

سؤال	1	1	2	2	3	3	4	4	5	5	6	6	7	7	8	8	9	9	10	10	11	11	13	14	15	16	17	18	18	18
نعم	9	4	10	7	10	4	10	5	10	9	9	1	9	9	10	0	8	0	9	0	4	0	2	0	0	3	9	2	5	3
كلا	1	5	0	3	0	6	0	5	0	1	1	8	1	0	0	0	2	0	1	0	6	0	8	0	10	7	1	7	4	6
—	90	91	90	90	90	90	90	90	90	90	90	91	90	91	90	100	90	100	90	100	90	100	90	90	90	90	90	91	91	91
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

سؤال	19	20	20	20	20	20	21	23	24	25	26	27	28	29	30	31	31	31	32	32	32	32	32	32	32	34
نعم	9	3	2	0	2	2	9	10	8	1	9	8	3	6	0	6	0	1	3	4	0	3	0	0	0	0
كلا	1	7	8	10	8	8	1	0	1	9	1	2	7	4	0	3	9	8	7	6	10	7	10	10	9	0
—	90	90	90	90	90	90	90	90	91	90	90	90	90	90	90	91	91	91	90	90	90	90	90	90	91	100
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	90	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

جدول رقم (٢)

البكر بعمر ١٤ سنة وما فوق

سؤال	1	1	2	2	2	3	4	5	5	5	5	5	5	5	6	6	7	7	7	7	8	9	10	11	11	11	11	12	13	14
نعم	88	82	97	95	89	35	88	96	93	73	93	44	27	97	18	68	97	19	90	96	88	19	29	23	8	8	52	20	90	18
كلا	9	18	3	5	10	63	12	4	7	27	7	56	72	3	79	28	3	79	7	3	11	81	71	77	92	92	48	79	10	80
—	3	0	0	0	1	2	0	0	0	0	0	0	1	0	3	4	0	2	3	1	1	0	0	0	0	0	0	1	0	2
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

سؤال	15	16	17	18	19	20
نعم	92	85	82	18	80	75
كلا	8	15	18	82	20	24
—	0	0	0	0	0	1
المجموع	100	100	100	100	100	100

جدول (٣)

الأب

سؤال	1	1	1	2	2	2	3	3	3	3	4	4	4	5	5	5	5	5	5	5	5	5	5	5	6	7	7	7	7	8
نعم	56	36	10	90	5	5	48	33	13	7	75	88	88	19	37	7	6	12	5	2	10	2	100	0	89	95	96	98	96	99
كلا	44	64	90	10	95	95	52	67	87	93	25	12	12	81	63	93	94	88	95	98	90	98	0	100	11	5	4	5	4	1
	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

سؤال	8	8	8	8	8	9	10
نعم	90	99	96	97	97	85	87
كلا	10	1	4	3	3	15	13
—	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	100	100	100	100	100	100	100

جدول (٤)

الأم

سؤال	1	1	1	2	2	2	3	3	3	3	4	4	4	4	5	5	5	5	5	5	5	5	5	5	[illegible]	6	7	7	7	7
نعم	54	37	9	92	2	6	54	26	14	6	81	87	86	90	30	35	5	7	10	1	2	9	0	1	1	90	95	95	95	[illegible]
كلا	46	63	91	8	98	94	46	74	86	94	19	13	14	10	70	65	95	93	90	99	98	91	100	99	99	10	5	5	5	5
	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	[illegible]

سؤال	8	8	8	8	8	8	9	10
نعم	99	86	95	96	95	97	84	90
كلا	1	14	5	4	5	3	16	10
—	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100

جدول (ه/١)

ثانـي البـكـر

سؤال	1	2	3	4	5	6	7	8	8	9	9	9	10	10	10	10	11	12	13	14	15	16
نعم	79	92	84	88	88	95	86	27	85	74	16	10	14	100	8	0	96	82	82	93	88	45
كلا	21	7	16	12	12	5	14	72	14	26	84	90	86	0	92	0	4	18	18	7	12	55
—	3	1	0	0	0	0	0	1	1	0	0	0	0	0	0	100	0	0	0	0	0	0
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

جدول (ه/٢)

ثانـيـة البـكـر

سؤال	1	2	3	4	5	6	7	8	8	9	9	9	10	10	10	10	11	12	13	14	15	16
نعم	88	83	79	100	79	93	69	35	88	66	40	83	72	61	54	26	44	76	81	54	100	25
كلا	6	11	14	0	14	3	18	52	0	12	39	0	17	22	26	52	39	12	10	26	0	60
—	6	6	7	0	7	4	13	13	12	22	21	17	11	17	20	22	17	12	9	20	0	15
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

جدول (ه/٣)

الـصـغـار

سؤال	1	2	3	4	5	6	7	8	8	9	9	9	10	10	10	10	11	12	13	14	15	16
نعم	88	88	86	73	87	80	89	53	58	88	23	17	83	81	74	14	85	92	94	68	91	79
كلا	7	4	8	11	7	11	5	44	26	7	63	18	13	13	15	73	8	1	2	9	2	9
—	5	8	6	16	6	9	6	3	16	5	14	65	4	6	11	13	7	7	4	23	7	12
المجموع	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100	100

جدول (٦)

البـكـريـة

سؤال	1	2	2	2	3	3	3
نعم	15	19	58	65	86	78	23
كلا	74	22	17	15	8	13	46
—	59	25	20	6	9	31	
المجموع	100	100	100	100	100	100	100

المصادر والمراجع

I. Ouvrages Généraux:

— ABOU Sélim, **L'indentité culturelle, relations interethniques et problèmes d'acculturation,** Ed. Anthropos, Paris, 1981, 235 p.

— AMADO Georges, **L'affectivité de l'enfant,** Coll. S.U.P., P.U.F., Paris, 1969, 315 p.

— BERGE André, **Les Psychothérapies,** Coll. S.U.P., P.U.F., Paris, 1968, 214 p.

— BERGE André, **Les défauts de l'enfant,** Coll. Petite bibliothèque Payot, Ed. Payot, Paris, 1972, 155 p.

— BERGER Gaston, **Caractère et personnalité,** Coll. Initiation philosophique, 7e éd., P.U.F., Paris, 1971, 110 p.

— BERGERON Marcel, **Le développement psychologique de l'enfant,** Coll. S.U.P., P.U.F., Paris, 1973, 92 p.

— BOLL Marcel et BAUD Francis, **La personnalité sa structure, son comportement,** Masson et Cie, Librairie de l'académie de médecine, Paris, 1958, 140 p.

— BOWLBY J.M.A.M.D., **Soins maternels et santé mentale,** Ed. O.M.S., Genève, 1954, 208 p.

— CAHN Paulette, **La relation fraternelle chez l'enfant,** P.U.F., 1962.

— CARBONNIER Jean, **Droit civil,** Coll. Thémis, 5e éd., P.U.F., Paris, 1964, 215 p.

— CARNATION Michel, **La transformation permanente,** P.U.F., Paris, 1979.

— CATTELL Raymond, **La personnalité,** P.U.F., Paris, 1956, T I et T 2, 949 p.

— CHAMOUN Mounir, **Les superstitions au Liban, Aspects Psycho-sociologiques,** Publications du Centre culturel Universitaire, Ed. Dar-El-Machreq, Beyrouth, Liban, 1973, 333 p.

— CHAPPUIS Raymond, **La psychologie des relations humaines,** Coll. Que sias-je? No 2287, Paris, 1986, 126 p.

— CHAUCHARD Paul, **La maîtrise de soi,** 6e éd., Ed. Dessart, Bruxelles, 1969, 234 p.

— CHEVALIER Dominique, **La société du Mont-Liban à l'époque industrielle en Europe,** Paris, Librairie Orientale XXXIXe, P. Geutner, 1971, 316 p.

— CHILAND Colette, **L'enfant de six ans et son avenir,** Coll. Le fil rouge, 2e éd., P.U.F., Paris, 1973, 426 p.

— CORMAN Louis, **Le test P.N.,** 5e éd., P.U.F., Paris, 1972, 257 p.

— CORMAN Louis, **Le test du dessin de la famille,** P.U.F., Paris, 1974, 233 p.

— CORMAN Louis, **Psychologie de la rivalité fraternelle,** Ed. Dessart, Bruxelles, 1970, 309 p.

— CORMAN Louis, **Interprétation dynamique en psychologie,** P.U.F., Paris, 1974.

— CORMAN Louis, **Narcissisme et frustration d'amour et de haine,** Ed. Dessart, Bruxelles, 1975, 257 p.

— GRESSWELL Robert, **Parenté et propriété dans la montagne Libanaise,** Ecole pratique des hautes études-VIe section, Paris, 1970.

— DARIAN Jean, **Précis historique des origines du peuple Maronite (Zawahirat, Majmoua't kawanine Al-Ahwal Al-Chakhssiat,** Beyrouth, 1919.

— DEUTSCH Hélène, **Problème de l'adolescence,** Coll. P.b.P., Ed. intégrale, Payot, Paris, 1970, 144 p.

— DIATKINE Gilbert, **De l'observation de l'enfant à la thérapeutique,** Ed. E.S.F., Paris, 1977, 180 p.

— DIB pierre, **L'Eglise Maronite: T.L, L'Eglise Maronite jusqu'à la fin du moyen âge,** Paris, 1930, 267 p.

— DREIKURS Rudolf, **La psychologie aldérienne,** Ed. Bloud et Gay, Paris, 1971.

— DURAND-DASSIER Jacques, **Structure et psychologie de la relation,** Ed. Epi, Paris, 1969.

— l'ECUYER René, **Le concept de soi,** Coll. psychologique d'aujourd'hui, dirigée par Paul Fraisse, P.U.F., Paris, 1978, 201 p.

— EY Henri, **La conscience,** Coll. S.U.P. Le psychologue, P.U.F., Paris, 1968, 500 p.

— FEGHALI Michel, **La famille maronite au Liban,** Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 47 p. (s.d.).

— FEGHALI Michel, **Proverbes et dictons Syros-Libanais,** Texte arabe, traduction institut d'ethnologie XVII Univ., Paris, 1938, 850 p.

— FREUD Anne, **Le moi et le mécanique de défense,** P.U.F., Paris, 1978, 166 p.

— FREUD Anne, **Les traitements psychanalytiques des enfants,** P.U.F., Paris, 1969, 128 p.

— FREUD Sigmund, **Cinq leçons sur la psychanalyse,** Coll. P.b.P., Paris, 1971, 155 p.

— FREUD Sigmund, **Abrégé de psychanalyse,** Coll. Bibliothèque de psychanalyse, P.U.F., Paris, 1967, 86 p.

— FREUD Sigmund, **Psychanalyse,** Textes choisis, Coll. Sup., 4e éd., P.U.F., Paris, 1969, 179 p.

— FREUD Sigmund, **Essais de psychanalyse,** Coll. P.b.P., Payot, Paris, 1971, 277 p.

— FERRERO N, BESSE J-M., **L'enfant et ses complexes,** Ed. Dessart, Bruxelles, 1983.

— GEMELLI Agostino, **Psychologie de l'enfant à l'homme,** traduction de Jeanne-Marie JAUR, 5e éd., Ed Rousset, 1965, 377 p.

— GESELL Arnold et ILG Frances, **Le jeune enfant dans la civilisation moderne,** IIe éd., P.U.F., Paris, 1980, 382 p.

— GESELL Arnold et ILG Frances, BATES-AMES Louise, **L'adolescent de 10 à 16 ans,** 5e éd., P.U.F., Paris, 1978, 566 p.

— HADDAD Mouine, **Le Liban milieu et population,** Beyrouth, 1981, 332 p.

— HARTMAN Heinz, **La psychologie du moi,** P.U.F., 1968.

— HUTEAU Michel, **Les conceptions cognitives de la personnalité,** Coll.

Psychologie d'aujourd'hui, P.U.F., 1985.

— JOUBEIR Antoine, **Kitab Al-Huda** (essai), imp. moderne Kreim, Liban, 1974, 301 p.

— KERNBERG Otto, **La personnalité narcissique,** Ed. Privat, Paris, 1980, 187 p.

— KLEIN Mélanie, **La psychanalyse des enfants,** Coll. Bibliothèque de la psychanalyse, 2e éd., P.U.F., Paris, 1969, 318 p.

— KLEIN Mélanie, **Développement de la psychanalyse,** traduit de l'anglais par Willy Baranger, P.U.F., Paris, 1966, 343 p.

— KLEIN Mélanie, LEVY André, **Psychologie sociale: Notre monde adulte et ses racines dans l'enfance,** Textes fondamentaux anglais et américains, T.L, Ed. Dunod, Paris, 191978, 316 p.

— LACAN Jean, **L'agressivité en psychanalyse dans R.F.P.,** Vol., XXII, 1948.

— LACROIX Jean, **L'échec,** Coll. S.U.P., P.U.F., 3e éd., Paris, 1969, 120 p.

— LAGACHE Daniel, **La jalousie amoureuse,** P.U.F., Paris, 1981, 729 p.

— LAGACHE Daniel, **Agressivité structure de la personnalité,** Œuvre I, II, III, IV, P.U.F., Paris, 1962-1982.

— LAGACHE Daniel, **La psychanalyse,** Coll. Que sais-je? No 660, Paris, 1969, 128 p.

— LEWIN Kurt, **Psychologie dynamique, les relations humaines,** 2e éd., P.U.F., Paris, 1967, 296 p.

— LINTON Ralph, **Le fondement culturel de la personnalité,** Ed. Dunod, Traduit de l'anglais par lyotard A., Paris, 1967, 186 p.

— MACLAY David, **Thérapeutique active en psychiatrie enfantile,** Masson et Cie Editeurs, Paris, 1971, 231 p.

— MAHMASSANI Sobhi, **Legal systems in the arab states past and present,** 2e éd., Beyrouth, 1962, 541 p.

— MAHMASSANI Sobhi, **Principes des lois,** Beyrouth, 1954.

— MAHLER Margaret, **La naissance psychologique de l'être humain, Symbiose humaine et individuation,** T.I et T.2 Coll. P.b.P., Payot, Paris, 1980, 368 p.

— MAISONNEUVE Jean, **Psycho-Sociologie des affinités,** Bibliothèque scientifique internationale, section psychologique, P.U.F., Paris, 1966, 545 p.

— MARBEAU-CLEARENS Béatrice, **Psychologie dès mères,** Ed. Universitaire, 1966.

— MAUCO Georges, **L'inconscient et la psychologie de l'enfant,** Coll. S.U.P., P.U.F., Paris, 1970, 206 p.

— MEAD G-H, **L'esprit le soi et la société,** P.U.F., Paris, 1960.

— MENDEL Gérard, **La révolte contre le père,** 5e éd., Coll. P.b.P., Payot, Paris, 1978, 416 p.

— MONIER Raymond, **Manuel élémentaire de Droit Romain,** Tome 1er, 6e éd., Ed. Domat Montchrestien, Paris, 1947, 551 p.

— Monod Léopold, **Le Problème de l'autorité,** 3e éd., P.U.F., Paris, 1960.

— MUCCHIELLI Alex, **Les réactions de défense dans les relations inter-personnelles,** 2e éd., E.S.F., Paris.

— MUCCHIELLI Alex, **Les motivations,** Coll. Que sais-je? No 1949, P.U.F., Paris, 1981, 127 p.

— MUCCHIELLI Roger, **La personnalité de l'enfant,** 12 éd., Ed. E.S.F., Paris, 1976, 186 p.

— MUCCHIELLI Roger, **Les complexes personnelles,** Ed. E.S.F., France, 1971.

— MURRAY Henri A., **Exploration de la personnalité, II: Le système de la personnalité,** Coll. Scientifiques inter., P.U.F., Paris, 1953, 390 p.

— NUTTIN Joseph, **Psychanalyse et conception spiritualiste de l'homme,** Publications Universitaires de louvain, Ed. Erasmes, Bruxelles, 1955, 367 p.

— NUTTIN Joseph, **Structure de la personnalité,** Coll. S.U.P., 4e éd., P.U.F., Paris, 1975, 271 p.

— PAGES Max., **La vie affective des groupes, Esquisse d'une théorie de la relation humaine,** Coll. dirigée par J.CI. Filoux, Ed. Dunod, Paris, 1968, 508 p.

— PERRON Roger, **Genèse de la personne,** P.U.F., Paris, 1985, 256 p.

— PERRON Roger, **Modèle d'enfants enfants modèles,** P.U.F., Paris, 1971, 252 p.

— PERRON Roger, **Niveaux de tension et contrôle de l'activité,** Ed. Centre national de la recherche scientifique, Paris, VII, 1969.

— PIAGET Jean, **Les relations entre l'affectivité et l'intelligence dans le développement mental de l'enfant,** Ed. Centre de documentation

Universitaire, Paris, 1954.

— PIAGET Jean, INHELDER Barbel, **L'Image mentale chez l'enfant,** P.U.F., Paris, 1966, 461 p.

— RODRIGUEZ TOME H. **Le Moi et l'autre dans la conscience de l'adolescent,** Neuchâtel et Niestlé, 1972.

— RABBATH Edmond, **La formation historique du Liban politique et constitutionnel,** Beyrouth, 1973, 586 p.

— REUCHLIN Maurice, **La psychologie différentielle,** 2e éd., P.U.F., Paris, 1974, 236 p.

— REUCHLIN Maurice, **Psychologie fondamentale,** P.U.F., Paris, 1984, 678 p.

— REY André, **L'Examen clinique en psychologie,** Coll. S.U.P., 3e éd., P.U.F., Paris, 1970, 222 p.

— REYMON-RIVIER Berthe, **Le développement de l'enfant et de l'adolescent,** Ed. Dessart, Bruxelles, 1965, 279 p.

— ROCHEBLAVE-SPENIE Anne-Marie, **Le pouvoir démasqué,** Coll. Je, Ed. Universitaire, Paris, 1974.

— ROCHEBLAVE-SPENIE Anne-Marie, **Psychologie du conflit,** P.U.F., Ed. Universitaire, Paris, 1970.

— SMIRNOFF Victor, La **psychanalyse de l'enfant,** Coll. S.U.P., 2e éd., P.U.F., Paris, 1968, 297 p.

— SOURDEL Dominique, **L'Islam,** Coll. Que sais-je? No 355, 9e éd., P.U.F., Paris, 1975, 127 p.

— SPITIZ René, **De la naissance à la parole,** Coll. Bibliothèque de la psychanalyse, 6e éd., P.U.F., Paris, 1968, 306 p.

— SPITIZ René, Le non et le oui, Genèse de la personnalité, 3e éd., P.U.F., Paris, 1976, 144 p.

— SPITIZ René, **La première année de la vie de l'enfant,** P.U.F., Paris, 1976, 306 p.

— TOUMA Toufic, **Paysans et institutions féodales chez les Druzes et les Maronites au Liban, du XVIIe siècle à 1914,** Publication de l'Université Libanaise, 2 Vol, Beyrouth, 1971.

— VERGOTE Antoine, **Psychologie religieuse,** 3e éd. Ed. Dessart, Bruxelles, 1966, 338 p.

— VILAR-FIOL, **L'homme et le milieu social.**

— Wallon Henri, **L'Evolution psychologique de l'enfant,** 9e éd., Armand Colin, Paris, 1981, 222 p.

— WINFRID Huber, HERMAN Roger et VERGOTE Antoine, **La psychanalyse, Science de l'homme,** 3e éd., Ed. Dessart, Bruxelles, 1970, 305 p.

— WINNICOT D.W., **L'Enfant et sa famille,** Coll. Science de l'homme, P.b.P., Payot, Paris, 1971, 208 p.

II. Thèses:

— ZABLITH Salem, **La structure de l'autorité dans le groupe familial,** Thése d'Etat, Bordeaux 2, 2 Vol, Bordeaux, 1977, 991 p.

III. Ouvrages spécialisés:

— COMITE DE DIRECTION, **La Sainte Bible,** Traduite en français sous la direction de l'Ecole Biblique de Jérusalem, Ed. du Cerf, Paris, 1961, 1669 p.

— DAVID (L'Evêque Maronite), **Kitab Al-Huda ou Livre de la Direction, Code Maronite du Haut Moyen Age,** traduit du Syriaque en Arabe par L'Evêque Maronite David L'an 1059, Imprimerie Maronite, Alep, 1935, 410 p.

— KAZIMIRSKI et RODINSON Maxime, **le Coran,** traduction et notes, Section des Sciences Historiques Philosophiques-Ecole pratique des Hautes Etudes, Garnier Frères, Paris, 1981, 646 p.

— T.O.B., **La Bible,** Trad. Dœcuménique, Le Cerf, Paris, 1977, 1731 p.

— ZAWAHIRAT Nabil, **Majmoua't Kawanine Al-Ahwal Al-Chakhssiat ou Ensemble des codes du statut personnel pour toutes les religions et les rites en Syrie et au Liban,** Article 15 (Texte en arabe), Beyrouth, 1974, 790 p.

IV. Articles:

— ABOU Sélim, «Christianisme Sociologique et athéisme politique», in **Travaux et Jours,** No 24, Beyrouth, 1967, pp. 3-13.

— ANTOUN Joseph, «Le développement et la maturité de l'homme». Article publié dans la revue **«Arrahiyyat»,** d'expression arabe, No 225, Beyrouth, 1987.

— CHAMOUN Mounir, «Problème de la famille au Liban», in **Travaux et Jours,** No 25, Beyrouth, 1967, pp.

— CHAMOUN Mounir, «Psychologie de l'Ethnotype Libanais», in **Travaux et**

Jours, No 30, Beyrouth, 1969, pp. 71-80.

— CHAMOUN Mounir, «Image de la mère et sexualité féminine», in **Travaux et Jours,** No 44, Beyrouth, 1972, pp.

— Jackson D., «L'étude de la famille», article cité par WEAKLAND, sur l'interprétation.

— LAGACHE DANIEL, «Pouvoir et personne», dans **Nouvelle revue psychanalytique,** Paris, 1973, pp. 75-81.

— PICHOT P., «Personnalité et réaction», Cours 21 et 28, dans **Bulletin de psychologie,** Février 1962.

V. Vocabulaires et Dictionnaires:

— CLAPAREDE E., **Vocabulaire de la psychologie.**

— CUVILLIER Armand, **Nouveau vocabulaire philosophique,** IIe éd., Ed. Armand Colin, Paris, 1966, 207 p.

— DUFOUR Xavier et Collaborateurs, **Vocabulaire Biblique,** 5e éd., Ed. du Cerf, Paris, 1981, 1404 p.

— HEIDEGGER Martin, Historia Patriarkarum, T.I et 2, in **Vocabulaire de théologie Biblique,** Paris, 1981.

— LAFON Robert, **Vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de l'enfant,** P.U.F., Paris, 1963, 604 p.

— LALANDE André., **Vocabulaire technique et critique de la philosophie,** 10e éd., P.U.F., Paris, 1968, 1323 p.

— LAPLANCHE Jean & PONTALIS J.B., **Vocabulaire de la psychanalyse,** 2e éd., P.U.F., Paris, 1968, 525 p.

— PIERON Henri, **Vocabulaire de la psychologie,** P.U.F., Paris, 1951, 356 p.

— POROT Antoine, **Manuel alphabétique de psychiatrie clinique et thérapeutique,** 5e éd., P.U.F., Paris, 1975, 585 p.

— SILLAMY Norbert, **Dictionnaire de la psychologie,** Ed. Larousse, Paris, 1980, 819 p.

— VIGOURAUX F., **Dictionnaire de la Bible,** Paris, 1895.

— YOUNK R.L.L.D., FUNK & WAGNALLS Company, **Analytical Concordance to the Bible,** New-York.

● ● ●

المحتويات

● ● ●